وزارة التّعليـــــم العـــالي والبحث العلمـي

جامعة الشّهيد حمّه لخضر - الوادي-

كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

عنوان الأطروحة

دور علماء مالكية المغرب الأوسط في التّمكين الحضاري والثّقافي في بلاد السّودان الغربي من نهاية القرون الوسطى إلى بداية العصور الحديثة

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه الطّور الثّالث (ل.م.د) في التّاريخ بلاد المغرب الوسيط

إعداد الطالب:

تقرورت عبد الرؤوف

إشراف:

د. أحمد بن خيرة

لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرّتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ. د. علال بن عمر	أستاذ تعليم عالي	جامعة الوادي	رئيسا
د. أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر "أ"	جلمعة الوادي	مشرفا ومقرّرا
أ.د. البشير غانية	أستاذ تعليم عالي	جامعة الوادي	مناقشا
د.عمار غرايسة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشا
د. خالد كريبي	أستاذ محاضر "أ"	المركز الجامعي بريكة	مناقشا
د. مبروك بن مسعود	أستاذ محاضر "أ"	جامعة بسكرة	مناقشا

السّنة الجامعية: 1445هـ-1446هـ / 2024-2025م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال تعالى: "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"

(سورة المجادلة، الآية 11)

برواية ورش عن نافع

قائمة المختصرات

الرّمز	الدّلالة	الرّمز	الدّلالة
هـ	هجري	ط	طبعة
م	ميلادي	ع	عدد
ق.م	قبل الميلاد	Vol	Volume
ت	توفي	T	Tom
د.ت	دون تاريخ	Ed	Edition
ص	صفحة	P	Page
ج	جزء	Pp	Les pages
مج	مجلّد	N	Numéro

الإهـــــــــــــــــداء

إلى والديَّ الكريمين: أمي، وأبي...

إلى زوجتي الكريمة: أمُّ غيث...وإبني غيث

إلى جميع أفراد عائلتي (إخوتي - أعمامي - أخوالي...)

إلى جميع أساتذتي ومشايخي ومعلمي...

إلى روح صديقي محمّد لومي رحمه الله تعالى...

إلى جميع أصدقائي وأحبابي...

أهدي هذا العمل المتواضع، وأسأل الله أن يكون خالصًا لوجهه الكريم

شكر وعرفان

بعد الحمد والشّكر لله عزّ وجلّ...

قال صلّى الله عليه وسلّم: "مَن لَمْ يَشْكُرِ النّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله"

من هذا المنبر أقدّم جزيل الشّكر والتّقدير والعرفان للأستاذ الدّكتور أحمد بن خيرة الذي قبِل الإشراف على أطروحتي، كما أنّه كان سندًا لي في بحثي، حيث تكبّد معي عناء القراءة والتّمحيص والبحث، كما أشكر السّادة أعضاء اللّجنة الموقّرة لقبولهم مناقشة الأطروحة، كما أقدّم شكري لكل من ساهم في مدّ يد العون لي من قريب أو بعيد.

مقدّمـــــــة

بعد وصول رسالة الاسلام إلى بلاد المغرب الاسلامي خلال نهاية القرن الأول الهجري، إذ بعد مدة وجيزة بدأت معالم الحضارة الاسلامية في التشكل، من خلال نشوء كيانات سياسية إسلامية مثل الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط وحاضرتها "تهرت".

في حضن تلك الحواضر نبغ جمع غفير من العلماء الأعلام أصحاب التّصانيف الشّهيرة في مختلف العلوم والفنون، وكان من تلك الحواضر العتيقة حاضرة "**القيروان**" في المغرب الأدنى تلمسان و تيهرت و بجاية بالمغرب الاوسط و"**فاس**" بالمغرب الأقصى .

كان لحواضر المغرب الأوسط العلمية الفضل في الحركة العلمية والفقهية ببلاد المغرب، ومن أشهرها: تلمسان وبجاية وقسنطينة والجزائر العامرة، كما برزت الحواضر الواحية كانت في البداية مراكز تجاريةً تربط بين الشّمال والجنوب، وبعد مرور الوقت تطوّرت لأماكن العلم والمعرفة، نذكر منها: ورجلان، توات، وبسكرة، وتبلبالة، وغيرها من أماكن العلم والثّقافة الإسلامية، وقد اتّسمت هذه الحواضر بالعلاقات الثّقافية والحضارية مع العديد من حواضر بلاد السّودان الغربيّ منذ القرن 2هـ إلى نهاية القرون الحديثة التي أعقبتها الحركة الاستعمارية لإفريقيا جنوب الصّحراء ممهّدة بذلك القطيعة الحضارية بين سكّان القارّة الواحدة.

إذن، فدراستي تندرج ضمن الموضوعاتِ التي تتعلّق بالتّواصل الحضاري بين المغرب الأوسط، وعلاقته الثّقافية والحضارية مع بلاد السّودان الغربي أو بعبارة أخرى دول إفريقيا جنوب الصّحراء.

تتمحور هذه الدراسة حول التّأثير الثّقافي والدّيني لفقهاء المغرب الأوسط في بلاد السّودان الغربي، لتأتي تحت عنوان "**دور مالكية المغرب الأوسط في التّمكين الحضاري والثّقافي في بلاد السّودان الغربي من نهاية القرون الوسطى إلى بداية العصور الحديثة**".

من النّاحية الزّمنية التي توخّيتها لهذه الدّراسة، والتي ربّما تكون غير محدّدة في العنوان، فهي من القرن (8هـ/14م) إلى (11هـ/17م) باعتبار أنّ هذه المرحلة ثرية بالمادّة العلمية نتيجة ازدهار العلاقات الحضارية التي امتازت بتوثيق تلك العلاقات في شكل رحلات علمية ومؤلّفات وشروحات لأمّهات كتب التّراث الفقهي، كما أنّ التّكوين الثّقافي والعلمي في بلاد السّودان الغربي وصل درجة الازدهار في العلوم، وهذا من أهمّ ما يمكن للباحث أن يرتع فيه,

أولا/ أهداف الدّراسة:

إنّ الهدف الأساسي الذي تتوخّاه هذه الدّراسة يكمن في:

الهدف الأول: هو التّعريف بأهمّ علماء وفقهاء بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) ودورهم في نشر العلوم الشّرعية في بلاد السّودان الغربي خلال فترة الدّراسة.

الهدف الثّاني: رصد التّراث الفقهي والعلمي للمدرسة المغرب أوسطية في بلاد السّودان الغربي، ودورها في الحركة الفقهية السّودانية.

الهدف الثالث: تحليل خفايا التّراث الحضاري المشترك بين المدرسة الفقهية بالمغرب الأوسط والمدرسة الفقهية السّودانية

ثانيًا/ دواعي اختيار الموضوع

من أجل دراسة موضوع بحثي من مختلف الجوانب جاء اختياري لهذا العمل، ولعلّ من الأسباب الحقيقية التي دفعتني لدراسته وتحليله ما يمكن إيراده في الآتي:

- ✓ ميولي العلمية والثّقافية إلى التّنقيب على التّراث الثّقافي والفكري لعلماء المغرب الأوسط والبحث في تراثهم الفقهي.

- ✓ محاولـة منّـي فـي إكمـال المسيرة العلميـة لمذكّرة الماستر التـي تندرج تحت عنوان:

"واحات المغرب الأوسط ودورها في التّواصل الحضاري والثّقافي مع بلاد السّودان الغربي من القرن 2هـ إلى 10هـ".

- ✓ الاسـهام فـي اثـراء المكتبـة من خـلال معرفـة درجـة التـأثير لعلمـاء المغـرب الاوسـط ودورهم في بلاد السّودان الغربي.

ثالثا/ إشكالية البحث

إن طبيعة موضوعي "تاريخي فقهي"، أسعى من خلاله إلى دراسة توضيح تاريخ بلاد السودان الغربـي، وذلك من خـلال إبراز دور فقهاء المغرب الأوسط فـي التمكين الحضـاري والثقافي من نهاية القرون الوسطى إلى بداية العصور الحديثة.

تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على إشكالية رئيسية مفادها معرفة الدور الذي قام به العلماء المغرب أوسطيون في بلاد السودان الغربي على المستوى الثقافي والديني؟ ومن خلال هذه الإشكالية حاولت طرح التّساؤلات الآتية:

ـ ماهي الجذور التواصل التاريخي بين الإقليمين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي؟

ـ كيف ازدهرت الحياة العلمية والثّقافية في بلاد السّودان الغربي؟ وانعكاس ذلك على الانتاج العلمي لفقهاء المغرب الأوسط ،و على نشاطهم العلمي في بلاد السودان الغربي؟

ـ ما ميادين العلوم التي كان لها وزنٌ في في الواقع العلمي و الثقافي في بلاد السّودان الغربي؟

ـ ما مدى تأثير علماء المغرب الأوسط في التّمكين العلمي والثّقافي في حواضر بلاد السّودان الغربي؟

رابعا/ منهج الدّراسة:

اعتمدت على عدة مناهج لمعالجة الدراسة، فقد اعتمدت على المنهج الوصفي لعض المعلومات في شكل مرتب، واستعملت المنهج التحليلي القائم على استنطاق النصوص ونقدها وأيضا المنهج المقارن للمقارنة بينهما، فالدراسة فرضت هذه المناهج بحكم اختلاف الضروف السياسية والإجتماعية والثقافية والدينية، كما أفادني المنهد التحليلي المعتمد أيضا في استنباط واستقراء وتحليل الحوادث التاريخية إلى جزئياتها البسيطة، ثم تركيبها في عمومياتها الجديدة بعد تحري الدقة والصبر إلى جانب الأمانة العلمية.

خامسًا/ خطّة الموضوع:

قسمت الموضوع كالآتي:

المقدّمة، استعرضت فيها أهمّية الموضوع، وأسباب اختياري له، وطرحت الإشكالية العامّة وأتبعتها بالتّساؤلات الفرعية، ثمّ عرضت خطّةً حسب طبيعة الموضوع، ثمّ تحليلاً لأهمّ المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي، ثمّ الدّراسات السّابقة، وفي الأخير تطرّقت للصّعوبات التي وقفت في طريقي أثناء إعدادي عملي هذا.

يتبع المقدّمةَ مباشرة الفصل الأول تحت عنوان: "**المغرب الأوسط والسّودان الغربي خلال فترة مدار الدّراسة– دراسة في الأوضاع الحضارية العامّة وجذور التّواصل التّاريخي**

الحضاري بين المنطقتين–، تناولت في هذا الفصل المجال الجغرافيّ للمغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربيّ والأوضاع الحضارية والسّياسية للمنطقتين، كما ذكرت في نهاية هذا الفصل الرّوابط الحضارية التّاريخية، من الطّرق والمسالك التي تربط حواضر المغرب الأوسط بالسّودان الغربيّ والتي ظلّت على مدى العصور عامرةً بالقوافل التّجارية وحركة العلماء بين الحواضر، وفي الفصل الثّاني من دراستي والموسوم بـ: "ازدهار المدرسة الفقهية المالكية المغرب أوسطية خلال فترة مدار الدّراسة" عالجت ثلاثَ مطالب، أمّا في المطلب الأول فحاولت أن ألمّ بدخول المذهب المالكي وانتشاره بالمغرب الأوسط، وأمّا في المطلب الثّاني فقد عرّجت على الإنتاج العلمي والفقهي لعلماء المغرب الأوسط ودورهم في خدمة الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية وطريقة الجُنيد السّالك، كما ركّزت على الحواضر الواحية ودورها ونماذج من علماء الصّحراء، وختمت هذا الفصل بمطلب تناولت فيه ترجمةً لكلّ شخصية فقهية أثّرت في بلاد السّودان الغربي.

وأمّا في الفصل الثّالث الموسوم بـ: "**مساهمة علماء مالكية المغرب الأوسط في الحركة العلمية والثّقافية في بلاد السّودان الغربي خلال فترة مدار الدّراسة**" فركّزت على دخول المذهب المالكي بلادَ السّودان الغربيّ وتطوّر ودور الفقهاء المغاربة في توسيع دائرة الانتشار، كما ركّزت فيه على دور فقهاء المغرب الأوسط وآثارهم العلمية ودورها في بلاد السّودان الغربيّ وركّزت على شخصياتٍ فقهية، مثل الإمام السّنوسي والمغيلي التّلمساني وختمت الفصل بمبحث عن الحركة العلمية والثّقافية في بلاد السّودان الغربي محاولاً رصد ظاهرة المثاقفة بين علماء المغرب الأوسط وفقهاء السّودان الغربي في شخصية نموذجية وهو الفقيه أحمد بابا التّنبكتي.

سادسا/ الدّراسات السّابقة

ومن ضمن الدّراساتِ التي تناولت بعض الجوانب الحضارية بين المغرب الإسلامي وبلاد السّودان الغربي، ما يأتي:

– دراسة الباحث "حسين بوبيدي" والموسومة بـ: "**التّغيّرات الاقتصادية والاجتماعية في السّودان الغربيّ من القرن 5-10هـ/ 11-16م دراسةٌ في تفاعل المؤثّرات السّودانية والمغربية**"، تعدّ هذه الدّراسة من بين الدّراسات الجادّة حول التّطوّرات الاجتماعية والاقتصادية، حيث اعتمد الباحث على مادّة خبريةٍ متنوّعة خاصّة الأوروبية، وفي مقدّمتها الرّحالة البرتغاليّون، و نفعتني هذه الأطروحة في محور التغيرات الإجتماعية في بلاد السودان الغربي.

– دراسة الباحثة عائشة بوشقيف، والموسومة بـ: "**إسهامات علماء تلمسان في الحياة الفكرية بإقليمي توات والسّودان الغربيّ من القرن 8هـ إلى 10هـ/14م-16م**"، الموضوع عبارة عن أطروحة دكتوراه، تناولت فيها الباحثة العلاقات العلمية والفكرية بين حاضرة تلمسان وحاضرة توات من انتقال علماء تلمسان إلى حواضر الجنوب ومنها إلى بلاد السّودان الغربي وهنا تكمن فوائد هذه الأطروحة بنستي لعملي، إلاّ أنّ الباحثة لم تنوّع في الشّخصيات التي أثّرت في بلاد السّودان الغربيّ مقتصرةً على شخصية الإمام عبد الكريم المغيلي.

– دراسة الباحث "أيمن عميمور" والموسومة بـ: "**الوجود المغربي في السّودان الغربي وانعكاساته الاقتصادية والثّقافية بين القرنين (10-11هـ/16-17م)**، وهي رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير بجامعة غرداية، هذه الدّراسة لها علاقة مباشرةٌ ببحثي، لذلك فقد أفادتني في وضع قاعدة أوّلية لبحثي.

– دراسة الباحث "خالد الطّاهر" **والموسومة بـ: "الثّقافة الدّينية المغربية وأثرها على إفريقيا جنوب الصّحراء خلال القرنين 16و17 الميلاديين**"، هي أطروحة مقدّمة لنيل شهادة

الدّكتوراه، هذه الدّراسة حقيقةً من الدّراسات الجادّة ، خاصّةً وأنّ الباحث نوّع في المصادر الأساسية لتاريخ بلاد السودان الغربي، كما تميّز بحثه باستعمال المنهج الإحصائي ، من خلال إحصاء المؤلّفات والعلماء وإنتماءاتهم، إلاّ أنّ الدّراسة جاءت شاملة للمغرب الإسلامي ولم يركّز كثيرًا على تأثيرات العلمية والثقافية للمغرب الأوسط .

سابعًا/ التّعريف بمصادر ومراجع الدّراسة:

ولقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع المتنوّعة توزّعت بين مصادر عربية (المصادر السّودانية –كتب الجغرافيا والرّحلة – كتب التّراجم...) وبين مراجع عربية وأخرى أجنبية كان استخدامها بدرجات متفاوتة، وذلك حسب أهمّيتها ومعالجتها لموضوع الدّراسة، وهي كالآتي:

1- <u>المصادر</u>

هناك العديد من المصادر حملت بين ثناياها معلوماتٍ هامّة لامست الموضوع بصفة أساسية، وسأقتصر بذكر بعضها دون الآخر.

أ- **<u>المصادر السّودانية</u>**

- **تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس وذكر وقائع التّكرور عظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار** لمؤلّفه: محمود كعت (ت1002هـ/1593م) يمثّل هذا المصدر العمود الفقري لبحثي، فهو يتناسب مع الفترة الزّمنية التي أعالجها، كما أنّ المصدر غني بالمادّة العلمية التي تخصّ العلماء والفقهاء في مملكة سنغاي، والشّخصية

نفسها – صاحب الكتاب – عاصر الأسقيا محمّد الكبير، لهذا فقد اعتمدت عليه بنسبة كبيرة جدّا في بحثي.

– **تاريخ السّودان:** لعبد الرّحمان بن عبد الله بن عمران السّعدي (ت1066هـ/1655م) هذا المصدر كذلك لم أستغنِ عنه، فهو يؤرّخ للحياة الثّقافية والاجتماعية ويُورد ترجمة لمشاهير العلماء والفقهاء بمدينة تنبكت باعتباره أحد العلماء البارزين، فقد كان إمامًا بمسجد سنكري بتنبكت بأمر من الباشا محمّد بن محمّد بن عثمان سنة (1056هـ/1646م)، أي في العهد السّعدي، كما تناول الكتاب نشأة مدينة تنبكت وبعض علمائها ومساجدها.

–" **تذكرة النّسيان في أخبار ملوك السّودان**" ذكر الأستاذ حماه الله ولد سالم أنّ مؤلّفه هو ابن المختار حفيد محمود كعت، تناول هذا الكتاب فترة حكم المغاربة بعد حملة المنصور الذّهبي على سنغاي من (999هـ/1591م) إلى (1163هـ/1750م) اهتمّ الكتاب بالجانب السّياسي أكثر، وقد أفادني كثيرا في تقصّي حقيقة الأوضاع السّياسية للمنطقة.

- "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" و"**كفاية المحتاج من ليس في الدّيباج**" لأحمد بابا التّنبكتي (1036هـ/1626م) والكتابان من أهمّ المصادر في تراجم العلماء والمؤلّفات والمدارس العلمية، وقد استفدت من هذين المصدرين من جهتين، أي فيما يخصّ علماء المغرب الأوسط وعلماء بلاد السّودان الغربي.
- "**فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التّكرور**" لأبي عبد الله الطّالب محمّد بن أبي بكر الصّديق البرتلي الولاتي (1727–1804م)، جاء الكتاب في شكل تراجم لشخصيات علمية

وفقهية لبلاد السّودان الغربي، كما ترجم للعلماء المغاربة وخاصّة التّواتيون في منطقة بلاد السّودان الغربي.

- "**أسـئلة الأسـقيا وأجوبـة المغيلـي**" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني (ت 909هـ/1503م) المصدر هو إجابة عن أسئلة الأسقيا محمّد توري، وقد أفادتني في دراسة الأوضاع الحضارية والدّينية للمنطقة، وعن دور الإمام المغيلي في بلاد السّودان الغربي.

-كتب الطّبقات والتّراجم

-"**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" للقاضي أبي الفضل عياض ابن موسى اليحصبي السّبتي (ت544هـ/1149م)، من المصادر المهمّة التي تؤرّخ لانتشار المذهب المالكي وخاصّة بلاد المغرب، حيث ترجم لفقهاء المذهب ابتداءً من المؤسّس إلى العلماء الذين عاصرهم، أفادني هذا الكتاب في ترجمة بعض الشّخصيات الفقهية الأولية للمدرسة المغرب أوسطية.

- "**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**" لأبي زيد عبد الرّحمن بن محمّد الأنصاري المشهور بالدّباغ (ت696هـ/1297م)، الكتاب من أهمّ الكتب التي تؤرّخ للمذهب المالكي وتأسيسه في حاضرة القيروان، وقد استفدت منه في معرفة المراحل الأولية لانتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي.

- **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**" لأبي العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني (ت714هـ/1314م)، المؤلّف ترجم لأهمّ الشّخصيات الفقهية المالكية خلال القرن 7هـ/13م ببجاية، وقد ذكر لنا بعض الشّخصيات التي تعود للقرن 6هـ/ 12م، أفادني هذا الكتاب في دور الشّخصيات البجائية وخدمتهم للمذهب المالكي.

- "**طبقات علماء إفريقية**" لأبي العرب محمّد بن أحمد التّميمي (ـ333هـ/944م)، ابتدأ المؤلّف كتابه بذكر من دخل القيروان من الصّحابة – رضي الله عنهم–، ثمّ التّابعين، إلى الفقهاء والعلماء، أفادني هذا المؤلّف في ترجمة بعض الشّخصيات الفقهية للمدرسة المغرب أوسطية.

-كتب الرّحلة والجغرافيا

- **كتاب** "**المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمَغرب**"، وهو مقتطف من كتاب "**المسالك والممالك**" لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت487هـ/1049م)، المؤلّف لم يقم برحلة إلى المناطق التي ذكرها، وإنّما جمع معلوماته من خلال الرّوايات الشّفوية والتّقارير عن الرّحالة والتّجّار، أفادني الكتاب في وصفه الدّقيق للبلاد السّودانية وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

- "**كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" لأبي عبد الله محمّد بن محمّد الشّريف الإدريسي (ت560هـ/1165م)، من أهمّ الكتب الجغرافية التي وصفت الحالة الاقتصادية والتّجّار المتردّدين على بلاد السّودان الغربي.

- "**وصف إفريقيا**" للحسن بن محمّد الوزّان الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت بعد957هـ/1550م)، هو من كتب الرّحلة، وهي عبارة عن مشاهدات حيّة للمناطق والأماكن التي زارها، فقد جاءت المادّة المصدرية جدّ ثرية فيما يخصّ حواضر المغرب الأوسط وحواضر بلاد السّودان الغربي، مع ذكر للمكوّنات البشرية والاقتصادية والسّياسية.

2-المراجع

إلى جانب المصادر السّالفة الذّكر، هناك مراجع حديثة في تخصّص الدّراسات الإفريقية كان لها الفضل في تقريب الفهم وجاءت مشبعةً بالتّحليل والتّوثيق، من أهمّها:

– **كتاب "مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493–1591م"** للباحث الأكاديمي عبد القادر زبادية، وقد وظّفت هذا الكتاب في دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثّقافية.

–كتاب عبد الرّحمان محمّد ميغا "**الحركة الفقهية ورجالها في السّودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13هجري**"، وكتاب "الحركة العلمية والثّقافية والإصلاحية في السّودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ" وهو في الحقيقة العمود الفقري لبحثي اعتمدت عليه كثيرًا كما لا يمكنني أن أتجاوز:

–**كتاب "الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية 13هـ"** للأستاذ والباحث الأكاديمي أحمد أبا الصّافي جعفري، الكتاب في الحقيقة غنيٌّ بالمادّة العلمية كون الباحث يعتمد كثيرًا على المخطوطات بحكم موقعه الجغرافي.

–كتاب "**من تاريخ توات أبحاث في التّراث**" للمؤلّف نفسه"، كما ساعدتني دراسة الباحث الأستاذ أحمد أبا الصّافي جعفري، "المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية"، وهي عبارة عن جرد وإحصاء المخطوطات الجزائرية المحفوظة في حواضر بلاد السّودان الغربي وهي التي يدور حولها بحثي.

– كتاب "**محاضرات في تاريخ ممالك السّودان الغربي**" للباحث نور الدّين شعباني، فقد تميّز الكتاب بمنهجية مبسّطة في شرح الجغرافية البشرية وتطوّر ممالك السّودان الغربي والأوسط وقد استفدت منه في المبحث الثّاني من الفصل الأول في معرفة التّركيبة البشرية والجغرافية لمالك السّودان الغربي.

ثامنا/ الصّعوبات:

لا يخلو بحث علمي من الصّعوبات، وعلى رأس الصّعوبات التي واجهتني في بحثي:

– قلّـة المـادّة المصـدرية وخاصّـة المخطوطـات المحفوظـة فـي غـرب إفريقيـا (مـالي موريتانيـا)، مـع صـعوبت فهمهـا وفحصـها وتمحيصـها بسـبب خطهـا الغيـر الواضـح وخاصـة المصورة .

– تـزامن بحثنـا مـع جائحـة كورونـا التـي منعـت عنّـا أيّـة سـفريات للبحـث العلمـي فـي المكتبات خارج الوطن.

الفصل الأول

الفصل الأول: المغرب الأوسط والسّودان الغربي (المجال والإنسان)

المبحث الأول:

المغرب الأوسط -الإطار الجغرافي والسّياسي-

المبحث الثّاني:

السّودان الغربي - الإطار الجغرافي والسّياسي-

المبحث الثّالث:

الرّوابط التّاريخية الحضارية بين المجالين

الجذور -العوامل- المجالات

المبحث الأول: المغرب الأوسط (الإطار الجغرافي والواقع السّياسي)

لعب المغرب الأوسط طيلة فترات التاريخ بداية من القديم أيام الممالك النوميدية، ثم زمن الإحتلال الروماني مروراً إلى العصور الإسلامية التي تمثل العصر الذهبي للعلاقات الحضارية بين الشمال والجنوب، تمثل دور المغرب الأوسط و مجاله الواحي في ربط حواضر المغرب الأوسط مع حواضر ممالك السودان الغربي مشكلين بذلك إرث حضاري مشترك، ولفهم موضوعنا بشكل دقيق وجب علينا التعريف بهذا الفضاء الجغرافي ومعرفة اشكال سطحه وعلاقته بالسكان، وذلك من خلال الوقوف على التحولات السياسية والإجتماعية والتاريخية التي تميز بها المغرب الأوسط.

المطلب الأول: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط

1-المجال الجغرافي للمغرب الأوسط

خلال القرون الأولى للفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم يكن يُصطلح على المنطقة (الجزائر) بالمغرب الأوسط، التي تتوسّط المغربين الأدنى والأقصى، بل كلّ منطقة المغرب الإسلامي كانت ولاية إسلاميةً تابعة للخلافة في المشرق الإسلامي، فنجدها في بعض الأحيان تحت اسم "**إفريقية**"، وتارةً أخرى "**بلاد المغرب**"، ويمتدّ المجال الجغرافي للمغرب الإسلامي من برقة شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي[1]، والمرّاكشي يحدّه من ضفّة النّيل بالإسكندرية التي المغرب إلى مدينة سلا[2]، ويرجع المؤرّخ موسى لقبال زمن اصطلاح المغرب الإسلامي إلى زمن الفتنة الكبرى[3] .

يُعتبر البكري (ت487هـ/1094م) أوّل من اصطلح "**المغرب الأوسط**" على تلك الرّقعة الجغرافية جاعلاً من تلمسان قاعدةً له[4]، لكنّ المشكلة التي حال دون وضوح المغرب الأوسط بصفة محددّة هو عامل الاضطرابات السّياسية خاصّةً من الجهة الشّرقية والغربية للمغرب الأوسط، بالإضافة إلى عامل آخر هو ديمومة الحراك القبَلي النّاتج عن الاضطرابات السّياسية التي كانت تؤدّي إلى تغيّر جغرافية الممالك، وهذا انعكس سلبًا على أهل الصّناعة الجغرافية في تحديد المجال الجغرافي للدّول.

---

[1] حسين مؤنس، **المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، مصر، 2003، ص 24.

[2] ابن عذارى المرّاكشي، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب**، ج1، ط3، تحقيق كولان وليفي برونفنصال، دار الثّقافة، بيروت، 1983، ص 05.

[3] موسى لقبال، **المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتّى انتهاء ثورات الخوارج**، ط2 الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981، ص 14.

[4] البكري، **المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمَغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 75.

ذهب البكري إلى تحديد منطقة المغرب الأوسط من ديار زناتة وقاعدتها تلمسان التي عُرفت بالإمارة الزّناتية[1]، وعندما نُراجع الرّحالة الإدريسي (ت 560هـ) فإنّنا نلاحظ أنّه جعل من بجاية قاعدة للمغرب الأوسط، وهذا خلال عهد الدّولة الحمّادية حيث أنّه حدّد الإقليم من بجاية إلى تنس، بينما تخرج تلمسان عن المغرب الأوسط بحكم تبعيتها للدّولة اللّمتونية (المرابطين)[2].

بينما ينطلق عبد الواحد المرّاكشي (ت647هـ) لتحديد المغرب الأوسط من بونة إلى حدّ السّوسيرات[3]، وأمّا صاحب "**الرّوض المعطار**" فيذكر أنّ تلمسان هي قاعدة المغرب الأوسط[4].

يرى عبد الرّحمن بن خلدون أنّ المغرب الأوسط هو ذلك الإقليم الممتدّ من تلمسان غربا وهي قاعدة المغرب الأوسط إلى بونة شرقا، وينحدر جنوبا من أشير ومسيلة والزّاب وقاعدته بسكرة وجبل الأوراس وتبسة[5]، وقد اعتمد مؤرّخنا على التّوزيع القبَلي، وهذا بفضل إلمامه بقبائل المغرب الأوسط ومضاربها ومجالات تنقّلاتها[6]، وفي

---

[1] نفسه، ص 76 – 77.

[2] الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثّقافة الدّينية، (د ت)، بور سعيد، ص 260.

[3] عبد الواحد المرّاكشي، **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمّد سعيد عربان الجمهورية العربية المتّحدة، ص ص 272 – 273.

[4] الحِميري، **الرّوض المِعطار في خبر الأقطار**، تحقيق، إحسان عبد المنعم، مكتبة لبنان، 1984، ص135.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 76.

[6] كرطاني أمين، **الفقهاء والحياة السّياسية في المغرب الأوسط خلال القرنيين (9-10هـ/15-16م)**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ والحضارة الإسلامية، كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص5

هذا يقول: " وأمّا المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة...ثمّ صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته تلمسان"[1].

- **من مصطلح المغرب الأوسط إلى دولة الجزائر الحديثة**

خلال القرن العاشر الميلادي تبلور مفهوم مصطلح المغرب الأوسط أي أثناء الحكم العثماني، وأصبحت مدينة الجزائر منذ سنة 1518م، قاعدة إسلاميةً عثمانية ومنذ ذلك الحين أعطت مدينة الجزائر اسمها للقطر الذي كان يُعرف بالمغرب الأوسط كما أصبحت عاصمة له[2]، ويمتدّ الإقليم من حدود مملكة تلمسان مع المغرب الأقصى إلى الحدود التّونسية اليوم، وفي الجنوب يمتدّ إلى صحراء توات، وعند جون بول ولوف في حديثه عن المغرب الأوسط قائلا هو:" المنطقة التي تسمّى اليوم الجزائر"[3]

2-الفضاء الواحي للمغرب الأوسط جسر العبور الى السودان الغربي

يُعدّ التّحديد الجغرافي للمجال الواحي للمغرب الأوسط من بين التّحدّيات التي تطرحها الفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة، فهي تشكّل جزءًا هامّا من الفضاء جغرافي للمغرب الأوسط وعلاقته الحضارية مع بلاد السّودان الغربي، ونظرًا لعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية يصعب علينا أن نحدّدها بالضّبط، إلاّ أنّ هناك شبه اتّفاقٍ على أنّ المجال الواحي للمغرب الأوسط يبتدئ من بداية تشكّل الواحات.

---

[1] ابن خلدون، المرجع السّابق، ج6، ص134.

[2] أبو قاسم سعد الله، **بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، 2003 ص499.

[3] جون، ب، وولف، **الجزائر وأوربا**، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر 2009، ص 21.

ولعلّ أكثر الدّارسات الحديثة ذهبت على أنّ المجال الواحي للمغرب الأوسط يمتدّ ما بين جبال الأطلس في الشّمال ومرتفعات الهقار في الجنوب[1].

تتميّز صحراء المغرب الأوسط ببساطة البنية السّطحية، حيث أنّها تخلو من الجبال ماعدا جبال الهقار[2] وعلى العموم تغطّيها العروق الرّملية المتحرّكة وانحدارات شديدة[3]، ويمكن تقسيم صحراء المغرب الأوسط من ناحية الواحات إلى مجموعات رئيسية[4]،وهي كالآتي:

-**الصّحراء الشّرقية:** تضمّ هذه الصّحراء واحات بلاد ريغ (وادي سوف) وحدودها شمالاً من الجوف أو الظّهرة، من جهة الشّرق نقرين ونفطة ونفزاوة، ومن الجنوب واحات غدامس، ومن جهة الغرب تماسين وتقرت[5] وورجلان، بالإضافة لإقليم وادي ريغ، هناك إقليم يُكوِّن الصّحراء الشّرقية وهو إقليم بلاد الزّاب، وقد اختلِف في حدود الإقليم عبر فترات تاريخ القرون الوسطى، ففي القرون الأولى يشتمل الإقليم بسكرة ومدنها، إلى مدينة مسيلة[6].

---

[1] أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري**، مطبعة رمضان الرّيف، 1948م، الجزائر، ص 40.

[2] إبراهيم محمّد السّاسي العوامر، **الصُّروف في تاريخ الصّحراء وسوف**، تعليق: الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات الثّالثة، الأبيار، 2007، الجزائر، ص 27.

[3] محمّد رشدي جراية، **الصّحراء الجزائرية، دراسة في الجغرافيا**، مجلّة البحوث والدّراسات، العدد (24) السّنة 14، صيف 2017، ص 343.

[4] تاديور ليفيتسكي، **دور الصّحراء الكبرى وأهل الصّحراء في العلاقات بين الشّمال والجنوب**، تاريخ إفريقيا العامّ، ج3، ص 335.

[5] إبراهيم محمّد السّاسي العوامري، المرجع السّابق، ص 41.

[6] ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص 81.

أمّا في نهاية القرون الوسطى فقد اتّضح الإقليم، فحسن الوزّان يذكر أنّ الإقليم يتكوّن من خمسة مدن رئيسية[1].

إلى جانب ذلك هناك إقليم ورجلان، الذي يعدّ من أشهر الحواضر التي لعبت دور نقطة الاتّصال بين شمال المغرب الأوسط وحواضر جنوب الصّحراء، وهذا دور قديم يرجع إلى زمن العهد الرّوماني، وأزهى عصورها الدّور الرّستمي، وجاءت في المصادر الإباضية بـ ورجلان[2]، وغير الإباضية بـ وركلان[3]، ينحصر المجال الواحي لورجلان ما بين بلاد ريغ وبلاد الزّاب جنوبا، إلى إقليم بلاد توات.

-**الصّحراء الغربية:** تضمّ هذه الصّحراء واحات إقليم توات، تتميّز هذه الواحات بقربها من بلاد السّودان الغربي، لذلك لعب هذا الإقليم دورا حضاريا، ويمكننا أن نقسّم الإقليم إلى ثلاثة وحداتٍ أساسية، وهي كالآتي:

الأولى منطقة تينجورارين (قورارة)، وتقع في الجهة الشّمالية من الإقليم، يحيط بها العرق الغربي من جهة الشّمال والشّمال الشّرقي، ومن الجنوب هضبة تادمايت، ومن الشّرق الحوض الشّرقي لواد السّاورة[4]، وتُعدّ من أهمّ المراكز الحضارية في التّواصل

---

[1] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص ص 138، 139، 140.

[2] عبد الرّحمان الجيلالي، **أبو يعقوب يوسف الوارجلاني وكتابه الدّليل والبرهان**، مجلّة الأصالة وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية، الجزائر، العدد41، 163.

[3] ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، الدّيوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1985، ص126.

[4] محمّد صالح حوتيه، **توات والأزواد**، دار الكتاب العربي، 2007، الجزائر، ص 28.

الحضاري، إذ يصفها حسن الوزّان بقوله: « **وهنا مجمع القوافل، لأنّ تجّار بلاد البربر ينتظرون تجّار بلاد السّودان، ثمّ يذهبون جميعا**»[1]

الثّانية منطقة توات الوسطى، وهي التي تمتدّ من قصور بودة وتيمي شمالا إلى رقّان جنوبا، ثمّ منطقة تيدكلت فهي تمتدّ من آولف إلى فقّارة الزّوال بعين صالح شرقا ويتربّع الإقليم على مسافة 700 كلم[2].

-**الصّحراء الجنوبية:** تتموقع هذه الصّحراء في أقصى جنوب المغرب الأوسط وهي أرض مرتفعة تسمّى مرتفعات الأحجار أو **الهقار**[3]، وينطلق الإدريسي إلى تسميته بالآزقار(أزجار)[4] وصحراء الهقار عبارة عن مرتفعات بركانية عالية تقع وسط الصّحراء ما بين تيدكلت وعين صالح من جهة الشّمال الغربي، ومرتفعات الطّاسلي آجر وجانت من جهة الشّمال الشّرقي، ومن الغرب تنزروفت، وعين قزّام جنوبا[5]

---

[1] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص 141.

[2] أحمد أبا الصّافي الجعفري، **العلاقات الثّقافية بين التّوات والسّودان الغربي خلال القرن 12هـ** دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، 2009، الجزائر، ص31.

[3] تاديور لفيتيسكي، المرجع السّابق، ص 337.

[4] الإدريسي، المصدر السّابق، ص 36

[5] آمال هاشمي، **الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر**، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ والحضارة الإسلامية، كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السانيا الجزائر،2008/2007، ص 02

يحدّد لنا حسن الوزّان صحراء **ترجا Targa (تاركة)** في الهقار بقوله: "**الصّحراء التي يسكنها شعب تاركة تبتدئ الصّحراء الثّالثة عند تخوم الآير غربا وتمتدّ إلى القفر إيفيدي شرقًا وتتاخم شمالاً مفازات توات وتيكورارين وميزاب، وجنوبا المفازات القريبة من مملكة أكدز**"[1].

إذن، فغالبية سكّان الصّحراء الجنوبية للمغرب الأوسط هم الطّوارق بلا منازع فهم أسياد الصّحراء، نجدهم ينتشرون من جنوب إقليم توات إلى غاية تنبكتو، مرورا على خطّ طول نهر النّيجر في الجنوب الغربي، إلى غاية فزان وغدامس[2]، والطّوارق عند ابن خلدون بطون صنهاجة التي سكنت صحراء المغرب الأوسط[3]، ويُطلق عليهم بـ "**الهكارة**"[4]، وعند "**بوفيل**" أنّ أغلب سكّان الصّحراء الكبرى هم من الطّوارق[5].

المطلب الثّاني: الواقع السّياسي للمغرب الأوسط:

1-الحالة السّياسية للمغرب الأوسط (حواضر الشّمال)

[1] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص152.

[2] M. Doumas, Le Sahara algéries, Etudes géographiques statistiques et historiques sur la région au sud des l établissement franÇaises, paris, 1845, p323.

[3] ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6، ص 143.

[4] نفسه، ص143.

[5] بوفيل، المرجع السّابق، ص106

اتّسم القرن الثّاني عشر الميلادي بتلك الحركة الواسعة التي قادها محمّد بن تومرت القائد الرّوحي لدولة الموحّدين، وعبد المؤمن بن علي القائد العسكري، تمكّنت هذه الدّولة من توحيد بلاد المغرب والأندلس تحت راية واحدة، إلاّ أنّه وبعد معركة الاعُقَاب سنة (609هـ/1212م)[1]، دبّ الوهن في مفاصل الدّولة وبدأت سلسلة من الانقسامات وتابعتها سلسلة من الثّورات والفتن الدّاخلية[2].

انقسمت بلاد الأندلس إلى إماراتٍ (بلنسية، مرسيه، وإشبيلية)، إلاّ أنّ هذه الإمارات لم تقوَ على مواجهة الحملات الصّليبية الإسبانية التي ابتلعتها الواحدة تلوى الأخرى، لم تصمد سوى مملكة بني الأحمر (بني النّصر)[3] في غرناطة حتّى سنة (897هـ/1492م)[4] وبها سقط عَلمُ الإسلام والحضارة الاسلامية في أوروبا.

---

[1] علي بن أبي الزّرع الفاسي، **الأنيس المُطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المَغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة، الرّباط، 1973، ص ص 238 – 240؛ مارمول كربخال، المرجع السّابق، ج1، ص 373.

[2] محمّد أحمد أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي 515-686هـ/1121-1287م**، دار المعرفة الجامعية، مصر 1996م، ص ص 104 – 109.

[3] يرجع أصل ملوك بني النّصر إلى محمّد بن يوسف بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن حسين بن النّصر بن قيس الأنصاري الخزرجي من ولَد سعد بن عبادة سيّد أنصار رسول صلّى الله عليه وسلّم، ويُقال أصل تسمية الأحمر أيام ثورة المولّدين التي قام بها عمر بن حفصون، إلى لون الهضبة التي بُنيت عليها، وقيل إلى شقرة جلودهم؛ للمزيد انظر: لسان الدّين بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدّول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص 115؛ لسان الدّين بن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977م ج4، ص 38.

[4] صالح عبّاد، الجزائر خلال الحكم التّركي 1514م – 1830م، ط3، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص 7.

انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاثة كيانات سياسية، ففي الجزء الشّرقي سيطر بنو حفص[1] مشكّلين بذلك المملكة الحفصية، وفي الجزء الوسط سيطر بنو زيان، أو بنو عبد الواد[2] على المغرب الأوسط وقاعدتهم تلمسان، أمّا في الجزء الغربي وهو المغرب الأقصى، سيطر عليه بنو مرين[3] مشكّلين بذلك مملكة المرينيّين وقاعدتهم فاس.

إنّ أهمّ ما يميّز الحالة السّياسية منذ نهاية القرن الثّامن الهجري في بلاد المغرب الأوسط التي كانت تحكمه الدّولة الزيّانية، هو كما قسّمه الباحثون، دور الانحطاط والسّقوط، الذي دام 171سنة، وذلك من 791هـ/1389م، إلى سنة 962هـ/1554م سنة سقوط الدّولة الزّيانية على يد الأتراك العثمانيّين[4].

---

[1] ينتسب الحفصيون إلى أبي حفص عمر، وهو من أصحاب المهدي بن تومرت العشرة الذين يسمّون بالجماعة، واسمه الحقيقي هو: فصكة بن ومزال، وهو من قبيلة هنتاتة؛ للمزيد انظر: أبو عبد الله محمّد بن أحمد ابن الشّماع، الأدلّة البيّنة النّورانية في مفاخر الدّولة الحفصية، تحقيق: الطّاهر بن محمّد المعموري، الدّار العربية للكتاب، 1984م، ص 48؛ عبد الواحد المرّاكشي المصدر السّابق، ص255 وما بعدها.

[2] بنو عبد الواد هم فرع من زناتة، ويرجع أصل التّسمية إلى جدّهم عابد الوادي، تمكّنوا من بسط سيطرتهم وتأسيس دولة دام حكمهم قرابة ثلاثة قرون، ومن أشهر ملوكها مؤسّسها يغمراسن بن زيّان، ويُقال أنّ السّلطان أبو حمو الثّاني هو من غيّر اسمها إلى الدّولة الزّيانية نسبةً إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن؛ **للمزيد انظر**: التّنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدّرّ والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمّد بوعيادة، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص ص 110 – 111.

[3] بنو مرين فخذ من قبيلة زناتة البترية، وهم ينتهون في نسبهم إلى جدّهم الأعلى مرين بن وتاجن بن ماخوخ بن جديح بن فاتن. للمزيد انظر: ابن أبي الزّرع، المرجع السّابق، ص 14.

[4] مريم بوخاوش، **آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم في التّاريخ الإسلامي الوسيط**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزرّيعة، الجزائر، 2015/20014 ص 158.

كما أسلفنا سابقًا أنّ أهمّ ميزة بين هاته الدّول الثّلاثة هو الصّراع المستمرّ فيما بينها من أجل توسيع النّفوذ والرّقعة الجغرافية، والدّولة الزّيانية أكثر دولة تتعرّض لأطماع المرينيّين والحفصيّين بحكم موقعها في الوسط[1].

كما زاد في تدهور الحالة السّياسية للمغرب الإسلامي والمغرب الأوسط خاصّة أنّه لم يكتف أهل هذا القطر المغربي لسوء حظّهم بمحاربة دولة لدولة أو ملك لملك إنّما في داخل كلّ دولة وحول كلّ ملكٍ كانت الدسّائس والفتن والمؤامرات والقتل، وما يتخلّل ذلك من هول ومن فظائع هي القاسم المشترك الذي أردى البلاد وحطّم قواها وجعلها فريسة لكلّ مفترس[2]، وبذلك أصبحت مجرّد مستنقع سياسيٍ من المدن الصّغيرة والقُرى المستقلّة، لا وجود للسّلطة المركزية[3].

مع نهاية القرون الوسطى أصبح المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط يمثّل لوحة محزنة[4]، ولو عدّدنا نتائج هذا التّناحر والتّشرذم على السّلطة، فإنّ نتائجه وخيمة، والتي منها:

2- ظهور الإمارات المستقلّة في المغرب الأوسط:

-إمارة الثّعالبة:

---

[1] عبد الرّحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر...**، المرجع السّابق، ج2، ص 181.

[2] أحمد توفيق المدني، **تلمسان بين الزّيّانيين والعثمانيين 1530 – 1554م**، مجلّة الأصالة العدد 26، ص 38.

[3] جيمس وواف، **الجزائر وأوروبا**، ترجمة وتحقيق: أبو قاسم سعد الله، دار المعرفة، الجزائر 2009، ص ص 23 – 24.

[4] إيفانوف نيقولاي، **الفتح العثماني للأقطار العربية**، ترجمة: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988، ص 97.

ينحدر الثّعالبة من قبيلة معقل العربية، فهم من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن الصّغير، موطنهم لهذا العهد (أواخر ق 14م) بمتّيجة من بسيط الجزائر[1]، أدّى ضعف الدّولة إلى صراع بين الثّعالبة وحكّام مدينة الجزائر بني مزغنّة الذين كانوا منبوذين من طرف السّكّان لسوء تسييرهم وقسوتهم على السّكّان[2]، في بداية القرن 16م كان الثّعالبة هم الحكّام الفعليّون لمدينة الجزائر، وكانت شخصية سالم التّومي الذي ينحدر من نسل الولي الصّالح عبد الرّحمن الثّعالبي، وتتولّى هذه القبيلة إدارة شؤون المدينة عن طريق الأعيان والعصبية[3]، وسيكون لهذه الإمارة دور كبير في الأحداث الهامّة، مثل الاحتلال الإسباني، و صراعها ضدّ العثمانيّين.

-إمارة كُوكُو:

ينحدر أصل الأمير المؤسّس لهذه الإمارة إلى الأصل الغبريني أو قبيلة **بني غبري** القاطنة جنوب بجاية، وبهذا يكون من سلالة العالم الجليل الغبريني صاحب كتاب "**عنوان الدّراية**"، وقاضي بجاية، جاء في قصّة قيام هذه الإمارة أنّ "أبو العباس الغبريني" قد قام بوساطة لدى حكّام بجاية لحلّ نزاعٍ بينه وبين حاكم تونس نظرًا لمكانته الدّينية غير أنّه تمّ اغتياله من قِبل حاكم بجاية بتهمة الخيانة، ففرّت زوجته لاجئة إلى بلاط الملكي في تونس وأنجبت هناك ولدا من أحفاد هذا الولد، ثمّ خرج أحدهم يُدعى أحمد أو القاضي، وقد عيّنه السّلطان الحفصي حاكمًا على مدينة

[1] ابن خلدون، **العِبر...**، ج 6 ص ص 84 – 85.

[2] بن عتّو حمدون، **الثّعالبة في الجزائر من خلال المصادر المحلّية**، مجلّة الحوار المتوسّطي جامعة سيدي بلعبّاس، العدد 15، 2017، ص 436.

[3] شوفاليه كورين، **ثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510 – 1541م**، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 9.

عنّابة[1]، وكانت شخصية أحمد شخصية علم وفقه، واشتغل قاضيا، وقد أرسله السّلطان الحفصي لمساعدة الإخوة بربروس من أجل تحرير مدينة بجاية.

عندما وصل إلى جبال البابور استقبلته القبائل من أجل مبايعته، وفي سنة 1511م اتّجه أحمد أو القاضي إلى جبال جرجرة من أجل تأسيس مملكة وعاصمتها قرية **أورير** التّابعة لعرش **آث غوريري**[2].

إمارة بني عبّاس:

هناك تضارب في الآراء عن أصل بني عبّاس، فمنهم من يعتبرهم من المقرانيّين ذات الصّلة بالأدارسة أشراف فاس، تفرّعوا من سلالة سيدي بوزيد بن إدريس الثّاني[3] والرّحالة الورتلاني يذكرهم بالأشراف[4]، ومنهم من أرجعهم إلى الأصل الحفصي في الجنوب غربي بجاية على بعد أربعة فراسخ عن مملكة كوكو، كان بنو العبّاس هؤلاء يسكنون، وقد اعتادوا العيش أحرارا، لم يؤدّوا منذ زمن بعيدٍ الضّريبة لسلطان أو أمير وكان رئيسهم عبد العزيز في صراع مع مملكة كوكو[5].

3-التّحرّشات الإسبانية لسواحل المغرب الأوسط:

---

[1] سالم جوامع، **الإمارات المستقلّة بالمغرب الأوسط مطلع العصر الحديث: أصولها ونشوءها**، مجلّة مدارات تاريخية، المجلّد2، العدد4 ديسمبر 2020، جامعة الوادي، ص 356.

[2] علي ابن الشّيخ، **مملكة كوكو ونظامها السّياسي والعسكري**، أطروحة دكتوراه في اللّغة والثّقافة الأمازيغية، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2018، ص ص 51 – 52.

[3] سالم جوامع، المرجع السّابق، ص 356.

[4] الورتلاني، **نزهة النّظّار في فضل علم التّاريخ والأخبار**، مطبعة بير فونتانا، الجزائر، 1908 ص 11.

[5] علي بن الشّيخ، المرجع السّابق، ص52.

يصف النّاصري حالة الانحطاط التي آل إليها المغرب الأوسط قائلا: "**اعلم أنّ المغرب حرسه الله وكلأه بعين حفظه، لم يزل بجميع نفوذه وسواحله وأقطار منذ الفتح إلى المئة التّاسعة محفوف الجوانب من طُرق أمم الفرنجة وغيرهم...ولمّا دخلت المائة التّاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بني حفص بإفريقية وبني زيّان بالمغرب الأوسط، وبني مرين بالمغرب الأقصى وبنو الأحمر بالأندلس وأشرفت على الهرم، وحدثت الفتن بين المسلمين...أخذ الإسبان يهاجمون السّواحل لاحتلالها**"[1].

-احتلال المرسى الكبير (وهران):

كان المرسى الكبير (وهران) ميناءً هامّا يمكن أن ترسو فيه المئات من المراكب والسّفن الحربية والتّجارية بسهولة كبيرة، وفي مأمن من العواصف البحرية[2]، بالإضافة إلى أنّه من أهمّ المناطق السّاحلية المفعمة بالأنشطة التّجارية، حيث كانت السّلع تصل إليه حتّى من إفريقيا جنوب الصّحراء لتُصدّر إلى أوروبا، هذه المكانة والأهمّية جعلت من الأوروبيّين يتوقون للسّيطرة على سواحل المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بالخصوص.

فبناءً على تقرير التّجسّس الذي أعدّه الجاسوس "**فيانيلي**" الذي اعتبر مدن بلاد المغرب من أغنى المدن، فهي غنية وأسواقها عامرة[3]، وبالفعل تمّ احتلال المرسى الكبير وسقط بيد الإسبان يوم 13 سبتمبر 1505م، بعد مقاومة باسلةٍ من طرف

[1] النّاصري، **الإستقصا**، ج4، ص 109.

[2] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص 31.

[3] عبد القادر فكاير، **الغزو الإسباني للسّواحل الجزائرية وآثاره**، دار هومة، الجزائر، ص 53

الأهالي والحامية الزّيانية[1]، ولقد هزّ الاحتلال الإسباني للمرسى الكبير عرش دولة بني زيّان في تلمسان، فاغتنم الأمير الزّياني يحي الفرصة وخرج ضدّ الملك أبي حمو الثّالث الزّياني، وسيطر على تنس 1506م[2].

-احتلال مدينة وهران:

ارتبط اسم وهران باسم الرّاهب **الفرنسيسكان، الكاردينال خمنيس** الذي كان من أكبر المحرّضين على احتلال المرسى الكبير، كان هذا الوزير المسنّ يعدُّ العدّة ويهَيّج قادة الجيش لاحتلال وهران، وبالفعل فبعد وصوله للمرسى الكبير بدأ يعدّ لمحاصرة وهران[3]، وصلت الحملة التي انطلقت من إسبانيا إلى المرسى الكبير يوم17 ماي 1509م في 15 ألف جندي، يقودهم بيدرو نافورا، انضمّت إليها القوّات المجودة في المرسى[4] وانطلقوا إلى وهران، بدأ الجيش الإسباني باحتلال المرتفعات ومنها بدأ القصف على الأسوار والمدينة.

ممّا زاد في نجاح هذه الحملة الصّليبية هو دور العملاء الإسبان الذين دخلوا المدينة منذ مدّة، وبدوءوا بزرع الشّكوك والبلبلة وإشعال النّيران في مختلف الأماكن لإيهام النّاس بأنّ العدوّ موجود في المدينة ولا أمل في المقاومة[5]، وتذكر المصادر عن اليهودي **الماكس الإشبيلي سطورا**، وبعض الخونة أمثال عيسى العربي وابن قانص

---

[1] أحمد توفيق مدني، **حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**، ط2، المؤسّسة الوطنية للكتاب 1984، الجزائر، ص 100.

[2] صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 28.

[3] هاينريش فون مالتاس، **ثلاث سنوات في شمال إفريقيا**، ترجمة: أبو العيد دودو، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، 1980، ج2، الجزائر، ص ص 27-28.

[4] نفسه، ص 28.

[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص 110.

الذين فتحوا لهم أبواب المدينة سرّا، وبهذا تمكّن من دخول المدينة واحتلالها فراحوا يقتلون ويذبحون[1]، وتشير الرّوايات أنّ الإسبان قتلوا حوالي أربعة آلاف من سكّان المدينة، وأسروا حوالي ثمانية آلاف آخرين، كما حوّلوا المسجدين الرّئيسيين إلى كنيستين، وأنشأ ديرين لتنصير المسلمين ونصّب مفتّشا لمتابعة اليهود والزّنادقة[2]، ولقد انعكس احتلال وهران سلبا على مملكة بني زيان، فقد خسرت مدينة تجاريةً هامة، كما كان للوجود الإسباني في وهران أثر كبير على علاقة المملكة بالقبائل المجاورة للمدينة فتمكّنوا من استمالة قبيلة بني عامر الكبيرة التي انحازت للإسبان[3].

- احتلال بجاية:

انطلقت الحملة على من المرسى الكبير بقيادة بيدرو نافارو يوم 30 نوفمبر 1509م وصلها في أول جانفي من سنة 1510م في حوالي 15 ألف جندي، وكان الاحتلال يوم 5 جانفي، وتذكر بعض الرّوايات: كان سقوطها دون مقاومة تُذكر من سكّانها، كما أنّه فرّ كلّ ساكنيها وكذلك الملك[4]، إلاّ أنّ رواية المريني التي مفادها أنّ الملك السّلطان عبد العزيز كان في قسنطينة في صراع مع أخيه أبي بكر والي المدينة، ولمّا وصل خبر نزول الإسبان في بجاية أرسل ابنه أبا فارس ليجمع كلّ القوّات للدّفاع عن المدينة[5].

---

[1] محمّد بن يوسف الزّياني، **دليل الحيران وأنيس السّهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، 2007، الجزائر، ص 141.

[2] مالتاس، المرجع السّابق، ج2، ص29؛ يحي بوعزيز، **مدينة وهران عبر التّاريخ**، دار البصائر طبعة خاصّة، 2009، الجزائر، ص 41.

[3] صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 30.

[4] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص 51.

[5] الشّيخ أبو علي إبراهيم المريني، **عنوان الأخبار فيما مرّ على بجاية**، ص ص 249 – 250. نقلاً عن صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 32.

يتّفق المؤرّخون أنّ الإسبان دخلوا المدينة من أعاليها (جبل غورايا)، واحتدمت الحرب برًّا وبحرا، غير أنّ الهجومين مُنيا بالفشل، ويذكر المريني أنّ عدد الذين استشهدوا في هذا اليوم 4500 شهيدا، منهم ولدا السّلطان عبد العزيز (أبو فارس وأبو عبد الله) ورجال الدّين والأندلسيّون والمرابطون[1]، بعد أن سيطر الإسبان على المدينة دعوا السّكّان للعودة إليها بشرط دفع تكاليف الحرب ودفع الضّريبة والتّكفّل بمؤونة الحامية، ولقد عاث الإسبان فسادًا في المدينة[2].

-توسّع النّفوذ الإسباني في سواحل المغرب الأوسط

علم سكّان مدينة الجزائر بسقوط بجاية في يد الإسبان فسارعوا إلى إرسال وفد إلى بجاية ليعلن استسلام مدينتهم وتمّ توقيع وثيقة الاستسلام التي يعترفون فيها بالسّيادة الإسبانية ويقدّمون الرّهائن ويطلقون سراح العبيد المسيحيّين، كما اشترطت الوثيقة أن يسير القائد سالم التّومي إلى بورغوس في إسبانيا لتقديم التّهاني شخصيا للعاهل الإسباني، وأنشأ الإسبان حصنًا منيعًا (حصن البنيون) على إحدى الجزر الصّغيرة لضمان وصول الضّريبة ومراقبة المدينة[3].

يصف لنا الرّحالة حسن الوزّان تهافت المدن على الاستسلام وطلب الأمان فأعلنت كلٌّ من دلّس وشرشال الاستسلام[4]، ثمّ وقّعت مستغانم ومزغران معاهدةً يلتزمون فيها بدفع الضّرائب والمُكوس ويطلقون سراح العبيد المسيحيّين، وحتّى تلمسان التحقت

---

[1] نفسه، ص 342 – 347.

[2] نفسه، ص 337 – 338.

[3] Albert DEVOULX. Alger. Etude archéologique et topografique sur cette ville. Revue Africaine. N. 20 (1876). P 66.

[4] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص 38.

هي الأخرى بالرّكب من أجل البقاء، فتحالفت مع الإسبان سنة 1511م، وبموجبها أصبحت تحت الحماية الإسبانية.

المطلب الثّالث: الحالة السّياسية للفضاء الواحي للمغرب الأوسط

1-الإمارات المستقلّة في واحات المغرب الأوسط

لقد ألقت الاضطرابات السّياسية في حواضر الشّمال بظلالها على حواضر الجنوب، وهذا على طول المجال الواحي من بلاد ريغ مرورًا ببلاد الزّاب إلى جبال الهقار، ثمّ إقليم توات الذي يعدُّ القلب النّابض لجنوب المغرب الأوسط، كانت مدينة تقرت كغيرها من مدن المغرب الأوسط تعيش في حال اضطراب وفتن، وكانت تقرت تتمرّد وتمتنع عن دفع الضّرائب لسلطة الحفصية في تونس، مثل تمرّد يوسف بن الحسين من بيت مشيخة تقرت وتمرّده على السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان (839-894هـ/1435-1488م)، فاضطرّ هذا السّلطان للخروج إليها مرّتين، الأولى سنة 853هـ[1]، والثّانية سنة 869هـ[2]، في خضمّ هذا الاضطراب تأسّست إمارة بني جلاّب التي تنتسب إلى أسلاف بني مرين[3].

في ورجلان كانت السّلطة والسّيادة لعائلة ابن غابول الوقنية الإباضية، يذكر ابن خلدون هذه الأسرة بقوله: "... **وسكّانها لهذا العهد من أعقاب بني واركلا وأعقاب إخوانهم من بني يفرن ومغراوة، ويعرف رئيسهم باسم السّلطان، ورياسته لهذا العصر**

[1] الزّركشي، **تاريخ الدّولتين**، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 143.

[2] مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص 404.

[3] العياشي، المصدر السّابق، ج، ص 51

مخصوصة ببني أبي غابول، ويزعمون أنّهم من بني واكير، إحدى بيوت بني وركلا وهو بهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غابول"[1].

انتهى حكم هذه العائلة سنة 1382م، إثر حملة قادها سلطان تقرت من أجل توسيع إمارته والسّيطرة على الطّرق التّجارية، وأمّا السّلاطين فقد فرّوا إلى شِعاب وادي ميزاب، وصارت ورجلان تابعةً للحكم الحفصي، حيث قام سلطان تونس سنة 1465م بزيارتها، كما اتّسمت الفترة بالعداء القائم بين الشّعانبة والتّوارق، الكلّ منهم يريد السّيطرة على حركة القوافل التّجارية العابرة نحو إفريقيا[2]، ولم يكن الحال متغيّرا في وادي ميزاب، فالفتن والاضطرابات السمة البارزة عليه.

يصف لنا الشّيخ أبو مهدي عيسى ابن إسماعيل المليكي (ت971هـ/1563م) في رسالة إلى أهل عمّان يصف فيها الحال بوادي ميزاب قائلا: "**وقد كان بنو مصعب...في السّنين الماضية في فتنة عابسة، أفضت بهم إلى القتل والإخراج والغدر والهدم، إلى أن كادت شموسهم تفول ونسبهم يغول، جرّد الدّهر على أهل الفضل منهم سيف العدوان وأخرجهم من الأوطان**»[3].

ألقى هذا الضّعف والتّطاحن السّياسي بظلاله على المجتمع الميزابي، وهو ما لاحظه الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر[4] الذي قدم إلى وادي ميزاب مبعوثًا من

---

[1] ابن خلدون، المصدر السّابق، ج12، ص 107.

[2] الأزهاري عبّاز، **نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603 ـ1884م**، مذكّرة من متطلّبات شهادة الماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، 2013/ 2014، ص 38.

[3] الحاج موسى بشير بن موسى، **الشّيخ عمّي السّعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي – حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب**–، ط2، مؤسّسة الشّيخ عمّي السّعيد، غرداية، الجزائر، ص 13.

[4] أبو عبد محمّد بن أبي بكر (ت 1049م)، من أبرز الشّخصيات الإباضية والمصلحين، ولد بجبل نفوسة، كان الشّيخ كثير التّرحال لطلب العلم بين المراكز الإباضية، ميزاب وجبل نفوسة

إباضية ورجلان، فقد وجد سكّان وادي ميزاب على جانب كبيرٍ من الجهل والتّخلّف والانحلال، ومنها تعاطي التّدخين والوشم[1].

إلى جانب هذا الصّراع والتّشرذم ظهرت إماراتٌ ومشيخات على طول المجال الواحي للمغرب الأوسط، نحاول ذكر أشهرها:

-إمارة بني جلاّب:

يذكر صاحب مخطوطة تاريخ وادي ريغ أنّ: " **بني جلاّب من بقايا بني مرين، لمّا انقرضت دولتهم ساح دعاتهم في الأقطار طلبًا للمُلك، فسكنت طائفة منهم بتاجموت غربي الأغواط...وأجمعو أمرهم على أن يجعلوه سلطانًا على الواحة وكان ذلك سنة 937هـ**"[2]، وجدّهم الأوّل الذي دخل تقرت هو الحاج سليمان الجلاّب[3]، وكان ذلك خلال القرن التّاسع الهجري (15م)، وخلف أبناءه من بعد علي، ثمّ أحمد، ثمّ السّلطان عمر ابنه، ثمّ أخوه سليمان، ثمّ ابنه أحمد الذي في عهده دخل الأتراك العثمانيّين مدينة

وجربة، وله مسجد أسّسه (مسجد فرسطاء)، له مواقف سياسية إزاء الفتن الحاصلة في ذلك الوقت له كثير من المؤلّفات، للمزيد انظر: مجموعة مؤلّفين، **معجم أعلام الإباضية**، ج4، قسم المغرب المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999، ص ص 772-779.

[1] النّوري حمّو عيسى، **دور المزابيّين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، ج1، مطبعت البعث، (د ت)، الجزائر، ص 60؛ زدك إبراهيم، **معروف بالحاج، أعلام القرن 10هـ/16م في منطقة وادي ميزاب**، مجلّة النّاصرية للدّراسات الاجتماعية والتّاريخية، المجلّد 9، العدد 1 جوان 2018، جامعة تلمسان، الجزائر، ص ص 471-472.

[2] بن دومة محمّد الطّاهر، **أخبار وأيام وادي ريغ، تحقيق وتقديم:** محمّد الحاكم بن عون، رسالة ماجستير في التّاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011، ص ص 104 – 105.

[3] L. Charles FERAUD. Les Ben Djellab. Sultans de Tougourt . Revue Africaine. N. 23. (1879). Pp 167 – 169.

تقرت[1]، ورُويت أسطورة أخرى أنّه تنازع سكّان أهل تقرت فاتّفقوا على تولية أوّل داخل للبلدة، فدخلها أعرابي من الصّحراء يقود قطيعه، فولّوه أمرهم، وعُرف بالجلاّبي نسبة للقطيع الذي يعرف بالجلب[2].

عند المؤرّخ عبد الرّحمان الجيلالي أنّ تأسيس السّلطنة كان سنة 1450م ويمكن ترجيح تاريخ تأسيس السّلطنة إلى سنة 1531م، لأنّ النّظر في الفترة الممتدّة من تاريخ 1414م، كانت تابعة للسّلطة الحفصية في تونس[3]، يصف حسن الوزّان المنطقة (تقرت وتماسين) قائلا: "توجد حول تقرت عدّة قصور وقرًى وأماكنُ مأهولة على طول مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة، وكلّها خاضعة لأمير تقرت الذي أصبح يجبي منها مائة وثلاثين ألف مثقال، ولهذا الأمير حرس قوي"[4].

لقد أقام بنو جلاّب إمارتهم في منطقة يسودها الفراغ السّياسي كما أسلفنا سابقا وهم في صراع حول النّفوذ والتّوسع، مثل صراعهم مع بني إبراهيم، سادة تماسين[5].

-مشيخة آل علاهم في ورقلة:

---

[1] محمّد بن عمر، **علاقة بني جلاّب سلاطين تقرت بالسّلطة العثمانية في الجزائر**، مجلّة الحضارة الإسلامية، المجلّد 9، العدد12، 2005، جامعة وهران1، الجزائر، ص 17.

[2] علي غنابزية، وادي ريغ من خلال تاريخ محمّد العدوانيّين، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 2، العدد 1، ص 9.

[3] رضوان شافو، **العلاقات السّياسية بين الدّولة العثمانية والإمارات الصّحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاّب بوادي ريغ أنموذجا 1531 – 1854م)**، مجلّة القرطاس، العدد الثّاني، جانفي 2015، ص 149.

[4] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص ص 135 – 136.

[5] صالح عبّاد، المرجع السّابق، ص 10.

كثرت النّزاعات والفتن في ورجلان، وخاصّة بعد انهيار حكم أسرة بني غابون سنة1382م، ثمّ إبعاد أسرة الفيلاليّين[1]، كما أنّ الوضع في إمارة بني جلاّب أصبح كارثيا، هنا اتّفق العروش الثّلاثة، وهم (بنو وقين، وبنو سيسين، وبنو إبراهيم) سكّان الحضر على استقدام أمير من الأسرة الحاكمة في فاس، بحثا عن النّسب الشّريف[2].

وهكذا قصدت العروش أشراف المغرب، فذهبوا إلى فاس وتمّ اختيار مولاي علاهم بشروط معلومة، يملك ولا يتدخّل في شؤون العرش[3]، ومن أشهر الولاّة نذكر:

-**مولاي علاهم (1603م-1624م)**، هو مؤسّس نظام المشيخة الشّريفة في ورقلة وتميّز عهده بالعمل على تثبيت نظام الحكم.

-**مولاي محمّد (1624م-1930م)**، تميّز حكمه بمواصلة الإصلاحات السّياسية[4].

-**مشيخة آل بابيه بأنقوسة[5]**: يعود أصل بن بابيه إلى الأصول المرينية، الذين استوطنوا المنطقة[6]، أسّس هذه المشيخة الشّيخ الفاسي "إدريس" سنة 1021م، وقد حكم مدّة 60 سنة، ثمّ خلفه ابنه عبد الله سنة 1081م، انقسم الصّراع في صحراء المغرب

---

[1] الأزهاري عبّاز، المرجع السّابق، ص 39.

[2] عبد الله السّايح، **صفحات من تاريخ ورقلة**، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 105.

[3] حكمت أسرة آل علاهم من عام 1602م إلى 1849م.

[4] الأزهاري عبّاز، المرجع السّابق، ص 41.

[5] امتدّ نظام حكم آل بابيه من سنة 1021م إلى سنة 1909 م، وآخر مشايخها الشّيخ السّايح (ت 1909م)، بعد انتفاضة أولاد سيدي الشّيخ، دخلت السّلطة الفرنسية واحة أنقوسة؛ انظر: الأزهاري عبّاز، المرجع السّابق، ص 49.

[6] عبد الله السّايح، المرجع السّابق، ص 105.

الأوسط بين الأسر الثّلاثة، "ابن قانة" و"ابن جلاّب" و"بوعكّاز"، حيث أنّها كانت في صراع دائم[1].

المبحث الثّاني: السّودان الغربي (المجال الجغرافي والواقع السّياسي)

المطلب الأول: المجال الجغرافي لبلاد السّودان الغربي.

1-المجال الجغرافي لبلاد السّودان الغربي:

درج كلٌّ من المغاربة والمشارقة (الجغرافيّون والرّحالة) على تسمية المنطقة الممتدّة من المحيط الأطلسي إلى بحيرة كوري شمال خطّ الاستواء وجنوب الصّحراء بـ " **بلاد السّودان**"،[2] ولعلّ العامل الذي جمع بين توصيف المنطقة هو لون البشرة السّوداء[3]، أمّا من الجانب الأوروبي فقد اصطلح على المنطقة بـ" بلاد نيجيريا نسبة لنهر النّيجر، كما أشار إليها المؤرّخ الرّوماني بليني 115م، وقد سمّاها بنيل الأجناس

---

[1] الأزهاري عبّاز، المرجع السّابق، ص 33.

[2] بلاد السّودان عمومًا أو إفريقيا جنوب الصّحراء الكبرى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

ـ **السّودان الغربي:** هو محلّ دراستنا.

ـ **السّودان الأوسط:** الذي يشتمل على حوض بحيرة كوري (تشاد)، حيث مملكة الكانم البرنو

ـ **السّودان الشّرقي:** فهو الذي يشتمل على الحوض الأعلى والأوسط لنهر النّيل ويتّصل من الجهة الشّرقية بالبحر الأحمر، ويشتمل على مناطق دارفور، وكردوفان، وبلاد النّوبة، والحبشة. للمزيد انظر: مجموعة من الأساتذة، **أطلس العالم**، مكتبة لبنان، بيروت، (د س)، ص 37، يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السّادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار البصائر، 2009، الجزائر، ص 08.

[3] أحمد شكري، **الإسلام والمجتمع السّوداني ـ إمبراطورية مالي 1230، 1430**، إصدارات المجتمع الثّقافي، أبو ظبي، 1999، ص 58، إبراهيم علي طورخان، **الإسلام واللّغة في السّودان الغربي والأوسط**، الهيئة العامّة للتّأليف والنّشر، 1969، القاهرة، ص 52.

السّوداء[1]، يحدّ لنا ابن حوقل المنطقة بقوله: " **وأمّا جنوبي الأرض من بلاد السّودان فإنّ بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط... غير أنّ له حدًّا ينتهي إلى البحر المتوسّط، وحدّ ينتهي إلى البرّية بينه وبين مصر على ظهر الواحات**"[2]، كما عرّفها المقدسي بقوله: " **وأمّا أرض السّودان فإنّها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقّة وهم أجناس كُثر**"[3].

نفهم من القول السّابق أنّ هذا التّحديد جامع لكلّ منطقة إفريقيا جنوب الصّحراء أمّا الإدريسي (ت559هـ) فيحدّد لنا منطقة السّودان مبدؤها من جهة المغرب من البحر الغربي المسمّى ببحر الظّلمات وهي تحوي مدينة أوليل وسلى وتكرور وبرسي ودو ومروة وغانة، وهي تمتدّ طولا إلى بداية الإقليم الثّالث وتمتدّ عرضًا إلى الجزء الثّالث من كلّ إقليم[4]، وينتقل الزّهري الذي سمّى بلاد السّودان «**بأرض جناوة**"، والتي حدّدها من المغرب بالبحر الأعظم (المحيط الأطلسي)، ومن الشّرق بآخر بلاد ورجلان إلى آخر بلاد المرابطين ومن بلاد أميمة[5]، ومن الشّمال الآخر بلاد أزقي[6]، والآخر من

---

[1] إبراهيم علي طورخان، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، هيئة المصرية العامّة للتّأليف والنّشر، القاهرة، 1970، ص 07.

[2] ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة دار الحياة، لبنان، 1992، ص 24.

[3] المقدسي محمّد بن أبي بني، **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم**، طبعة ليدن، 1959، ص 331.

[4] أو عبد الله الشّريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، مكتبة الثّقافة الدّينية، (د م)، (د س)، ص 17-18.

[5] أميمة هي قرية كبيرة على ضفاف نهر النّيجر، وتسمر بميمية تقع ما بين مالي وتنبكتو، للمزيد انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 699.

[6] أزقي أو أزكي، وهي مدينة من بلاد مسوفة وهي أول مراقي الصّحراء، وقد كانت العاصمة الجنوبية للمرابطين، وذكر البكري أنّ بها حصنا بناه يانو بن عمر الحاج وهو أخو يحي وأبي بكر ابني عمر اللّمتوني، **للمزيد انظر**: الشّريف الإدريسي، **المغرب وأرض السّودان ومصر والأندلس**

بلاد النّول في السّوس الأقصى[1]، ويعرّف لنا القزويني بلاد السّودان أنّها تلك البلاد التي:" **ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى المحيط[2]، أمّا السّعدي فيحدّد بلاد السّودان: هي تلك المنطقة الواقعة جنوب الصّحراء الكبرى من المحيط الهندي إلى بحر الظّلمات[3].**

خلال القرن الخامس الهجري أحدث البكري ثورة جغرافية من خلال موسوعته التي تعتبر من المصادر الأساسية في الكتابة التّاريخية السّودانية، فقد أطلق كلمة السّودان على الغرب الإفريقي[4]، والذي يمتدّ من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف بلاد النّوبة على النّيل الشّرقي، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلاً إلى بلاد السّودان[5]

نلاحظ أنّ الجغرافيّين الذين كتبوا حول السّودان الغربيّ قد حدث لهم خلطٌ بين نهر النّيل المصريّ ونهري السّنغال والنّيجر، اللذان يعتبران من أهمّ حدّي بلاد السّودان الغربي، واعتقدوا أنّ نهر النّيجر والسّنغال والنّيل المصري لهما نفس الامتداد، كما أنّ

مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، 1863، د ط، ص 60 البكري المصدر السّابق، ص 176، محمّد المحجوب ولد بيه، **موريتانيا جذور وجسو**، مكتبة القرنين 16/15 للنّشر والتّوزيع، 2016، ص 46.

[1] الزّهري أبو عبد الله بن محمّد بن أبي بكر، كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمّد الحاج الصّادق، مكتبة الثّقافة الدّينية، بور سعيد، (د ت)، ص 125.

[2] القزويني، المصدر السّابق، ص 24.

[3] يُقصد ببحر الظّلمات هو المحيط الأطلسي (الأطلنطي).

[4] البكري أبو عبد الله، **المسالك والممالك**، ج2، تحقيق: أدريان فان، أندري فيري، الدّار العربية للكتاب، تونس، 1992م، 837.

[5] نفسه، ص 837.

التّقسيمات التي تعرف بالسّودان الغربي، والأوسط ، والشّرقي، عرِفت مع الوجود الأوروبي للمنطقة [1].

أمّا في الدّراسات الحديثة فيُطلق اسم السّودان الغربي على المناطق العليا لحوضي السّنغال والنّيجر، وهي تمتدّ من الشّمال فتحدّها الصّحراء الإفريقية الكبرى إلى الجنوب منطقة الغابات الاستوائية، ومن الضّفاف الشّرقية لنهر النّيجر شرقا إلى المحيط الأطلسي[2]، تضمّ هذه المنطقة كلٌّ؛ من السّنغال وغامبيا وسيراليون، وليبيريا وساحل العاج وساحل الذّهب والبنين (داهومي) ونيجيريا، وهو ما يعرف بإفريقيا الغربية، وتقع هذه المنطقة على خطّ عرض 17.9 شمال خطّ الاستواء على وجه التّقريب، وهي تمتدّ على مساحةٍ تبلغ 2.4 مليون ميل مربّع[3].

2-التّركيبة السّكّانية لبلاد السّودان الغربي:

ينقسم السّكان في بلاد السّودان الغربيّ إلى مجموعتين أو عنصرين، عنصر البيض، وعنصر السّود، وحتّى نتمكّن من الإلمام بهذه التّركيبة البشرية وجب علينا أن نفصّل في المجموعتين وأهمّ الأجناس التي تدخل تحتها، وهي كالآتي:

---

[1] أحمد عبّاد، **المستكشفون الأوروبيون في غرب إفريقيا بين الاكتشافات والاستعمار من نهاية القرن الثّامن عشر إلى نهاية القرن التّاسع عشر الميلاديين**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ، تخصّص: التّاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، كلّية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التّاريخ، الجامعة الإفريقية أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2011/2010، ص 30 وما بعدها.

[2] نور الدّين شعباني، **محاضرات في تاريخ ممالك السّودان الغربي**، دار الجزائر، 2015، ص 04.

[3] شوقي الجمل وعبد الله عبد الرّزاق إبراهيم، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا**، مكتبة الإسكندرية القاهرة، 1998، ص 05.

-**البيض:** وهم الذين ينحدرون من أبناء سام بن نوح عليه السّلام من العرب والسّوريّين، والعبرانيّين الذين هاجروا عبر فترات تاريخية غابرة، وهم يشكّلون مجموعات وهي[1]: الصّنهاجيّين، وهم صنهاجة اللّثام من البربر، وقد اتّخذوا اللّثام شعارًا لهم، وهم ينقسمون فرعين، لمتونه، وجدالة، وهناك من يطلق عليهم الطّوارق أو التّوارك، نسبة إلى قبائل صنهاجة، وهي "تاركة"، والقسم الآخر وهم "الفلاته" ويُعرفون بالفولاني، وهم شعوب سامية جاءت من المشرق، وهم ينسبون أنفسهم إلى العنصر العربي من القريشيّين، من قبيلتي جهينة وتميم، وهناك من يقول إنّهم ظهروا جرّاء الاحتكاك التّاريخي بين الزّنوج والحاميّين بشعوب بيضاء منذ زمنٍ بعيد، وينتشرون في بلاد السّودان الغربي[2].

-**العنصر الأسود:** يُعرفون أيضًا بالزّنوج، وينحدرون من ولد كوش بن كنعان بن حام، وأمّا ابن خلدون فينسبهم إلى ولد حبش بن كوش بن حام، ويقسّمهم إلى ثلاثة أقسام، النّوبيّون، الزّنوج، والقسم الثّالث هو سائر السّودان الغربي[3]، وهو بدوره ينقسم إلى خمس عائلات عرقية منتشرة، وهي كالآتي:

-**التّكرور:** يُعرفون بالتّوكولور أو السّاراكولي، وقد اقترن اسمهم باسم البلد التي يسكنونها على ضفّتي نهر السّنغال، ويُطلق اسم التّكرور على البلد الذي سكنوه، لذلك في رحلة الملك منسا موسى قد أغضبه المصريّون حينما أطلقوا عليه ملك تكرور

---

[1] نور الدّين شعباني، **دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين الخامس والتّاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين**، أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه في التّاريخ الوسيط، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر 2 2013/2012، ص 42.

[2] نفسه، ص 44.

[3] ابن خلدون، العبر، المصدر السّابق، ج6، ص 264.

وصحّح لهم هذا المفهوم أنّ التّكرور إقليم صغير من امبراطورية مالي[1]، وهنا يقول البرتلي: "**التّكرور إقليم واسع ممتدٌّ شرقًا إلى ادغاغ ومغربًا إلى البحر بني الزّناقية وجنوبًا إلى بيط وشمالاً إلى أدرار**"[2]، والمِيزة التي أثبتتها الدّراسات الأكاديمية أنّ سكّان التّكرور أنّهم مشربون ببياضٍ نتيجة التّزاوج مع جيرانهم البيض[3].

-**السنغاي:** إنّ مصطلح سنغاي كان في بداية الأمر يطلق على البلد الذي يسكنه الشّعب، وهي المناطق المجاورة لنهر النّيجر عند ثنيته، ، يذكر لنا محمود كعت أنّ أصل السّنغاي من العرب اليمنية[4]، ويعتقد أنّهم قدموا أوّل مرّة من السّودان الأوسط فسكنوا في البداية ضفاف المجرى الشّرقي شمال غرب نيجيريا الحالية عند مشارف الغابات الاستوائية ثمّ توسّعوا شمالا،[5] ويتألّف الشّعب من فرعين، وهما "زوما" و"دندي"[6].

---

[1] العمري ابن فضل الله، **مسالك أبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: حمزة أحمد عباس، المجمع الثّقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتّحدة، 2002م، ج4، ص 108.

[2] البرتلي الولاتي(أبو عبد الله الطّالب محمّد ابن أبي بكر الصّديق)، **فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التّكرور**، تحقيق: محمّد إبراهيم الكتاني، محمّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1401هـ/1981م، ص 26.

[3] حسين بوبيدي، **التّغيّرات الاقتصادية والاجتماعية في السّودان الغربي من ق: 5 – 10هـ/11 – 16م**، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم في التّاريخ، تخصّص العلاقات الاقتصادية والثّقافية للمغرب الإسلامي جنوب الصّحراء، كلّية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2021/2020، ص 36.

[4] محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس**، دار النّشر هوداس 1964، باريس، ص 13.

[5] حسين بوبيدي، المرجع السّابق، ص 35.

[6] نور الدّين شعباني، **محاضرات في تاريخ ممالك السّودان الغربي**، دار الجزائر، 2015، ص 20.

اشتهرت قبائل السّنغاي بالزّراعة والصّناعة اليدوية وصيد الأسماك، حتّى أنّهم وصفوا بسادة الصّيادين، ونتيجة موقعهم الجغرافي القريب من القبال الصّنهاجية وخاصّة قبيلتي "لمطة و"مداسة" أن إسلامهم كان منذ القرون الأول لدخول الإسلام للمنطقة، إي خلال القرن 4هـ/10م[1].

-**الماندينغ:** ويُعرفون بالماندي تان، والماندينك، ومانديكو، ويسمّيهم الفلاني: ملّ، ويمثّله شعب "البوزو" و "السّوننكي"، وهم الذين يقطنون أساسا في بحيرة ديبو وهم صيّادون، وقد اختلطوا مع قبائل السّنغاي[2]، وينقسم شعب الماندينغ إلى ثلاثة مجموعات كبرى، الأولى وهم ماندينغ الشّمال، ويمثّله شعب البوزو والسّوننكي والمجموعة الثّانية وهم ماندينغ الوسط وهم (كاغورو، البامبارا، الخاسونكي، المالينكي السّينوفو)، والمجموعة الثّالثة، وهم سكّان الفولتا[3].

المطلب الثّالث: الواقع السّياسي في بلاد السّودان الغربي.

1-التّنظيمات السّياسية:

خلال الفترة التي نحاول دراستها تميّز السّودان الغربي بمملكتين عظيمتين (مملكة مالي، مملكة السّنغاي).

-مملكة مالي:

تعاصرت دراستنا المتواضعة للحالة السّياسية والحضارية لبلاد السّودان الغربيّ مملكة مالي الإسلامية في أوجّ قوّتها، ففي سنة 707هـ/1307م، يصل عرش مملكة مالي أعظم مالك في تاريخ السّودان الغربي، وهو منسا موسى بن أبي بكر، كان رجلا

[1] حسين بوبيدي، المرجع السّابق، ص 25.

[2] نفسه، ص 12.

[3] شعباني نور الدّين، **محاضرات** ...، المرجع السّابق، ص 21 وما بعدها.

صالحًا وملكا عظيما، أدّى فريضة الحجّ سنة 724هـ/1323م، والتي تعدّ من أعظم الرّحلات الحجّية في التّاريخ، فإنّه لمّا خرج حمل معه مالا عظيمًا وجيشا عرمرم، ومعه ثمانون ألفا من الجند وخمسمائة نسوة وثمانية آلاف وسبعمائة من العبيد وقيل ستّون ألف رجل من العبيد[1].

من أهمّ أعماله العسكرية التّوسّعية، فقد وصلت إلى غاية المحيط الأطلسي من الغرب، ومن الشّرق وصل إلى مشارف بحيرة التّشاد[2]، وشهدت إمبراطورية مالي في عهده أوجّ توسّعاتها، فمن غابات غينيا جنوبا، وبلاد الهوسا كلّها، وكلّ التّجمّعات البربرية الصّحراء[3]، كما اهتمّ منسا موسى بالجانب الحضاري للمملكة باهتمامه بحاضرة تمبكتو وجعلها قبلة للعلم والعلماء[4]، وأنشأ جامعة سنوري، وأرسل طلاّبا لتلقّي العلوم في حواضر الشّمال مثل فاس والأزهر[5].

بفضل هذا الملك أصبحت بلاد السّودان الغربيّ معروفة عالميا، ففي سنة 731هـ/1339م وجد اسم مالي مكتوبًا على خرائط العالم التي وضعها الجغرافي الإيطالي (أونجيلو دولسرت)، كما عثر في الأطلس الجغرافي الذي وضعه (أبراهام كريسك) لشارل الخامس ملك فرنسا وفيه اسم مالي مرسومًا بوضوح، ويسجّل الرّحالة

---

[1] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 16.

[2] نور الدّين شعباني، **محاضرات...**، المرجع السّابق، ص 54.

[3] السّعدي، المصدر السّابق، ص7.

[4] أبو بكر إسماعيل ميقا، **الحركة العلمية والثّقافية والإصلاحية في السّودان الغربي، من 400هـ إلى 1100هـ – في عهد الممالك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في غرب إفريقيا ما بين القرن الرّابع الهجري والحادي عشر هجري**، مكتبة التّوبة، 1997، ص 49.

[5] مسعودي خالدي، **أبو إسحاق السّاحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فنّ العمارة الإسلامية في السّودان الغربي**، السّاورة للدّراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد 7، جوان 2018 الجزائر، ص 54.

الإيطالي (ما لفنت) في مذكّراته أنّ إيطاليا كانت تطمح للاتّصال والتّعاون مع المملكة في عهد منسى موسى[1].

بعد وفاة الملك منسا موسى سنة 733هـ/1332م، خلفه ابنه منسا مغا، الذي هلك بعد أربعة سنوات من الحكم، ثمّ ولي بعده شقيقه منسا سليمان بن أبي بكر الثّاني (ت 762هـ/1360م)، دخلت مملكة مالي في صراعات سياسية وفوضى، وتمّ نهب مدينة تمبكتو من طرف الموشيين[2]، بعد وفاة سليمان خلفه ابنه قنبتا بن سليمان، الذي حكم مدّة تسعة أشهر، ثمّ ولي بعده "**ماري جاطه**" الذي حكم أربعة عشر سنة، وقد عرف هذا الملك بسوء سيرته وفساده، وهكذا استمرّت هذه المملكة تتراجع يوما بعد يوم، إلى أن تمّ احتلالها كلّيا من طرف الأسقيين (الأسقيا داود) عام 1055هـ/1645م[3]

-مملكة السّنغاي

-**المملكة قبل عهد الأساقي:** تطلق كلمة السّنغاي على الشّعب وعلى المنطقة في آن واحد[4]، يرجع تأسيس مملكة سنغاي إلى بداية القرون الأولى الهجرية، حيث يرى دولافونس أنّها تأسّست خلال القرن السّابع للميلاد[5]، وتحدّث المؤرّخ السّوداني عبد الرّحمن السّعدي عن ملوكها فقال: "أمّا الملك "**زا الأول**"، زا الأيمن أصل اللّفظ جاء من اليمن، قِيل إنّه خرج من اليمن هو وأخوه سائرين في أرض الله تعالى حتّى انتهى بهم القدر إلى بلد كوكيا"، وعدّد السّعدي أربعة عشر ملكًا ماتوا في الجاهلية، وأوّل من تولّى الحكم هو زا اليمن[6].

---

[1] شعباني نور الدّين، **محاضرات**...، المرجع السّابق، ص 55.

[2] نفسه، ص 56.

[3] ابن خلدون، **العبر**...، المصدر السّابق، ج7، ص 265

[4] Trimingham (spencer), Op, Cit, p 84.

[5] Delafosse (M), H, S-N, tome2, p284

[6] السّعدي، المصدر السّابق، ص 10.

من القرن 07م إلى القرن 11م تولّت أسرة ضياء حكم مدينة كوكيا[1]، ثمّ في سنة 1009 انتقلت إلى عاصمة غاو[2]، وقد عرفت هذه المرحلة للملكة الصّغيرة علاقات تجارية مع الدّولة الرّستمية، وعلاقات مع مصر وإفريقية ما بين القرنين العاشر والثّالث عشر الميلادي[3].

خضعت السّنغاي لسيطرة مالي خلال فترة حكم منسى على (1255م-1270م)[4]، وفي سنة 1464 تولّى حكم سنغاي ملك سني علي (ت898م) الذي عرفت فترة حكمه فترة عصيبة على الإسلام، فقد عدّه المؤرّخون وعلماء السّودان طاغيةً فاسقًا لما ارتكبه في حقّ العلماء والصّالحين وخاصّة عندما دخل تمبكتو عام 1486م التي نهبها وحرقها وقتل فيها خلقًا كثيرا، وقد اعتبرها السّعدي اشدّ فتكا من التي قام بها الموشي الوثنيّين عندما غزوا تمبكتو عام 1369م، أو التي قام بها السّعديّون[5].

يرجع الكثير من الدّارسين أنّ سبب حقد سني على الفقهاء والصّلحاء هو أنّه حينما كان صغيرا تربّى تربية إسلامية سطحية[6]، فكان يتذمّر من إرشادات وتوجيهات ومواعظ العلماء، كما أنّ علماء تمبكتو انظمّوا إلى الزّعيم العقيل الملاوي الطّوارقي في حربه ضدّ سني علي واستنجدوا به، توفّي سني علي سنة 1492، وخلفه أخوه أبو بكر داعو، وهذا الأخير الذي ينقلب عليه محمّد توري الأسعد، وهنا تبدأ المملكة عهدًا جديدًا عرِف بـ " **عهد الأساقي** "

---

[1] عزّ الدّين عمر موسى، **دراسات إسلامية غرب إفريقية**، ط2، دار الغرب الإسلامي، 2003 بيروت، ص 76.

[2] عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتّأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصّحراء**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 20.

[3] عزّ الدّين عمر موسى، المرجع السّابق، ص 77.

[4] السّعدي، المصدر السّابق، ص 7.

[5] السّعدي، المصدر السّابق، ص 65.

[6] مقصود بها أنّها مخلوطة بالعقائد والممارسات الوثنية.

-عهد الأسقيين:

تعدّ عائلة الأسقيين آخر عائلة حكمت مملكة سنغاي التي كان نهايتها على يد الغزو السّعدي وامتدّت فترة حكم الأسقيين من 1493م إلى 1591م، الحاج محمّد الكبير (1493م-1428م) الذي نجح في الاستحواذ على الحكم، أوّل ما قام به محمّد الكبير هو آداؤه لفريضة الحجّ سنة 1496م حاملا معه الخدم والحشم والمال الكثير قيل حمل من المال ما يقارب 300ألف دينار ذهبي، وعند مروره بحواضر العلم يلتقي بشيوخها مثل مروره بالقاهرة ولقائه بالشّيخ الفقيه جلال الدّين السّيوطي[1].

تميّز العهد الأخير للمملكة بسوء الأحول على جميع الأصعدة، فالحالة السّياسية لسنغاي أواخر القرن 16م قد كثرت فيها الفوضى السّياسية، فبعد الأسكيا داود تولّى العرش ابنه الأسكيا محمّد الثّالث الذي دخل في نزاع مرير مع أخيه "الهادي" الذي انتهى بقتل هذا الأخير[2]، خلف محمّد الثّالث أخوه محمّد الباني الذي قتل في حملة عسكرية قام بها لقمع ثورة ضدّه، ثمّ خلفة إسحاق الثّاني الذي في عهده سقطت سنغاي تحت الغزو السّعدي، في عهد هذا الأسقيا اشتدّت الفوضى، وضعفت السّلطة[3].

يحدّثنا السّعدي عن الحالة الدّينية فيقول: "حيث ظهر الانحلال الأخلاقي بارتكاب المعاصي جهارًا نهارا، من شرب الخمر، واللّواط، والزّنا، وأصبحت المعاصي

---

[1] نور الدّين شعباني، **دور ملوك السّودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصّحراء بين القرنيين الخامس والتّاسع هجري/ الحادي عشر والخامس عشر ميلادي**، دورية كان التّاريخية، العدد 14، ديسمبر 2011، ص 51.

[2] عبد القادر زبادية، المرجع السّابق، ص 49 -50، السّعدي، المصدر السابق، ص ص 144 – 117.

[3] الحواس الغربي، **ظروف الحملة المغربية السّعدية على مملكة سنغاي**، مجلّة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 05، 2018، ص 66.

مفخرة وزينة وما تركوا شيئًا من معاصي الله إلاّ ارتكبوه"[1]، وممّا زاد في انحلال المجتمع زيادة العادات الوثنية والطّقوس المجوسية [2].

المطلب الثّالث: الواقع السّياسي في بلاد السّودان الغربي.

1-الحملة السّعدية على مملكة سنغاي:

بدأت أطماع سلاطين المغرب في بلاد السّودان الغربيّ منذ أواخر النّصف الأوّل من القرن 10هـ/16م، ففي عام 932هـ طلب السّلطان السّعدي أحمد الأعرج (1518م/1544م) من الأسكيا الأول (945هـ/1549م) أن يتنازل بكلّ برودة عن مناجم الملح في مدينة تغازا[3]، وفي هذا ينقل لنا السّعدي جواب المعبّر بالرّفض قائلا: "**أنّ أحمد الذي سمع ليس هو إيّاه وأنّ إسحاق الذي سمع ليس أنا**"[4]، انجرّ عن هذا أن أرسل أحمد الأعرج حملة عسكرية مكوّنة من ألفي جندي للإغارة على بلاد درعة[5].

وفي عهد محمّد الشّيخ (1544م/1557م) جهّز حملة عسكرية للاستحواذ على تغازه وقتل فيها رئيس الممالح وعددًا من الطّوارق، وفي هذا يقول الفشتالي: "**أجلب الإمام رضي الله عنه على تغازه فانتزعها من يد أسقيا واستضافها للمغرب وعقد عليها لرجاله**"[6]، فكان ردّ الأسكيا داود مقاطعة ممالح تغزا، واختيار مكانٍ آخر يسمّى

---

[1] السّعدي، المصدر السّابق، ص 144.

[2] سيكيني مودي سيسوكو، **السّنغاي بين القرن 12و 16م، تاريخ إفريقيا العام**، اليونسكو المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ص 207.

[3] يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقية الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20**، دار البصائر، الجزائر، ط خ، 2009، ج1، ص 94.

[4] السّعدي، المصدر السّابق، ص 99.

[5] عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي...**، المرجع السّابق، ص 88.

[6] الفشتالي (عبد العزيز بن محمّد)، **مناهل الصّفا في مآثر موالينا الشّرفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبعة ومكتبة عصرية، الرّباط، د ت، ص 144.

الغزلان[1]، ثمّ وصل الطّرفان إلى اتّفاق على أساس أن يتخلّى السّلطان السّعدي عن بعض خَراج ممالح للأسكيا مقابل تسريحهم بيع الملح ببلاده[2]، "**فكان أسقيا يبعث من يحمل له نصيبه من الخَرَاج دون أن يكون له قبضٌ ولا بسط في أحكام البلد والمعدن**"[3].

نتيجةً للظّروف السّياسية في الشّمال وموت محمّد الشّيخ استطاع أهل المنطقة أن يسترجعوا معدن الملح[4]، وصل أحمد منصور الذّهبي إلى الحكم سنة 983هـ/1578م، وشهدت مملكته تطوّرا في السّياسات الدّاخلية والخارجية أساسها التّمركز في المواقع الاستراتيجية خاصّة في الصحراء التي تشتهر بواحاتها ومعادنها والارتكاز في نقاط قريبةٍ جدّا من بلاد السّودان[5]، وهنا نقصد بلاد توات.

بدأ أحمد منصور الذّهبي يتطلّع إلى حلمه الذي ورثه عن أجداده، فأرسل للأسكيا داود بشأن الممالح في تغازه، فكان الأسكيا محنّكًا في الرّدّ بأن يتخلّى السّلطان السّعدي عن الممالح للأسكيا مقابل نصيب معلومٍ من المال[6]، والذي يظهر أنّ الأسكيا كان على دراية بنوايا السّلطان أحمد منصور نظرًا إلى أنّ قوّة الجيش السّنغاي غير

---

[1] نفسه، ص 88.

[2] الحواس الغربي، المرجع السّابق، ص 73. عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدّولة السّعديّة** مطبعة النّجاح الجديدة، 1978، الدّار البيضاء، المغرب، ص 148.

[3] الفشتالي، المصدر السّابق، ص 120.

[4] محمّد مزين، **بلاد المغرب وبلاد السّودان خلال القرنيين 16 – 17 الميلاديين**، مجلّة المؤرّخ العربي، العدد 31، 1987، ص 217.

[5] عبد الكريم كريم، المرجع السّابق، ص148، عميمور أيمن، **حملة أحمد منصور الذّهبي على بلاد السّودان الغربي وموقف السّودانيين منها في النّصف الثّاني من القرن 10هـ/16م**، مجلّة الدّراسات الإفريقية، المجلّد 2، العدد4، 2016، جامعة الجزائر 2، ص 134.

[6] عمّار بن خروف، **العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م**، ج1، دار الأمل، 2006، الجزائر، ص 62.

قادرة على الدّفاع، توفّي الأسكيا داود وخلفه محمّد الثّالث (990هـ/1586م)، وقد توجّه المنصور إلى الأسكيا بالهدايا والتّحف لتهنئته بالعرش، لكنّ هذا الأخير لم يرسل مع الوفد ما كان السّلطان السّعدي ينتظره ، جهّز السّلطان السّعدي حملة متكوّنة من عشرين ألف محارب، لكن هذه الحملة كانت سيّئة التّنظيم فلم تستطع قطع الصّحراء وتفرّق الجند وقُتلوا جوعا وعطشا، ورجعت إلى لمغرب[1].

بعد فشل الحملة الاولى أرسل المنصور حملة ثانية سنة 994هـ/1586م، إلى نفس الممالح إلاّ أنّ العمّال تفطّنوا لها وهربوا وفوّتوا الفرصة على الجيش للنّهب فانسحب الجيش[2]، قامت ثورة في عام 994هـ أطاحت بحكم الأسكيا الحاج محمّد (محمّد الثّالث) ودخلت البلاد في فوضى، تولّى أخ الأسكيا محمّد الحكم إلاّ أنّه توفّي في العام نفسه، وخلفه أخوه الأسكيا إسحاق الثّاني الذي بُويع عام 996هـ/1588م[3].

اغتنم أحمد منصور الذّهبي فرصة الأوضاع غير المستقرّة والتّكالب على الحكم بأن أرسل رسالة إلى الأسقيا إسحاق الثّاني يطلب فيها التّنازل عن الممالح في تغازه وفي هذا يقول السّعدي: "**فلم يساعفه الأمير الأسكيا إسحاق بما طلب من تسليم في ذلك المعدن بل قبّح له الكلام في الجواب**"[4] والاعتراف بسلطة المغرب على سنغاي معلّلا ذلك بالخطر المسيحي من الجنوب[5] وكأنّه نسي الاحتلال الإسباني الذي أخذ سبتة ومليليه من أيدي المغاربة، فهي أحرى أن تحرّر من الغزو الصّليبي.

---

[1] زبادية، المرجع السّابق، ص ص 45 – 46.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السّابق، ج1، ص 95.

[3] عبد الكريم كريم، المرجع السّابق، ص 153.

[4] السّعدي، المصدر السّابق، ص 138.

[5] زباديه، **مملكة سنغاي...**، ص 53.

2-بدايات الوجود الأوروبي في بلاد السّودان الغربي

تعود بداية الوجود الأوروبي ببلاد السّودان الغربي أو غرب إفريقيا كما يُصطلح عليه في العصر الحديث إلى القرن 15م، إلاّ أنّ الأمر يمتدّ إلى ما قبل ذلك، فمنذ القرن 12م تقريبا كانت أوروبا تريد اكتشاف المجهول الإفريقي والوصول إلى بلاد التّبر (الذّهب)، وكان ملوك النّورمان يشجّعون تجّارهم على التّجارة مع الضّفة الجنوبية للمتوسّط.

كان للتّجار الإيطاليّين معرفة كبيرة بالطّرق الصّحراوية، فالخرائط الجينوية[1] تدلّ على لهف الوصول إلى إفريقيا جنوب الصّحراء، وكان السّبب في الكمّ المعتبر من الخرائط، والتي تبيّن الطّرق الصّحراوية للوصول إلى حواضر إفريقيا هو معرفة اليهود الميرقيّين وخاصّة بعد سقوط الجزيرة بيد الإسبان سنة 1229م، إذ بقَوا على اتّصالات مع بني جلدتهم في بقاع الأرض خاصّةً في إفريقيا الشّمال وصحرائها[2]، حيث أنّهم حدّدوا الطّرق بدقّة وأسهلها مثل طريق ميورقة تلمسان، سجلماسة، ثمّ مدن إفريقيا[3].

---

[1] أول خريطة أوروبية وصلتنا هي التي تُعرف بـ " خريطة بيزان/ Pisan نسبة لمدينة بيزا، والتي تعود إلى سنة 1290م، ويعتقد أنّها رسمت بمدينة جنوة، وفي سنة 1320م رسم الجينوي "جيوفاني داكرنيالGiovannida Carignan "، الجديد في هذه الخريطة أنّها تظهر التّجارة الصحراوية، مثل مدينة سجلماسة بواحة تافيلالت، والإشارة إلى ولاّته، ونهر النّيجر باسم النّيل الغربي للسّود، وفي سنة رسم أنجيلانو داليرثو Angelino Dalorto"، وهي خريطة جديدة نوعًا ما؛ **للمزيد انظر:** حسين بوبيدي، **التّجارة والتّجار في إفريقيا الغربية من خلال المصادر الأوروبية –ق: 14-16م**-، مجلّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 6، العدد 1، جوان 2020 ، جامعة قسنطينة 2، ص 327.

[2] نفسه، ص 327.

[3] فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنيين السّابع والثّامن هجري الموافق 14 – 15م ميلادين**، دار كنوز الحكمة، 2011، الجزائر، ص 232.

أحدثت خريطة إبراهام كريسك Abraham Cresques"،[1] المؤرّخة سنة 1375م، والمشهورة باسم الأطلس الكتلاني، والمنسوبة لشارل الخامس ملك فرنسا (1354 – 1380م)، وفيها يظهر ملك مالي منسا موسى وهو متوّج بتاج ذهبي وتظهر فيها حاضرتا تمبكتو وغاو مرسوم عليهما تاجرٌ بلباسه الصّحراوي يمتطي جملا، وتظهر فيها إشاراتٌ عن تجارة العاج، وتصف العاهل السّوداني بأنّه: "**موسى مالي عاهل الزّنوج في غينيا، وهو أثرى الملوك وأنبلهم**"، وعلى الخريطة في موضع جبال الأطلس عبارة من هذا المكان يمرّ التّجّار الذين يسافرون إلى بلاد الزّنوج في غينيا[2].

ونتيجة هذه الخرائط، قيل بأنّ هناك محاولاتٍ للوصول إلى إفريقيا جنوب الصّحراء عن طريق البحر، ففي عام 1292م قام الأخوان فيفاديك برحلة ووصلا إلى غامبيا، ولكنّهما لم يعودا، وتبعهما المغامر بنزويتو مالوشيلو، و كان البرتغاليّون سبّاقون لاكتشاف السّاحل الغربي لإفريقيا بداية من رأس بوجدور سنة 1434م، على يد الرّحالة جيل إيناس[3]، ثمّ بعدها تمّ اكتشاف سواحل السّنغال وغينيا سنة 1450م، ثمّ تليها جزر الرّأس الاخضر سنة 1456م[4]، ثمّ مصبّ نهر الكونغو إلى أن وصلوا إلى رأس الرّجاء الصّالح سنة 1487م[5].

---

[1] انظر الملحق: خريطة أبرهام كريسك.

[2] بوفيل، المرجع السّابق، ص 193.

[3] زاهر رياض، **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها على تجارة الذّهب عبر الصّحراء الكبرى**، مكتبة الأنجلو مصرية، 1968، القاهرة، ص 153.

[4] صلاح أحمد هريدي علي وآخرون، **تاريخ أوروبا الحديث**، مكتبة بستان المعرفة، 2005 الإسكندرية، مصر، ص 77.

[5] كي، زيربو، جوزيف، **تاريخ إفريقيا السّوداء**، الدّار الجماهرية للنّشر والتّوزيع والإعلان، 2001 مصراته، ليبيا، ص 322.

بعد وصول البرتغاليّين إلى السّاحل الغربي، وازدهار التّجارة فيها، ظهرت محاولات أوروبية عديدة للوصول إلى تمبكتو التي كانت رمز الازدهار والذّهب والمال وخاصّة أنّ هناك محاولاتٍ قبل ذلك، منها لتاجر من جنوا "أنطونيو مالفنتي Antonio Malfante " الذي وصل إلى توات ولم يكمل طريقه، وكما تذكر المصادر أنّه خلال سنة 875هـ/1470م وصلت أخبار إلى أوروبا عن رجل أعمال وصل إلى حاضرة تمبكتو وكان يتاجر في الأقمشة، وهو "بينيديتو دي Benedetto Dei"، ومن بين المحاولات الأوروبية التي كانت تريد الوصول إلى تمبكتو، رحلة "بول أمبير Paul Imbert" الذي انطلق من مرّاكش سنة 1027هـ/ 1618م، و رحلة الإنجليزي " بارثولوميو ستيبس Bartholomew Stibbs" والذي توغّل إلى نهر غامبيا سنة 1032هـ/1632م، ووصل إلى منابعه[1].

كلّ هذه المحاولات باءت بالفشل نظرًا لعدّة ظروف منها الطّبعية والبشرية، فقد كان الحاجز الإسلامي في شمال القارّة حصنًا منيعًا ضدّ التّوغّل الأوروبي إلى دواخل القارّة عن طريق البرّ لفترة طويلة من الزّمن[2]، كما يضاف إلى هذه الحملات الاستكشافية، تقارير السّفن تتناول التّعاملات التّجارية بين السّكّان وبين البرتغاليين مثل

1. تقرير رحلة السّفينة البرتغالية سنة 1522م، والتي وصفت السّلع والأسواق ووسائل التّبادل.
2. تقرير السّفينة البرتغالية Santiago سنة 1526م، تناولت تجارة العبيد والألبسة.

[1] يسرى عبد الرّزاق الجوهري، **الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف ولتطوّر الفكر الجغرافي** دار النّهضة العربية، بيروت، 1984، ص 207.

[2] يسرى عبد الرّزاق جوهري، المرجع السّابق، ص 208.

3. تقرير فرانسيسكو دي أندراد Francisco d'Andrade، الذي كتب سنة 1582م، تناول فيه الطّابع الاقتصادي لغينيا بيساو والسّنغال وسيراليون.

4. تقرير الرّحالة الإنجليزي ريشردراينولد Richard Rainolds، كتب سنة 1591م، يدور التّقرير حول تجارة الذّهب والعاج، وأهمّ الأسواق في السّودان الغربي[1].

كما لاحظنا همّ البرتغاليّين في البداية كان التّجارة وخاصّة الذّهب، لذلك عقدوا اتّفاقيات مع قبائل الفانتي[2]على طول السّاحل، وهم بدورهم أي قبائل الفانتي تتوسّط مع الأشانتي في الدّاخل[3]، تطوّرت التّجارة إلى السّبي بالقوّة والعدوان والإغارة، والذي يقرأ كتاب غوميس إيانيس دي آزورارا "**تاريخ اكتشاف وغزو غينيا**" يستقرئ جيّدًا أسباب الاستكشاف.

المطلب الرّابع: الأوضاع الحضارية والاجتماعية خلال فترة مدار الدّراسة

1-الحالة الاجتماعية

- **ظاهرة الاسترقاق:**

شهدت المنطقة الجغرافية لبلاد السّودان الغربي ظاهرة قاسيةً على المجتمع السّوداني، وهي استرقاق المسلم الحرّ، وكما لاحظنا سابقا أنّ للحالة السّياسية التي كانت تشهدها المنطقة من نهاية القرن الخامس عشر ميلادي العديد من التّطاحنات والصّراعات، فقد تشتّت امبراطورية السّنغاي وكانو، وظهرت دويلات مستقلّة تصارع

---

[1] حسين بوبيدي، المرجع السّابق، ص 336.

[2] Roland Oliver, Michael Crowder, **The Cambridge encyciopedia of Africa**, Cambrige at the university press, London, UK, 1962, p, p, 48 - 49.

[3] دونالد ل. وايدنر، **تاريخ إفريقيا جنوب الصّحراء**، ج1، ترجمة: علي أحمد فخري، شوقي عطا الله الجمل، مؤسّسة سجل العرب، القاهرة، مؤسّسة فرانكلين للطّباعة والنّشر، 1976، (القاهرة نيويورك)، ص 47.

بعضها البعض، وما زاد الطّينة بلّة الحملة السّعدية على منطقة السّودان الغربي سنة(1519م)، فقد زادت في تأجيج الصّراعات القبلية[1].

ولعلّ المتمعّن في الرّسالة التي بعث بها العالم محمّد بن محمّد بن علي اللّمتوني إلى العالم جلال الدّين السّيوطي في مصر عام (898هـ)، هي تلك الحالة الاجتماعية والدّينية البعيدة كلّ البعد عن التّعاليم الإسلامية، كما يظهر فيها شيوع ظاهرة الاسترقاق في بلاد السّودان الغربي، وهنا يقول: " **ومنهم من يخاصم على الأحرار، ويدعوهم بالعبيد، فإن مات من ادّعى عليه ذلك لم يقسموه بين ورثته، ويدعوهم من بقي باسم الرّقّ، وإن قلت لهم: (هؤلاء أحرار) كادوا يقتلونك، ويقولون هؤلاء عبيدٌ أتباع للسّيف، ومنهم من يجعلهم كالخدم بالضّرب والعذاب، ومنهم من يسخر منهم ويأخذ منهم الأموال ولا يضرّهم في أنفسهم، ومنهم من يبيعهم بالتنافس والتّنازع**"[2].

فكان من الطّبيعي أن تكون نتيجة ذلك الضّعف الوازع الدّيني، وكثرت الغارات على بعضهم البعض وسبي المنهزم، ليباع في أسواق النّخاسة، وهو حرٌّ مسلم، ولعلّ في تلك المراسلة التي دارت بين الفقيه سعيد ابن إبراهيم الجزائري والفقيه أحمد بابا عن تلك الفتاوى التي كانت منتشرة بين العامّة، والتي تبيح الاسترقاق معلّلين ذلك أنّ السّلطان الذي استفتحهم، وهم كفّار اختار إبقاءهم على الرّقّ، وهو ما فنّده أحمد بابا التنبكتي أنّ هذا ما سمعنا به قطّ[3]، وأنّ تجّار العبيد كانوا يرحلون إلى بلاد السّودان فيسرقون ويغتصبون ما شاء من العبيد، و كان القويّ منهم يبيع الضّعيف وفيهم

---

[1] الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، (مقدّمة المحقّق)، المرجع السّابق، ص 14.

[2] جلال الدّين السّيوطي، **الحاوي للفتاوي**، ج1، ضبطه وصحّحه: عبد اللّطيف حسن عبد الرّحمان دار الكتب العلمية، 2000، ط1، بيروت، ص273.

[3] نفسه، ص 54.

المسلمون، كما أنّ شيوع النخاسة والاسترقاق في حروب القبائل التي لا يحسب شيء منها على الجهاد في سبيل الله[1].

عمت البلوى في كامل بلاد المغرب الإسلامي، وأصبحت الأسواق المغرب الاسلامي غارقةً بهم في حاضرة وبادية، وتقرر في نفوسهم أنّ الاسترقاق شرعا هو أسود اللون وكونه مجلوبا من تلك الناحية، وهذا لعمر الله من أفحش المنكر وأعظمها في الدّين[2]، وتجّار العبيد هؤلاء ما هم إلاّ "النّخّاسين[3]، ونحن نعلم من كتب الفقه وكتب الحسبة، أنّهم وُصفوا بعدم الصّلاح وقلّة الأمانة، وكان لهم حيل عظيمة في خداع النّاس، ولقد وصفت لنا الكتب تلك الحيل في إخفاء العيوب[4]، حتّى كان من منهم من يمرق في الدّين، "**وجاهروا بتحليل المحرّم وأكلوا الخنزير وشربوا الخمر في رمضان جهارا**"[5].

---

[1] حول الموضوع انظر: تقرورت عبد الرّؤوف، أحمد بن خيرة، **مسألة الرّقيق السّوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محلُّ مراسلات فقهية بين كلٍّ من: سعيد قدّورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي**، مجلّة المعارف للبحوث والدّراسات التّاريخية، المجلّد7، العدد3، ص 163 وما بعدها.

[2] أبو العبّاس أحمد بن خالد النّاصري، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدّولة السّعدية** ج5، تحقيق: جعفر النّاصري ومحمّد النّاصري، دار الكتاب 1997، الدّار البيضاء، ص 131.

[3] النّخّاسين من النّخاسة، وهي في أصلها بائع الدّواب، وقد سمّي بائع الرّقّ نخّاسا، ظهر هذا المصطلح في الغرب الإسلامي بداية القرن 4هـ و5هـ، ويُطلق كذلك على أسواق بيع الرّقيق بـ النّخاسة أو البركات، وقد تصدّرت حرفة النّخاسة وأهلها كتب الفقه والتّاريخ ووصفت بأبشع الصّور وهذا لما كانت تقوم به من عمل مشين، للمزيد انظر: ابن المنظور، **لسان العرب**، دار الصّادر بيروت، (د س ط)، ط1، ص 228؛ عبد الإله بن مليح، **الرّقّ في بلاد المغرب والأندلس**، مؤسّسة الانتشار العربي، 2004، بيروت، ص227.

[4] إبراهيم القادري، **الإسلام السّرّي في المغرب العربي**، سيتا للنّشر، القاهرة، 1995، ص236.

[5] ابن عذارى المرّاكشي، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب**، تحقيق: ج، س، كولان، ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثّقافة، 1983، بيروت، ص 186.

لا نستبعد من تواطؤ النّخّاسين والتّجّار مع الملوك لتسهيل العملية، كما يحدّثنا حسن الوزّان أنّ ملك البورنو يستبدل العبيد بالخيل البربري، حتّى أنّ الملك ورغم كثرة الذّهب الذي عنده يفضّل دفع المال لتجّار الشّمال رقيقاً[1]، ويحدّثنا ابن بطوطة إلى أنّ القافلة التي كان فيها، والمتّجهة من مدينة تكدا إلى توات كانت تحوي ستمائة خادم[2].

عندما ينقل لنا الباحث المغربي عبد الإله ابن مليح عن دراسة أخرى أنّ عدد الرّقيق الذي كان يُصدّر سنويا من بلاد السّودان إلى الشمال هو 20,000 أسود، إلاّ أنّ بعض الدّارسين فنّدوا العدد، وطرحوا أنّه لا يتجاوز بضع مئات سنويا، معلّلين ذلك بصعوبات نقل الرّقيق عبر الصّحراء، إذْ يتمّ خلالها فرارهم أو مرضهم أو موتهم فضلاً عن ارتفاع أسعارهم[3].

يُلاحظ الباحث كذلك أنّ إقبال المغاربة والأندلسيّين على اقتناء الرّقيق الأسود يسجّل حضوره منذ بداية القرن 5هـ و 6هـ بكثرة[4]، حتّى وإنّ كان بعض الدّارسين يشكّكون في صحّة هذه النّسبة، إلاّ أنّنا ومن خلال الرّسائل الفقهية ندرك حجم التّعدّيات التي تراكمت منذ قرون، لكنّ المصادر تكشف لنا عن حقيقة وجود العبيد بكثرة، وحتّى عند استقراء كتب الرّحلة التي تتحدّث عن الرّقّ المجلوب السّود، نعلم أنّ تلك الصّور التي رسمها هؤلاء لها تداعيات على توجّه كلّ الأنظار إلى الرّقيق الأسود فعندما يتكلّم بن بطوطة عن واقع النّساء من ناحية اتّخاذهن للمتعة، فكيف ولا يتحرّك أصحاب المال و التّجار إلى السّودان الغربي للحصول على تلك الثّروة، فمثلا عندما يتحدّث صاحب الاستبصار عن جواري مدينة أودغشت، ويقول: "**جوارٍ حسانٌ بِيض**

---

[1] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ص ص 176-177.

[2] ابن بطوطة، المرجع السّابق، 712.

[3] عبد الإله ابن مليح، المرجع السّابق، ص 252.

[4] نفسه، ص 200.

الألوان مائلات القدور، لِطاف، ضِخَام الأرداف واسعة الأكتاف ضيّقات الفروج المستمتع بإحداهن كأنّما يستمتع ببكرٍ أبدا، من غير أن يُكسر لإحداهن ثديٌ طُول عمرها" [1].

ولم يكن جمال جواري أودغست وأنوثتهن هي وحدها وراء الإقبال عليهن، فقد كنّ مشهوراتٍ بفنّ الطّبخ، وفي تنويع الوجبات الغذائية، فتنبّه المغاربة إلى جلبهن وتكليفهن بشؤون المنزل[2]، وكانت الإماء لها أهمّية كبيرة في أعمال المنزل كالطّبخ والغسل والمساعدة في تربية الأولاد والحِرف المنزلية كصناعة النّسيج[3]، ومن أهمّ أسباب تفشّي هذه الظّاهرة من وجهة نظرنا عدم التّكاتف بين الفقيه والوالي لوضع حدٍّ فاصل لهذه الممارسات المُشينة، فكما أسلفنا سابقًا إلى أنّ الوضع السّياسي شجّع مثل هذه الممارسات، فعلى حدّ قول بعض من الدّارسين يحمّلون المسؤولية للفقهاء، فالمتمعّن في كتب النّوازل والشّروحات الفقهية يلاحظ صورة الرّقيق الشّيء، وصورة الرّقيق الإنسان[4]، و تشير العديد من المصادر التّاريخية التي كتبت قبل القرن الخامس الهجري إلى وجود العديد من المظاهر المنافية للطّبيعة البشرية، والتي منها انتشار ظاهرة العُري بين السّودانيّين إلى الحدّ الذي ألصقت بهم هذه الصّفة **(السّودان العراة)**.

---

[1] المرّاكشي، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشّؤون الثّقافية العامّة آفاق عربية، د س ط، العراق، ص 215.

[2] عبد الإله بن مليح، المرجع السّابق، ص 201.

[3] ابتسام زاهر، **الأدب النّوازلي مصدرًا لتاريخ الإماء " نماذج من المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"**، مجلّة عصور جديدة، العدد13، ربيع(أبريل) 1435هـ-2014، مجلّة فصلية محكّمة مصنّفة يصدرها مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، الجزائر، ص 19.

[4] عبد الإله بن مليح، المرجع السّابق، 264.

إلاّ أنّ **ظاهرة العُري** بقيت إلى وقت متأخّر جدّا من نهاية القرون الوسطى وبداية العصور الحديثة[1]، وإن كان مبالغ فيها، فستر العورة كان من أولويات المجتمعات الاسلامية.

إذا حاولنا أن ندرسَ المجتمعاتِ السّودانية التي خالطت المسلمين أو دخلت في الإسلام فإن ظاهرة العُري تختفي، كتب القزويني نصًّا يثبت فيه أو يفرّق فيه بين المسلمين السّودان وكفّارهم قائلا: "**أهلها عُراة رجالهم ونسائهم، إلاّ أشراف المسلمين فإنّهم يلبسون قميصًا طوله عشرون ذراعا، ويحمل ذيلهم معهم خدمُهم للحشمة ونساء الكفّار يسترن قبلهن بخرزات العقيق، ينظمنها في خيوط ويعلّقنها عليهن ومن كانت نازلة الحال فخرزات من عظم**"[2]، أورد ابن سعيد المغربي بشاهدته قائلا: " **الغالب على لباس السّودان التّكرور وغيرهم الجلود، وإذا احتشم الواحد منهم كان الجلد مدبوغا، ومن خالط البيض وتخصّص اتّخذ لباسه من الصّوف والقطن، وذلك مجلوب له**[3].

نلاحظ من المصدرين أنّ ظاهرة السّتر لم تكن في المجتمع السّوداني كلّه، إلاّ أنّه وخلال القرون اللاّحقة نصطدم باستمرار الظّاهرة، فهذا ابن بطّوطة الرّحالة المغربي يرصد لنا أنّ الخدم والجواري والبنات الصّغار تظهر عرايا باديات العورات[4]، ومن المصادر المتأخّرة التي ورثت الظّاهر ما جاء في أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي أنّهم لا

---

[1] ذكرت المصادر البرتغالية ظاهرة العري في السّواحل الغربية بتوصيف قريبٍ ممّا أوردته المصادر العربية، **للمزيد انظر**؛ حسين بوبيدي، المرجع السّابق، ص 332.

[2] القزويني زكريا بن محمّد بن محمود الشّافعي، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار الصّادر، بيروت (د ت)، ص 18، 19، 26.

[3] ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي بن موسى)، **الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتبة التّجارية للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1970، بيروت، ص 91.

[4] ابن بطوطة، تحفة النّظّار، ص 698.

يحتجبن من أخ زوجها وابن عمّه أو صاحبه، وذكر أنّ أهل جني يكشف عورتهن [1] ومن المظاهر المجتمعية في بلاد السّودان الغربي ظاهرة توريث ابن الأخت، فبالرّغم من وصول الإسلام في وقت مبكر، إلاّ أنّ ابن بطوطة رصد لنا الظّاهرة: "**ولا يرث الرّجل إلاّ أبناء أخته دون بنيه**"[2]، وهذا الملك منسا موسى كان ينسب لأمّه نانا كانجو[3].

2-الحالة الدّينية:

-عبادة الدّكاكير (الأصنام):

الدّكاكير، جمع دكّور بفتح الأوّل وضمّ الثّاني المشدّدة على وزن عبّود، وقد تقصر فيُقال: الدِّكْر بكسر الدّال المهملة وإسكان الكاف، قال صاحب لسان العرب: " هي لعبة يلعب بها الونج والحبش"، وسمّيت باللّعبة هنا ما يتّخذه الأطفال الصّغار من تماثيل أو دُمى للعب بها. ذكر البكري أنّ مدينة التّكرور أهلها سودان وكانوا على ما كان سائر السّودان عليه من المجوسية وعبادة الدّكاكير، والدّكور عندهم "صنم"، ثمّ يشير إلى أنّ مدينة غانة حولها قِباب وغابات يسكن فيها سحَرتهم الذين يقيمون دينهم وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم، وعليها حرّاس يمنعون النّاس من دخولها[4].

---

[1] المغيلي، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، 1974، الجزائر، ص 63.

[2] ابن بطوطة، المصدر السّابق، ج2، ص 370.

[3] هواري رضوان، **التّحوّلات الاقتصادية والاجتماعية في السّودان الغربي من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/ 16م**، أطروحةٌ مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم في التّاريخ، تخصّص تاريخ المغرب الاسلامي، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، 2020/2019، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص 221.

[4] البكري، المرجع السّابق، ص 55.

يشير البكري إلى حجم سيطرة كبار السّدَنة على الفكر المجتمعي، فمنعهم للنّاس من دخول الغابة، ربّما مخافة أن ينكشف أمر هذه العبادات الواهية، وفي بلاد الدّمدم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امرأة يتألّه لها السّكان ويحجّون إليها[1]، وفي المدن مِللٌ وكوكو وجيني، يضع الوثنيّون صنمهم في بيت خاصٍّ به لأداء طقوسهم فيها[2] وعندما تشير المصادر إلى البيت الخاصّ الذي يتعبّدون فيه، وكأنّ فكرة المعبد أو مكان العبادة كانت موجودةً في السّودان الغربي وهذا يعطي ما مدى فهم مكان العبادة بالإضافة إلى هذا كان هناك أصنام ترمز إلى الأمراض والحروب والعدل، وأصنام لنساء وأخرى لشيوخ، وضعت في معابد[3].

تحدّد الجهة الغربية المحاذية للمحيط الأطلسي، بين نهر غامبيا وخليج غينيا أنّ أكثر عبادتهم عبادة الأصنام، ومن مظاهر الوثنية في السّودان الغربيّ الطّقس المتعلّق بالاستسقاء، فقد كانت هذه الشّعوب تجمع عظامًا فيكوّمونها كالتّل، ثمّ يضرمون فيها النّار ويدورون حولها، ويرفعون أيديهم إلى السّماء، ويقدّمون القرابين مثل البقر والغنم والحمير[4]، وفي قصّة إسلام ملك مالي الذي أورده البكري "**بالمسلماني**"، لهي دليل واضح على وثنيتة.

بقيت العقائد الوثنية جاثمة على الشّعوب الإفريقية، حتّى إلى عهد متأخّر فالأسئلة التي يطرحها الأسقية ويجيب عنها الإمام المغيلي من النّصوص التي يستوقف عندها الباحث، جاء في بعضها: " ويعتقدون مع ذلك – الله عزّ وجلّ – أنّ هناك من

---

[1] نفسه ص 372، المسعودي، **أخبار الزّمان**، المرجع السّابق، ص ص 87 – 88.

[2] نفسه، ص366 – 367 – 372، السّعدي، المصدر السّابق، ص 118.

[3] عبد الله عيسى، **صورة الأرواحية عند المجتمع السّودان الغربي خلال العصر الوسيط**، مجلّة الدّراسات الإفريقية، المجلّد: 03، العدد: 08 ماي 2020، جامعة الجزائر 2، المرجع السّابق، ص 77.

[4] حسين بوديدي، المرجع السّابق، ص 250.

ينفعهم ويضرّهم، ولهم أصنام ويقولون الثّعلب قال كذا، وسيكون كذا، وإن كان كذا فسكون كذا، ويعظّمون بعض الأشجار"[1].

- الطّوطمية[2]:

تعرّف الطّوطمية بأنّها تلك الدّيانة المركّبة من أفكار ورموز وطقوس، والطّوطم هو الذي يُعبد ويُعتقد فيه النّفع والضّرّ، وقد يكون طائرًا أو حيوانا أونباتا أو ظاهرةً طبيعية أو مظهرًا طبيعيا' كما اعتقدوا في تلك المعبودات أنّ أسلافهم تسكنها، فعبدوها وأحاطوها بنوع من التّقديس والتّبجيل[3].

اعتقد أهل سكّان السّودان الغربي بتقديس النّباتات والحيوانات معتقدين أنّ أجدادهم الأوائل منحدرين منها وتحمل اسم تلك الحيوانات، أو تنسج أسطورة لها علاقة مع تلك المعبودات[4] فمثلاً عند الحموي في ذكره لسكّان زافون بأنّهم كانوا يعبدون الثّعبان، وفي مملكة غانة كان سكانّها (السّونينك يؤمنون بأنّ الإله الثّعبان الأكبر "وجادو بيدا"[5] يعيش في كهف مقدّس داخل الغابة المقدّسة، فترد في حقّه أساطير

---

[1] المغيلي، المصدر السّابق، ص 44

[2] أوّل من أدخل مصطلح **الطّوطم** إلى اللّغة الإنجليزية هو الرّحالة **ج. لونك** عام 1791م، إذ استعمله في كتابه "**رحلات**"، واستعمل كلمة الطّوطمية في الدّراسات الأنتروبولوجية أوّل مرّة العالم الأسكتلندي **ج، مكلنين** في عام 1870 عند كتابه مقالاً علميًا بعنوان "**الطّوطمية**"، **للمزيد انظر:** حمد حسن على، **قاموس المذاهب والأديان**، دار الجيل، ط1، 1998 بيروت، ص 22.

[3] عبد الله آدم الألوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، دار مكتبة الحياة، 1965، بيروت، ص 115.

[4] Maurice Delafosse, Les civilisatisations Négro – Africaines, paris, Librairie Stock, 1925. p 61

[5] تقول الأسطورة أنّ الإله الثّعبان **"واجادو بيدا"** كان يقوم بحماية السّونينك وزيادة ثرواتهم في مقابل فديةٍ بشريةٍ متمثّلة في اختيار فتاةٍ جميلة ويقدّمونها قربانًا لـــ **: "وجادو بيدا"**، وفي سنة 1240م كان من بين القرابين فتاةٌ جميلة اسمها **"ضيا"** وكانت في علاقة حبٍّ مع شاب اسمه

يتوارثها السّونينك جيلا بعد جيل[1]، كما ذكر السّعدي أنّ أهل كوكو قبل إسلامهم كان يتمثّل لهم الشّيطان في شكل الحوت فيجتمعون إليه ويعبدونه[2]. وإنّما التّمثّل هذا راجع إلى الطّبيعة التي تحيط بهم، وتزعم قبائل (الماندانج) أنّهم تحت حماية كثيرٍ من الحيوانات، مثل: الأفاعي، التّماسيح، الحرباء، ومن قوّة خوفهم من هذه الحيوانات في معتقد العبادات أنّهم لا يلفظون أسماءها، مثل تسمية التّمساح ضبّا، أو حتّى المشي في طريقها، وعند قبائل (الأشانتي والفون والإيف، واليوروبا) نجد أنّ لكلّ إنسان شبيهًا وصِنوًا من الحيوانات[3]، وفي بعض المعتقدات من قوّة احترام هذه الحيوانات فإنّ صيدها يستوجب طقوسًا لإرضائها وطلب السّماح لها بصيدها.

"عمادو"، تمكّن الشّاب **"عمادو"** من إنقاذ محبوبته وقضى على الإله الثّعبان **"واجادو بيدا"** وتقول الأسطورة أنّه عندما قضى الشّاب على الإله وبتر رؤوسه التي كلّما قطعها نبت رأس مكانها هذه الرّؤوس، أين سقطت حوّلت الرّمال إلى ذهب خالص[5]، هذه الأسطورة وإن كانت أشبهه بالخيال، إلاّ أنّ فيها جانبًا من الحقيقة[5]، فهي تشدّنا وتحيلنا إلى القصّة التي حدثت لصحابي الجليل عمرو بن العاص عندما فتح مصر سنة (22ه)، أتى أهل بؤنة، فقالوا: أيّها الأمير، لنا عادةٌ في كلّ سنة عمدنا إلى جاريةٍ بِكر طيّبناها وألبسناها أحسن الثّياب والحلي، ثمّ ألقيناها في النّيل، فقال لهم عمر إنّ هذا ممّا لا يكون في الإسلام، فكتب عمرو بن العاص ‘للخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه- بذلك، فكتب إليه عمر كتابًا جاء فيه: **" من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أمّا بعد، فإن كنت تجري من قِبلك ومن أمرك فلا تجري فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجري بأمر الله الواحد القهّار وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك"**، وألقى عمرو بن العاص الكتاب في النّيل فأصبحوا يوم السّبت وقد أجرى الله النّيل ستّة عشر ذراعًا في ليلة واحدة.

إنّ في هذا التّشابه بين القصّتين الأولى التي هي إن قلنا تشوبها فكرة الأسطورة، أمّا الثّانية فهي صحيحة حدثت في زمن الصّحابة رضي الله عنهم، وهذا ما يدفعنا إلى طرح نظريّة التّأثّر.

[1] نور الدّين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السّودان الغربي، دار الجزائر، 2015، ص 42.

[2] السّعدي، تاريخ السّودان، ص 38.

[3] ديشان هوبير، **الدّيانات في إفريقيا السّوداء**، ترجمة: أحمد صادق حمدي، مراجعة: محمّد عبد الله درّاز، دار الكتاب المصري، 1959، القاهرة، ص 34.

3 -الأرواحية[1] (الإحيائية):

يبدو أنّ مصطلح[2] "**الأرواحيـة**" من الوهلة الأولى يبدو أنّه مبالغٌ فيه من حيث الطّرح إلاّ أنّ هذا النّوع من العبادات كان منتشرًا بكثرة في إفريقيا جنوب الصّحراء يتلخّص مضمون العبادة الأرواحية في اعتقاد أنّ كلّ الأشياء لها روح، وأنّ مصدر قوّة الطّبيعة هو الإله الأعلى، وهو الأعظم من كلّ الآلهات[3]، يقول (**تايلور**) أنّ الرّوح عند أصحاب المعتقدات الإفريقية قابلة لمغادرة الجسد، ومن ثمّ الدّخول في جسد آخر... إنسانًا كان أو حيوانا ثمّ تواصل مسيرتها في هذا الكون بعد موت هذا الجسد

---

[1] المصطلح في حدّ ذاته يطرح جدلاً في مدلوله، المرتبط بنظريّة عالم السّلالات البشرية (**F. B. Tylor**) حول تطوّر الدّيانات البشرية، حيث ترى هذه النّظرية أنّ البشرية مرّت بثلاث مراحل. متتابعة في عقيدتها الدّينية وهي: الأرواحية، وتعدّد الآلهة، ثمّ الوحدانية، كما تعتقد الأرواحية بوجود الحياة بعد الموت، وتواصل بين الأسلاف وخلفهم، ومن ثمّ كانت عبادة الأسلاف هي الواسطة بين النّاس والقوّة الخفية التي تدير الكون: **للمزيد انظر:** حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارّة الإفريقية**، ص 53، النّاني ولد الحسن، صحراء الملثّمين، ص 470. -Delafoss (m), Haut sénégal- niger : le pays, les peuples, mes langues, paris : Maisonneuve et Larose, Nouvelle édition , 1972, p 13 .

[2] من أشهر من تداولوا هذا المصطلح الباحثين الأنثروبولوجيّين الأفارقة مثل: هربرت سبيسر عام 1885 في كتابه علم الاجتماع principles of sociology، حيث استعمله بناءً على تأمّلاته الخاصّة في عقائد الغرب الإفريقي، ومن ثمّ أصبح هذا المصطلح شائعا عند الكتّاب الأفارقة. للمزيد انظر: عاصم محمّد حسن محمّد، **الدّيانات التّقليدية في غرب إفريقيا مدخل دراسي**، مجلّة قراءات إفريقية، العدد الثّالث، ذو الحجّة 1429هـ، ديسمبر 2008م، تصدر عن المنتدى الإسلامي، ص 72 وما بعدها.

[3] عبد الله عيسى، **المرجع السّابق**، ص 76.

الآخر بالانتقال إلى جسد ثالث، وهكذا يعتقد أولئك بوجود ما لا يحصى من الأنفس في الكون[1].

يرى **(هاربت سبينسر)** أنّ عبادة الأسلاف هي المصدر الأوّل لكلّ العبادات والأديان، وهي العقيدة التي نجدها سائدةً لدى الشّعوب الإفريقية، وكان العالم هاربت سبينسر أوّل من استخدم هذا المصطلح "عبادة الأسلاف"[2]، ينطلق المعتقد من كون أنّ روح الأجداد ما زالت بين الأحياء تتأثّر بهم وتؤثّر فيهم، وهي بدورها تحتاج إلى مُعين ولهذا نجد الأفارقة يقدّمون القرابين للأسلاف والمتمثّلة في الطّعام والشّراب والمذبوحات وبهذا يمنحون الرّعاية والرّضى لكلّ من يعاملهم باحترام ووفاء[3]، وويل لمن يعاملها بسوء فهي تعاقب المسيئين[4]، وهذه قبائل **(البمبارا)** كانوا يقدّمون القرابين لجثّة الميّت ويتقدّم شيخ العارفين فيقول مناشدًا الجثّة: "أتضرّع إليك أن تتركينا وشأننا في سلام" إنّنا نعدك بتقديم كلّ ما يرضيك من القرابين[5].

---

[1] عاصم محمّد حسن محمّد، المرجع السّابق، ص 68.

[2] هذه الدّراسات رغم أهمّيتها، إلاّ أنّها لا تستند إلى حقائق كافية، لأنّ معظم هذه الدّراسات الأنتروبولوجية الحديثة والمعاصرة، محاولة إغفال أهمّ مرحلة وهي المرحلة الوسطية الإسلامية، أي وكأنّه لم يكن هناك إسلام، ما يمكن قوله أنّ الأرواحية بالصّورة التي تقدّمها الدّراسات الحديثة والمعاصرة هي إحدى نتائج التّفاعل بين الإسلام والعقائد الوثنية لدى المجتمعات التي رفضت الإسلام، وليس استمرارًا للدّيانة التّقليدية، **للمزيد انظر**، حسين بوبيدي، **السّودان الغربي من الوثنية إلى الإسلام: دور التّجار والدّعاة بين النّصّ التّاريخي والتّحليل السّوسيولوجي**، العدد 17، مجلّة الرّبيئة، مجلّة رقمية تصدر عن جمعية علماء المسلمين الجزائريّين، https://arrabiaa.net/

[3] نفسه، ص 08.

[4] ديشان هوبير، **الدّيانات في إفريقيا السّوداء**، ترجمة: أحمد صادق حمدي، مراجعة: محمّد عبد الله درّاز، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1959، ص 116.

[5] ديشان هوبر، المرجع السّابق، ص 17.

فهذا جانبٌ من تفكيرهم، كما أنّهم يعتقدون الحال الذي توفّي عليه الشّخص هي التي تحدّد درجته ورتبته في هيكل الأسلاف، فلا يدخل في الأسلاف من مات ميتة غير مقبولة عند هذه الشّعوب[1]، وهذا يدفعنا إلى أن نستشف أن ليس كلّ من مات يعبد، فهي توحي إلى أنّ فكرة الكمالية في العابدة واردةٌ في المعتقد الأرواح، فالأمر له قوانينه وضوابطه، فهي ليست عبادة شعواء، كما أنّ هذه الدّيانة تعطي فكرة عن تفكير شعوب غرب إفريقيا، مثل الوضع الطّبقي[2].

من بين الطّقوس التي اهتمّ بها أهل هذا المعتقد ما ذكره البكري في مستهلّ حديثه عن ديانة مملكة غانة بأنّ الأهالي يذبحون لموتاهم الذّبائح ويقرّبون لهم الخمور ومن طقوسهم أنّهم كانوا يدفنون مع ملوكهم عبيدهم وهم أحياء، إلى جانب كلّ متاعهم وممتلكاتهم[3]، وهذا يحيلنا إلى أنّ فكرة الخلود أو الحياة بعد الممات، وإلى جانب عبادة الأسلاف دخل فيها عبادة ملوكهم، وقد أشار الحموي إلى هذا، حيث قال: " **وديانتهم عبادة ملوكهم، ويعتقدون أنّهم الذين يحيون ويموتون، ويمرضون ويصحّون... أمّا الملك فيسترقّ من يشاء منهم...ويتوهّمون أنّه لا يأكل الطّعام**"[4]، فللملوك عندهم مكانة إلهيةٌ ليس لها حدود، ولهذا كانت الرّعية تقدّم حتّى القرابين البشرية له[5].

ارتبطت شعوب إفريقيا الغربية بالأسلاف أيّما ارتباط، فهذا شعب الموشي كان يشاور أسلافهم في كلّ كبيرة وصغيرة، فقد أورد السّعدي في هذا الصّدد: " وفي السّنة الرّابعة من الهجرة، غزا الأسكيا الحاج محمّد غزوة نعسر وهو سلطان الموشي، وموسى

---

[1] صافي الدّين محمّد، **إفريقيا بين الدّول الأوروبية**، مكتبة مصر، 1959، القاهرة، ص 77 .

[2] عبد الله عيسى، المرجع السّابق، ص 79.

[3] البكري، المصدر السّابق، ص 176

[4] الحموي، معجم البلدان، ج3، دار الفكر، بيروت، د ت، ص 142.

[5] نعيم قداح، المرجع السّابق، ص 88.

معه السّيّد المبارك مور صالح جور، فأمره أن يجعلها جهادًا في سبيل الله، فلم يخالفه في ذلك، فطلب أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمّد من السّيد المذكور أن يكون رسولا بينه وبين سلطان الموسي، فقبل ووصل إليه في بلده وبلّغه رسالة أسكيا الحاج محمّد في الدّخول للإسلام، فقال له حتّى يشاور الأموات، فعملوا ما يعملون من عوائدهم في صدقاتهم، فقال نعسر للسّيد المبارك: ارجع وقل له: ما بيننا وبينه إلاّ الحرب[1]، من خلال هذا النّصّ نستشفّ أنّ الأرواحية كانت منتشرة رغم دخول الإسلام بقرون خاصّةً في الأدغال ودواخل السّودان الغرب[2].

المبحث الثّالث: الرّوابط الحضارية التّاريخية بين المنطقتين (المغرب الأوسط والسّودان الغربي) – الجذور – العوامل – المجالات

لعب المغرب الأوسط خلال فترة العصور الوسطى دورا ريادا من خلال العلاقاته الحضارية مع ممالك بلاد السودان الغربي من بداية القرن الثاني للهجرة، فكل دوليلات التي قامت في المغرب الأوسط وجهت أنظارها إلى الجنوب لعدت اعتبارات سياسية وإقتصادية وحضارية.

المطلب الأول: جذور التّواصل بين المغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربي:

1-في العهد الرّستمي:

تعود أقدم العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والسّودان الغربي إلى زمن الدّولة الرّستمية خلال القرن الثّالث الهجري، فقد كان للإباضية في بلاد المغرب الأوسط اهتمام كبيرٌ بالتّجارة الصّحراوية، ولهذا كان من أولوياتها السّيطرة على مختلف الطّرق التّجارية الموصلة إلى ممالك السّودان الغربي، وتعدّى هذا التّواصل إلى

[1] السّعدي، المصدر السّابق، ص 74.

[2] السّعدي، تاريخ السّودان، ص 194.

العلاقاتها الدّبلوماسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال السّفارات والبعثات الدّبلوماسية.

من بين ما دوّن في بطون الكتب هو تلك السّفارات ذات المستوى الرّفيع التي كانت تصل إلى ممالك السّودان الغربي، تذكر المصادر التّاريخية أنّ الإمام الأفلح ابن عبد الوهّاب (180هـ-220هـ/796م-844م) مُنع من السّفر من المرّة الأولى قبل أن يكون إماما بسبب فشله في امتحان فقهي[1]، ثمّ إنّ هذا الأخير عند تولية الحكم جعل من أولوياته أن يزيد في تمتين العلاقات أكثر بإرسال سفارة محمّد ابن عرفة[2] كسفير إلى ملك السّودان حاملاً معه الهدايا، وثّق لنا مؤرّخ الدّولة ابن الصّغير المالكي حيثياتها قائلا: " **فعجب ملك السّودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته، إذا ركب الخيل وقال له الملك بسودانية... معناها أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال**"[3] لكنّ المصدر لم يشر إلى وجهة السّفارة الدّبلوماسية التي أرسلها الإمام الأفلح ابن عبد الوهّاب[4]، وقيل أنّها كانت لمملكة كوكو[5].

---

[1] الدّرجيني، المصدر السّابق، ص 210.

[2] محمّد بن عرفة (ت261هـ/874) من أصل قيرواني، قدم إلى تيهرت فنال حظوة كبيرةً لدى الأئمّة الرّستميّين، فصاهر الإمام أبا بكر محمّد بن أفلح، وعيّن سفيرا في بلاد السّودان الغربي، ومن قوّة نفوذه داخل الدّولة وخارجها، قال عنه ابن الصغير: " إنّ الإمارة الفعلية كانت له، ولم يبقَ لأبي بكر إلاّ الإمارة بالاسم، للمزيد انظر: بن الصّغير، **أخبار الأئمّة الرّستميّين**، تحقيق: محمّد ناصر، إبراهيم إبراهيم بحّاز، **الدّولة الرّستمية**، ص47؛ مجموعةٌ من المؤلّفين **معجم أعلام الإباضية**، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1999، بيروت، ص 387.

[3] ابن الصغير المالكي، المصدر السّابق، ص 31.

[4] أفلح ابن عبد الوهّاب بن عبد الرّحمن ابن رستم حكم ما بين 190-240هـ/805-854م، هو ثالث الأئمّة الرّستميين الإباضية بتيهرت، كان حليما شجاعا، تميّز بالعدل والقوّة، له عدّة مؤلفات ورسائل في النّصح والمواعظ، انظر: الشّماخي (أحمد بن سعيد)، **كتاب السّير**، تحقيق: أحمد ابن مسعود السّيابي، وزارة التّراث القومي والثّقافة العمانية، ط2، ج1، ص 166، الباروني (سليمان بن عبد الله)، **كتاب الأزهار الرّياضية في أئمّة وملوك الإباضية**، ص 166.

[5] محمّد عيسى الحريري، المرجع السّابق، ص 212.

تعدّ هذه السّفارة من أشهر السّفارات في تاريخ المغرب الأوسط، ذات المستوى الرفيع وأبعادها الاستراتيجية، ومن بين الاستراتيجيات التي اتّخذتها الدّولة الرّستمية في إحكام السّيطرة على الطّرق التّجارية، الذي يتعدّى إلى العلاقة الدّبلوماسية هو ما كان من علاقة مصاهرة مع المدراريّين[1] من أجل استغلال الطّريق الغربي الذي يربط سجلماسة مع السّودان الغربي.

كانت حواضر المغرب الأوسطن، مثل ورجلان وتوات وبلاد الزّاب أهمّ المحطّات التي ينطلق منها السّفر الكثير إلى بلاد السّودان[2]، فعلى حسب المصادر التي تصف لنا حيوية هذا النّشاط، حتّى أنّ الدّولة الرّستمية من كثرة تواصلها مع السّودان الغربي كان لها تأثير حضاري، فمن نشر الاسلام في بداية إلى تأثيرٍ في الطّراز المعماري[3].

لعب فقهاء الإباضية دورا بارزًا في إدخال الإسلام إلى بلاد السّودان الغربيّ ومعظم هؤلاء التّجار الذين كانوا يتردّدون على بلاد السّودان كانوا فقهاء وعلماء ربّانيّين، فكتب التّراجم الإباضية تروي كثيرًا ما تروي قصّة إسلام ملك غانة (المسلماني)[4]، أنّه كان على يد الإباضية، فالدّرجيني يروي لنا القصّة مع أحد أعلام الإباضية، وهو الإمام على ابن يخلف (575هـ/1179م) الذي قال فيه: " **الشّيخ فعلاّمة نسّابة، ذو خشوعٍ وإنابة، وأجوبة في الفنون معلنات بالإصابة، وداعية سريع بالإجابة**"[5].

---

[1] تزوّج مدار بن اليسع بن أبي القاسم الذي حكم سجلماسة سنة 208هـ/823م من أروى بنت عبد الرّحمن بن رستم، وكانت ولد الزّوين ميمون، له دور كبير في دولة بني مدرار، للمزيد انظر:

[2] ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، الدّيوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 262.

[3] محمّد صالح ناصر، **دور الاباضية في نشر الاسلام بغرب إفريقيا**، دار الفكر العربي للنّشر والتّوزيع، بيروت، 1992، ص ص 58 – 57.

[4] البكري، المصدر السّابق، ص 178.

[5] الدّرجيني، المصدر السّابق، ج2، ص 523.

كما أنّ الشّماخي في رواية أخرى مفادها أنّ إسلام ملك غانا كان على يد التّاجر والفقيه الشّيخ أبي يحي ابن القاسم الفرسطائي (ت897م)، فمنهم أبو نوح سعيد بن يخلف، فقد كان عالما وحافظا وذو علم ومال، وممّا يذكرون عنه أنّه كان له أربعون فرسا، وكان يتاجر في مدينة تادمكة[1]، ومنهم العالم الشّيخ أبي صالح تبركت الياجراني من بني غسريت، وكان من الذين عملوا بالتّجارة مع السّودان الغربي وخاصّة مع مينة تادمكة[2]، ومنهم الفقيه الشّيخ عبد الله بن محمّد السّدراتي، وهو من أبرز فقهاء ورجلان كان يسافر كثيرًا لبلاد السّودان الغربي للتّجارة والدّعوة إلى الاسلام، قال عنه ابن الحاج الوارجلاني: " **حازم في أمور دينه ودنياه...**"[3].

2-في العهد الفاطمي والصّنهاجي الزّيري

في زمن الدّولة العبيدية التي بسطت نفوذها على بلاد المغرب، وتمّ إسقاط الدّويلات الثّلاثة في المغرب الإسلامي، ومنها الدّولة الرّستمية التي سقطت (296هـ/909م)، فقد كان من أولوياتهم السّيطرة على الطّرق التّجارية[4]، خاصّةً في المجال الواحي، وما كان لسيطرتهم على سجلماسة إلاّ لكونها مركزًا تجاريًا تفد إليه القوافل التّجارية للدّخول إلى أحواز بلاد السّودان، كما فرضوا الضّرائب على القوافل التّجارية الآتية من بلاد السّودان الغربي، والتي وصلت أثناء القرن الرّابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلى أربعمائة دينار ذهبي سنويا، وكانت عونًا للمعزّ دين الله الفاطمي في حملته على مصر[5]، للرّحالة ابن حوقل (ت367هـ/977م)، عدّه الكثير

---

[1] الدّرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 367.

[2] الوسياني (أبي الرّبيع سليمان بن عبد السّلام بن حسان)، ج2، **سير الوسياني**، تحقيق: عمر بن سليمان حمّو سليمان بوعصبانة، وزارة التّراث والثّقافة، 2009، عمّان، ص 799.

[3] ابن الحاج الورجلاني، **المعلّقات في أخبار ورواة أهل الدّعوة**، الدّراسة والتّحقيق: الحاج سليمان بن إبراهيم بامبزيز الورجلاني، وزارة التّراث والثّقافة للنّشر والتّوزيع، 2009، عمّان، ص 123.

[4] إيفان هيربك، **بروز الدّولة الفاطمية**، تاريخ إفريقيا العامّ، المرجع السّابق، ص 309.

[5] موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر 1979، ص 454؛ مسعودي خالدي، المرجع السّابق، ص 47.

من جواسيس الدّولة الفاطمية، حيث قام برحلته المشهورة إلى بلاد السّودان الغربي خلال القرن 4هـ/10م.

لقد أورد لنا ابن حوقل في كتابه "**صورة الأرض**" حجم المبادلات التّجارية الصّحراوية، كما تميّز بوصفه الدّقيق للطّرق والواحات[1]، وأمّا في عهد الدّولة الزّيرية[2] الصّنهاجية فإنّ ابن العذرى يرصد لنا سفارتين، الأولى في عهد المنصور بن بلكين (337-385هـ/982-994م) فقد وصلته هدية من بلاد السّودان متمثّلة في حيوان الزّرافة، إلاّ أنّ المصادر لم تورد الجهة التي جاءت منها هذه الهدية، والثّانية كانت خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي في عهد ولاية المعزّ بن باديس وكانت الهدية متمثّلة في رقيق كثيرٍ وأنواع الحيوانات[3].

3-في العهد الموحّدي

في زمن المرابطين الذين كان أصل منشئهم من بلاد السّودان الغربي، فقيامهم وبداية دولتهم كانت في أعالي نهر السّنغال واستحواذهم على الطّريق الغربي[4]، ولقد

---

[1] ابن حوقل (أبو قاسم النّصيبي)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ت)، ص 39 وما بعدها.

[2] الدّولة الزّيرية (366-405هـ/972-1014م)، تنتسب إلى زعيمها الأزيري بن منّاد الصّنهاجي منشئ مدينة أشير بجبل تيطري، وقد انقسمت قسمين، الدّولة الزّيرية في المغرب الأدنى وبنو عمومتهم الدّولة الحمّادية في المغرب الأوسط، للمزيد انظر: عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السّابق ج1، ص 320 وما بعدها.

[3] ابن العذارى، المصدر السّابق، ج1، ص 246.

[4] زينب محمّد حامد أحمد، **الصّراع حول المسالك التّجارية بالغرب الإسلامي ما بين: (ق2-6هـ/8-12م)**، مجلّة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد العاشر، المجلّد3، مؤسّسة هيرودوت للبحث العلمي والتّكوين، الجزائر، ص 20.

شهد الطريق الرّابط من تلمسان، ورجلان، إلى بلاد السّودان بسبب الهجرات الهلالية[1] وتسبّبت الغزوات الهلالية خاصّة على البلاد الواحية الصّحراوية باضطرابات جيوسياسية، فقد تمكّنوا من السّيطرة على ورجلان والقضاء على المذهب الإباضي الذي انحسر في وادي ميزاب، خاصّة مع سيطرة المرابطين على ورجلان في منتصف القرن الرّابع الهجري[2].

كما شهدت حاضرة ورجلان، وهي في هذا العهد العاصمة الثّانية للإباضيّين بعد سقوط دولتهم في تيهرت، وقد أسّسوا في ورجلان نظام العزّابة[3] الذي من خلاله ينظّم الحياة السّياسية والاجتماعية والاقتصادية[1].

---

[1] غربي بغداد، بن ميرة سعيد، **أضواء على العلاقات بين السّودان وبلاد المغرب الإسلامي حتّى فترة الموحّدين العلاقات التّجارية أنموذجا**، مجلّة العِبر للدّراسات التّاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلّد 5، العدد 3، جوان 2022، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص 330.

[2] حساين عبد الكريم، **التّوجه الإباضي نحو الصّحراء بعد سقوط الدّولة الرّستمية**، المجلّة الجزائرية للبحوث والدّراسات التّاريخية المتوسّطية، العدد الثّاني، شتاء 1436، 2015، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، الجزائر، ص 31.

[3] نظام العزّابة: أصل الكلمة من العزوب عن الشّيء، وهو البعد عنه، والعزّابة بمعنى العزلة والغربة تأسّس في بادئ الأمر بواسطة الشّيخ محمّد بن بكر الفرسطائي النّفوسي (ت440هـ/1049م) في جربة، في أواخر القرن الرّابع الهجري ومنها انطلق في نشرها إلى واحات المغرب الأوسط، بدأ من حلقة غار تين سيل، وهي بلدة قرب مدينة تقرت، ثمّ باقي الواحات مثل ورجلان، وبلاد ريغ ورجلان، وبادية بني مصعب، تتركّز حلقة العزّابة في طلب العلم الشّرعي والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، **للمزيد انظر:** صلاح الدّين شعباني، تطوّر الإمامة الإباضية بالمغرب في طور الكتمان الأخير (ق3-5هـ/9-11م) نظام العزّابة نظام بديلٌ عن إمامة الظّهور، مجلّة الدّراسات التّاريخية، المجلّد17، العدد2، جامعة الجزائر 2، ص 389 وما بعدها.

[1] أسامة معاش، **دور نظام العزّابة في مواجهة الانحسار الإباضي في بلاد المغرب من القرن 5 إلى القرن 8هـ/11-13م**، مجلّة قبس للدّراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 4، العدد1، جامعة الوادي، ص 403.

من بين أشهر الفقهاء في هذا العصر الذين كان لهم الرّحلة إلى بلاد السّودان الغربي، أبو يوسف ابن إبراهيم بن منّاد السّدراتي الوارجلاني (500هـ/570هـ)، وهذا العالم الموسوعي الرّحالة الجغرافي التّاجر من السّبّاقين الذين دخلوا بلاد السّودان الغربي ووصل إلى منطقة خطّ الاستواء، قال فيه الدّرجيني: " بحر العلم الزّاخر المسخّر للنّفع، رفيع الهمّة والقدر، الجامع لفضل كلّ أمّة، المحتوي على علوم جمّة "[2].

كما شهد العهد الموحّدي في بلاد المغرب الإسلامي علاقات محتشمة بين السّلطة الموحّدية وممالك السّودان الغربي، ومن بين ما ورد في السّفارات في هذا العصر أنّ المنصور الموحّدي أُرسل إليه بهدية من بلاد السّودان، تتمثّل في "**فيل**" فردّه، مع إكرام من أتى به، وقال: «**نحن لا نريد أن نكون من أصحاب الفيل**»[3].

هذا على المستوى الرّفيع، أمّا على مستوى طبقات الشّعب أي التّجار فإنّ القوافل التّجارية والثّقافية لم تتوقّف، وخاصّة مع فرض الأمن على طول الطّرق التّجارية، وممّا يدلّ على ذلك ما ذكره المقرّي من رواية القسطلاني الذي دخل على والي سجلماسة السّيّد أبي الرّبيع فوجد بين يديه أنطاعًا عليها رؤوس جماعة من قطّاع الطّرق الصّحراوية قُتلوا بسبب اعتراض سبيل القوافل التّجارية والتّجار المتوجّهين إلى غانة[4]

تزوّدنا كتب التّراجم عن حجم التّجارة في هذا العهد. يذكر صاحب التّشوّف في ترجمة لأبي الرّبيع سليمان بن عبد الرحمن التّلمساني (ت579هـ)، أنّه أعطى تاجرًا من أهل فاس متوجّهًا للاتّجار ببلاد السّودان أردية لبيعها هناك، وعلى الرّغم من وفاة

---

[1] أسامة معاش، **دور نظام العزّابة في مواجهة الانحسار الإباضي في بلاد المغرب من القرن 5 إلى القرن 8هـ/11-13م**، مجلّة قبس للدّراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 4، العدد1، جامعة الوادي، ص 403.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص335

[3] المقرّي، المصدر السّابق، ج3، ص 103.

[4] المقرّي، المصدر السّابق، ج3، 105.

هذا التّاجر بأرض السّودان[1]، على العموم كانت العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب وبلاد السّودان قائمة على حسن الجوار وخاصّة على المستوى الرّفيع مثلما تبيّنه الرّسالة التي بعث بها ملك غانة، إلاّ أنّه لا يوجد نصّ صريحٌ يتحدّث عن وجود علاقات دبلوماسية بين ملوك مالي وسلاطين المغرب الموحّدين[2].

المطلب الثّاني: عوامل التّواصل بين المغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربي:

1-عامل المسالك والدّروب

تُعدّ المسالك والطّرق العصَب الأساسي لقيام الحضارات وتطوّرها خاصّة في المجال الاقتصادي، وقد تميّز المغرب الإسلامي بشبكة من طرق ومسالك البرّية تقطع الصّحراء إلى بلاد السّودان الغربي، والنّاظر والمتمعّن لفترات التّاريخ المتعاقبة يلاحظ أنّ انتعاش الدّول وثرائها واستقرارها السّياسي مربوطٌ بمدى التّحكّم في هذه الطّرق الحيوية، ونظرًا لأهمّية هذه الطّرق فقد مرَّ منها الملوك والتّجّار والرّحّالة المغامرون والعلماء والفقهاء والحجّاج، ومن هنا نعرف حقيقة أنّ الصّحراء لم تكن يوما عائقًا أمام هذا التّفاعل الحضاري بين الشّمال والجنوب، فتميّز المغرب الأوسط بشبكة من الطّرق التّجارية تشقّ الصّحراء إلى بلاد السّودان الغربي، وحتّى نتمكّن من الإلمام بهذا الجزء من المبحث وجب علينا أن نعرّف بأشهر الطّرق التّجارية الكبرى في بلاد المغرب الأوسط، وهي كالآتي:

---

[1] ابن الزّيات التّادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحى)، **التّشوّف إلى رجال التّصوّف**، تحقيق: أحمد التّوفيق، مطبعة النّجاح الجديدة، ط2، 1997، الدّار البيضاء، المغرب، ص 282.

[2] يُرجع الدّكتور نور الدّين شعباني أسباب هذا الانقطاع إلى سببين رئيسيين، الأوّل هو أنّ فترة وجود دولة الموحّدين (524-668هـ/1130-1269م) لم تكن امبراطورية مالي في بداية عهدها في زمن سونديانا منسى أولي، والسّبب الثّاني هو الزّحف الهلالي على المجال الواحي واستحواذه على الطّرق التّجارية والمراكز، وخير دليل على حادثة قُطّاع الطّرق في زمن والي سجلماسة السّيّد أبو الربيع؛ **للمزيد انظر**: نور الدّين شعباني، **دور عائلة كايتا...**، المرجع السّابق، ص ص 393-394.

-مسلك تلمسان، سجلماسة، السّودان الغربي:

تحتلّ تلمسان موقعًا استراتيجيا هامّا، فهي تتوسّط الطّرق التّجارية من الشّرق والغرب وبين المناطق التّلّية والصّحراوية، " **فهي قفل بلاد المغرب وهي على الرّصيف للدّاخل والخارج منه** "[1]، ولها علاقات مع كبرى المُدن في المغرب الإسلامي وشمال الصّحراء[2].

يتفرّع عن تلمسان عدّة طرق تُوصل إلى السّودان الغربي، فمنها الطّرق التي تتّجه إلى المغرب الأقصى معرّجة على أهمّ الحواضر مثل فاس، وهذا الطّريق ساحلي يستغرق ثمانية أيام ومسافته مائة وستون فرسخا[3]، ثمّ تتّجه الطّريق نحو الجنوب إلى سجلماسة، التي تعدّ ميناء الصّحراء[4]، ومنها إلى حواضر بلاد السّودان الغربي، وقد نشط هذا الطّريق أيام المرابطين والموحّدين بحكم السّيادة الجغرافية[5]، ونرجّح نجاعة هذا الطّريق بين حواضر المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، لكثرة اهتمام العلماء التّجّار بسلوكه خاصّة في العهد الزّياني، حيث أنّ شركة المقرين التي كانت تشغل خطّ تلمسان سجلماسة، إولاتن[6]، ونحن نعلم ما مدى حجم هذه الشّركة في تجارة المخطوط والكتب بين الحواضر.

---

[1] الإدريسي، ص ص 159-151.

[2] F.elie de la primaudaie, Lecommerce et la navigation de l Agérie Revue Algérienne et – 6 colonial , Aunillac, 1860, p 265.

[3] مؤلّف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، بغداد، د ت، ص 359.

[4] خديجة بورملة، **التّجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض المتوسّط- من القرن السّادس إلى التّاسع الهجري/ 12-15م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التّاريخ الوسيط، قسم التّاريخ والآثار، جامعة وهران 1، ص 112.

[5] غربي بغداد، بن ميرة سعيدة، المرجع السّابق، ص 331.

[6] المقرّي التّلمساني (أحمد بن محمّد)، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج5، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الصّادر، 1388هـ/1968م، بيروت، ص ص 205، 206.

-مسلك تلمسان، توات، السّودان الغربي:

كان طريق تلمسان نحو توات من أنشط الطّرق التّجارية وهذا راجع إلى الموقع الجغرافي الممتدّ من تلمسان إلى توات، فالأودية المنحدرة من الأطلس الصّحراوي نحو الجنوب الغربي أو الشّرقي تشكّلت بها طرق قابلةٌ للسّير توفّر متطلّبات القافلة وأهمّها الماء والكلأ للدّواب، بالإضافة إلى أهمّ المحطّات التي توفّر الرّاحة للقوافل التّجارية وهذا ما نلاحظه من رحلة العياشي الذي وصف الطّريق من سجلماسة إلى توات، مبينا أهمّية الأودية والعيون والآبار المتواجدة على طول الطّريق[1].

كما أنّ هذ الطّريق كان مشتركًا في الطّريق القادم من تلمسان إلى توات، هذا الذي يتوفّر على مياه الأودية التي تنبع من جبال الأطلس، وهذا ما جعل توات منطقة جذب ونقطةَ تجمّع القوافل من السّودان ومن بلدان المغرب[2]، ويفصّل لنا حسن الوزّان من أنّ قورارة من إقليم توات أنّها مجمّع القوافل.

في الحقيقة حسن الوزّان قد فصّل كثيرا في هذه الواحة على أنّها صالحة للزّراعة وأنّ الجِمال تبدل لمواصلة المسير[3]، كما أنّ لإقليم توات شبكة من الطّرق التّجارية لمختلف الجهات[4]، كما أنّ ملوك تلمسان اهتمّوا كثيرًا بهذا الطّريق، فقد أمّنوه من قطّاع الطّرق باستئجار الأعراب في فصل الصّيف كلّه[5]، و نحن نعلم أنّ شركة المقريين كان لها فضل في تنشيط طريق تلمسان، سجلماسة، إولاتن، بحفر الآبار لسقي القوافل

---

[1] عبد الله بن محمّد العياشي، **الرّحلة العيّاشية**، تحقيق: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السّويدي للنّشر والتّوزيع، 2006، الإمارات العربية المتّحدة، ج2، ص 300.

[2] ابن خلدون، **العبر...**، المصدر السّابق، ج7، ص ص 17 ـ 18.

[3] حسن الوزّان، **وصف أفريقيا**، تح: محمد حاجي، محمّد خضر، دار الغرب الإسلامي، ط2 1983، بيروت، ص 133.

[4] Joseph ki-zerbo : histoire de L'Afrique noire d'hier à demain, librairie Hatier. Paris, 1972, p 166.

[5] مرمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمّد حجي وآخرون، ج2، الجمعية المغربية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، مكتبة المعارف، الرباط، 1984، ص 292.

التّجاريـة[1]، وهـذا مـا يـدفعنا إلـى الاسـتنتاج أنّ طريـق تلمسـان، تـوات، تنكبـت، كـان مستعملاً من طرف شركة المقريين أو من وكلائهم في المنطقة.

-مسلك تيهرت، بلاد السّودان:

حيث ينطلق هذا الطّريق من تيهرت إلى محطّة حصن ابن كرام عبر متّيجة ومنه إلى إمارة هاز، ثمّ إلى بني دمر، ثمّ محطّة أربة وهي من مدن بلاد الزّاب، ثمّ إلى مقرة[2]، ثمّ يمرّ الطّريق على مدينة طبنه، ومنها إلى مدينة بسكرة التي كانت محطّةً كبيرة على طريق القوافل التّجارية ومركزًا هامّا، وهذا بفضل أسواقها التّجارية وتنوّع ثرواتها[3]، وقد ذكر لنا الإدريسي أنّه لا يوجد شيء من الفواكه ببلاد السّودان إلاّ ما يُجلب من بلاد الزّاب[4] وخاصّة تمرٌ من النّوع الرّفيع، فقد ذكر لنا السّعدي أنّ تمر بسكرة بِيع في تمبكتو بخمس ودعات[5].

-مسلك ورجلان ـ السّودان الغربي:

يُعرف هذا الطّريق بطريق الذّهب الذي ينتهي (ونقارة)، التي تبعد بثمانية أيام عن غانة[6]، حيث استعمل كثيرًا في تجارة الذّهب منذ أيام الدّولة الرّستمية مع غانة[7]، وهو أقدم الطّرق المؤدّية إلى بلاد السّودان الغربيّ وأهمّها[8]، حيث ينطلق هذا المسلك باتّجاه المنيعة، ثمّ إلى عين صالح ومنها إلى جبال الهقار، وهناك يتفرّع الطّريق متّخذًا شكل

---

[1] المقرّي، المصدر السّابق، ج5، ص ص 205، 206.

[2] ابن حوقل، المصدر السّابق، ص ص 86-87؛ البكري، المصدر السّابق، ص 143 – 144.

[3] ابن خلدون، المصدر السّابق، ص 132.

[4] الإدريسي، المصدر السّابق، ص 20

[5] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 219.

[6] الإدريسي، المصدر السّابق، ص24

[7] الدّرجيني، المصدر السّابق، ص 77، الشّماخي، المصدر السّابق، ص379.

[8] جودت عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدّولة الرّستمية**، المؤسّسة الوطنية للكتاب 1984، الجزائر، ص 268.

مفترق الطّرق إلى العديد من المسالك[1]، فمنها من يتّجه إلى غدامس الذي بدوره يتّجه إلى السّودان الأوسط (الكانم والبورنو)، أمّا المسلك الآخر فيتّجه إلى الغاو، حيث يمرّ هذا المسلك، على تينزواتين وكيدال، وبورم وصولا إلى تادمكة[2]، أو من تادمكة تتّجه إلى تمبكتو[3].

2-العامل التّجاري

-صادرات المغرب الأوسط لبلاد السّودان الغربي

كانت أهمّ المنتوجات التي كانت الواحات تصدّرها إلى بلاد السّودان "**التّمر**" إذ يقول الإدريسي في هذا الشّأن « **وليس ببلاد السّودان شيء من الفواكه الرّطبة إلاّ ما يُجلب إليها من التّمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزّاب، ويجلبه إليهم أهل ورقلان** ...»[4]، كانت حواضر بلاد الزّاب مثل بسكرة تصدّر أجود التّمور(**دقلة نور**) وأطيبها حتّى أنّ كلّ عشر تمرات من تمر بسكرة بِيعت في أسواق تبكت بخمس ودعات[5] ، إلى جانب ذلك كانت ورجلان تصدّر التّين المجفّف والأكسية القطنية والكتّانية والأثواب الصّوفية والعمائم وأصناف من الزّجاج الأزرق والأصداف والأحجار الكريمة، كما يحمل إليها النّحاس الأحمر الملوّن ومنتجاته من الأساور والخواتم والخزف ذي البريق

---

[1] أحمد ذكار، **حاضرة ورجلان وعلاقتها التّجارية بالسّودان الغربي من سنة 1000هـ إلى 1301هـ/1591م إلى 1883**، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التّاريخ، 2010، ص 40.

[2] Lewicki(T) : Etudes magrébines et soudanaises, Editions scientifiques de la polognie, varsovie, 1976, p 41.

[3] Jean Letheilleux : Ouargla cité saharienne, libraire orientaliste paulgeuthner, s.a, paris, 1983, p162.

4 الإدريسي، مصدر سابق، ص 20.

1 محمود كعت : المصدر السّابق، ص219.

المعدني[1]، وكانت هذه القوافل تعود محمّلة من السّودان بالذّهب الخام والعاج ، وريش النّعام، وجلود الحيوانات.

تخصّص أهل ورجلان في قيادة هذه القوافل التّجارية، فكان منهم الأدلاّء ذوو الخبرة بالطّرق الصّحراوية في بلاد السّودان[2]، كما أنّ التّجّار الرّستميّين أَولوا أهمّية بالغة بتجارة العبيد[3] إلى درجة أنّهم صاروا يشكّلون طبقةً اجتماعية لا بأس بها في المجتمع التّيهرتي[4]، ويشير ابن سعيد المغربي أنّ مدينة ورجلان" بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وأفريقية "[5]، ويضيف الجغرافي الزّهري" ويدخل ويخرج منها جلب الصّحراء من العبيد والخدم" [6].

مع مطلع القرن(**14و15م**) تنوّعت الصّادرات والواردات وهذا راجع لانتعاش موانئ المغرب الأوسط مع الموانئ الأوروبية، ومن خلال ذلك كانت بعض المنتوجات تصدر إلى بلاد السّودان، مثل بضائع البندقية وميلان وبرشلونة وتتمثّل في المرجان والأمشاط والخردوات المنزلية[7].

-واردات المغرب الأوسط من بلاد السّودان الغربي

2 محمّد عيسى الحريري: المرجع السّابق، ص.209.

3 نفسه، ص212.

[3] محمّد بن عربة، **دور مدينة ورجلان في تجارة الرّقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، مجلّة العِبر للدّراسات التّاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلّد4، العدد1 جانفي 2021، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص 94.

4 سمير مزعي: المرجع السّابق، ص.124.

[5] ابن سعيد المغربي، المصدر السّابق، ص 126.

[6] الزُّهري، المصدر السّابق، ص119.

[7] الهادي مبروك الدّالي، **التّاريخ السّياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصّحراء**، الدّار المصرية اللّبنانية، 1999، ص322.

يُعدّ الذّهب أول الموادّ التي تصدّر من بلاد السّودان الغربي إلى بلاد المغرب الأوسط، فقد كانت غانة معروفة في كتب الجغرافية ببلاد التّبر[1]، يصف الهمداني (ت365هـ) كثرة الذّهب بمملكة غانة قائلا: «**وبلاد غانة ينبت فيها الذّهب نباتًا في الرّمل، كما ينبت الجزر ويُقطف عند بزوغ الشّمس**»[2].

3-المجال الواحي للمغرب الأوسط ودوره في التّواصل الحضاري

يشكّل المجال الواحي للمغرب الأوسط منطقة عبور رئيسية إلى الضّفة الأخرى من الصّحراء، وكانت مساهمتها بشكل بارزٍ في سهولة التّواصل، فنحن نعلم أنّ الصّحراء تطرح مشكلة صعوبة قطعها نظرًا لطبيعة البيئة الصّحراوية القاسية، من ارتفاع درجة الحرارة، والزّوابع الرّملية، والعطش، وقلّة الماء، مع المشكل الأمنية التي كثيرًا ما تحدّد مصير التّجارة الصّحراوية.

تمثّل الواحات المنتشرة في المغرب الأوسط، أماكن للرّاحة من عناء السّفر فعنصر الماء الذي هو أساس تشكّل الواحة كان متوفّرًا في شكل عيون جارية أو آبار يندفع منها الماء إلى سطح الأرض، أو في شكل فقاقير، وكثيرًا ما كان اسم الواحة يستمدّ اسمه من البئر أو العين، او الوادي، فمثلا "**رقّان**" تعني بئر، "**أوقروت**" تعني بئر الملتقى، أي البئر الذي كانت تلتقي عنده القوافل، و"**تمنطيط**" وهي لفظة مركّبة من اسمين بربريين هما "**تما**" وتعني حجب، "**تيط**" تعني العين مصدر الماء[3].

---

[1] بلاد التّبر بلاد من بلاد السّودان، وإليها ينتسب الذّهب الخالص، وهي في جنوب المغرب، يسافر التّجار من سجلماسة إلى مدينة في حدود السّودان، يُقال لها غانة؛ للمزيد انظر: القزويني المصدر السّابق، ص.

[2] ابن الفقيه الهمداني (أبو عبد الله أحمد بن محمّد)، **البلدان**، تحقيق: يوسف هادي، عالم الكتاب بيروت، 1996، ص 138.

[3] الصّديق تياقة، **الفقّارة ودورها في الإستيطان البشري وهيكلة البناء الاجتماعي في القصر من خلال نظام الخراصة، قراءة سوسيولوجية لمجتمعات توات في بلاد القصور أدرار**، مجلّة الخلدونية، المجلّد6، العدد1، سبتمبر 2013، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص 286.

إنّ تموضع الواحات في المغرب الأوسط على طول خطّ سير القوافل التّجارية من الشّمال إلى بلاد السّودان الغربي ذو فائدة كبيرة بالنّسبة لأساسيات القافلة، وحتّى تكمل الفائدة العلمية نورد وصف الرّحالة المغربي العيّاشي ق10هـ/16م خلال رحلته الحجّية كيف وصف لنا خطّ سيره من سجلماسة إلى واحات المغرب الأوسط، والملاحظ في رحلته وصف مصادر المياه، التي هي أساس نجاعة المسالك الصّحراوية، فأوّل قرية يذكرها العيّاشي من صحراء المغرب الأوسط، قرية إيجلي وهي أوّل قُرى وادي السّاورة، ثمّ نزلت القافلة في قرى بني عبّاس، ...ثمّ نزلنا على ماءٍ يُقال له تمغارن، ثمّ ارتحلنا ودخلنا عمالة توات وقرى تسابيت وبها تمرّ كثير.."[1]، وحينما وصل إلى صحراء توات فقد ذكرها بالخطاطير (الفقاقير)، كما وصف واد إمكيدن بقوله: «**مياهه كثيرة، قلّ ما تخلو يوم من منهل، وماؤه عذب**»[2].

كما يصف العيّاشي مدينة المنيعة (قوليه) بأنّ بها آبارًا كثيرة طيّبة، وحينما سار إلى حاسي لفحل وصف بئر الجديدن ووادي أتغير، وقد وصفه بأنّه غزير الماء في بسط من الأرض بين جبلين، وحين مروره بورقلة قال: «**ومن غرائب هذه البلدة استخراج عيونه الماء الغزيرة بحفر الآبار، فيحفرون بئرًا نحو خمسين قامة، ثمّ يصلون إلى حجر مصفّح على الأرض فينقرونه، فإذا نقروه فاض الماء فيّاضا قويا**»[3]، وحين نتكلّم عن وجود الماء الذي هو عنصر أساسي للحياة، فقد انتشرت بفضله أنواعٌ من الزّراعات وأهمّها الحبوب التي كانت تتخلّلها أشجار النّخيل والفواكه[4] وكلّ هذا يعدّ من أهمّ مصادر جلب القوافل التّجارية، وبالإضافة إلى ما تتميّز به واحات المغرب الأوسط من وفرة الماء، وجود مهنٍ وحرف كثيرة يتميّز بها أهل الواحات في خدمة القوافل التّجارية أو قوافل الحجيج، ومنها:

---

[1] أبو سالم العيّاشي، المصدر السّابق، ج1، ص 80.

[2] نفسه، ص 107.

[3] نفسه، ص 118.

[4] هرباش زاجية، **ورجلان دراسة اقتصادية**، مجلّة العِبر للدّراسات التّاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلّد 04، العدد، 02 سبتمبر 2021، ص 456.

-المرافقة الدّاعمة:

إنّ الحديث عن المرافقة الدّاعمة، والتي تتمثّل مشاركة أهالي الواحات في ضيافة قوافل الحجيج، والتي هي في الغالب قوافل تجارية، وقد كان التّواتيون وغيرهم من سكّان الواحات يتسابقون في إكرام الضّيف، وفي هذا يقول بن حوقل: " **وأكثر بربر المغرب من سجلماسة إلى السّوس...إلى نواحي تيهرت ومسيلة وبسكرة وطبنه...يضيّفون المارّة ويطعمون الطّعام**"[1]، ويذكر صاحب كتاب "نسيم النّفحات" أنّ ظاهرة إطعام وإيواء الغرباء أصيلة في المجتمع التّواتي، وعادتهم في ذلك إذا توفّرت الزّاوية في القصر فإنّ المسافر يقصدها، فيجد كلّ ما يحتاج إليه حتّى علف الدّابّة وإن لم تكن به زاوية، فإنّ أهل القصر لهم عادة، وهي أنّ لكلّ واحد منهم نوبة معه ستبقى مستمرّة إلى حين ترحاله[2].

كما اشتهرت بعض المراكز المنتشرة في المجال الواحي بمهنة الصّرافة نظرًا لارتباطها بأسواق السّودان الغربي[3]، فقد ذكر العيّاشي أنّ الحجّاج الذين كانوا بمعيته أخّروا الصّرف إلى توات، لأنّه أرخص من تافيلالت، كما عرفت ورجلان بمهنة ضرب السّكّة، فالذّهب القادم من بلاد السّودان يتمّ تحويله في ورجلان، ولهذا كان للعلمة الورجلانية شهرة كبيرة[4].

---

[1] ابن حوقل، المرجع السّابق، ص 92.

[2] شهاب الدّين أحمد الطّاهر بن عبد المعطي السّباعي الإدريسي الحسني، **نسيم النّفحات من أخبار توات ومن بها من الصّالحين والعلماء والثّقات**، دراسة وتحقيق وتعليق: عبد الله الطّاهري مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ماجستير في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ والآثار، 2013/2012، جامعة قالمة، الجزائر، ص 61.

[3] عبد الرّحمان ملاّخ، **الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في بلاد المغرب الأوسط مراكز المسالك الصّحراوية أنموذجا**، مجلّة النّاصرية، العدد الرّابع، جوان 2013، جامعة معسكر، الجزائر، ص 510.

[4] مؤلّف مجهول، الاستبصار، المصدر السّابق، ص 224.

كما أنّ بعض المراكز الأخرى، مثل القصور المتواجدة شمال توات على طول وادي صاورة أو السّاورة، منها قرى بني قومي، ووكده، حيث تقام أسواق رائجة لها مواسم، خاصّةً أيام وصول القوافل التّجارية والحَجّية، حيث يتمّ فيها بيع مختلف الموادّ الغذائية اللاّزمة للقوافل من السّمن واللّحم والوبر والصّوف والأعلاف، كما أنّ أصحاب القوافل عندهم أنواع مختلفة من التّجارات لبيعها، وهذا للتّمكّن من ربح المال لمواصلة السّير للغاية المقصودة، فقد كان بيع الخيول التي تأتي من فاس، فقد ذكر الوزّان أنّها تباع بأثمان مرتفعة للتّجّار الذين بدورهم يبيعونها في بلاد السّودان الغربي[1].

المُلاحظ من رحلة العيّاشي أنّ جلَّ المواد الغذائية والحرفية التي تُباع في واحات المغرب الأوسط مثل ورجلان وبسكرة وتكرت تُباع بأثمان رخيصة، ومن المهن التي امتهنها أهل الواحات التّرجمة، وخاصّة لغة أهل السّودان الغربي، وقد عرف عن أهل تبلبالة امتهان مهنة التّرجمة وهذا نتيجة تعاملهم التّجاري مع بلاد السّودان الغربي[2] كما امتهن أهل تبلبالة مهنة شرطة القوافل، وهنا يشير ابن مليح (1040-1042هـ/1630-1633م) بوفد الجراوة في وادي السّاورة ليقطعوا بهم البيداء حتّى قدمنا تبلبالة[3]، كما اشتهر أهل ورجلان بمعرفتهم بالطّرق في الصّحراء فعملوا كأدلاّء للقوافل التّجارية [4].

---

[1] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، 130.

[2] صالح بن قربة، **أهمّية تبلبالة في تجارة المغرب وبلاد السّودان خلال العصر الوسيط**، المجلّد1 العدد1، 30،06،2001، مجلّة الدّراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، ص 104.

[3] أبو عبد الله محمّد القيسي السّرّاج (ابن مليح)، **أنس السّاري والسّارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والمآرب سيّد الأعاجم والأعارب**، تحقيق: محمّد الفاسي، وزارة الدّولة المكلّفة بالشّؤون الثّقافية والتّعليم الأصلي، 1868، فاس، المغرب، ص 134.

[4] محمّد عيسى الحريري، **الدّولة الرّستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، (160-296هـ)**، دار القلم، ط3، الكويت، 1987، ص 211.

المطلب الثّالث: مجالات التّواصل بين المغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربي:

1-الهجرات السّكّانية:

عرفت منطقة شمال الصّحراء وجنوبها منذ وقت مبكّر هجرات سكّانية تبحث عن أمان للعيش، حيث كانت قبائل الغرامنت تتاجر مع شعوب ما وراء الصّحراء، وكانت التّجارة الرّائجة هي الملح والذّهب، وفي حديث هيرودوت عن مطاردة الغرامنت لمن سمّاهم بالإثيوبيّين التّروغلوديت، وذهب معظم الباحثين إلى أنّهم شعب توبو الذي يسكن شمال التّشاد، ويرجّح الباحثون أنّها عملية الاسترقاق[1]، ما يهمّنا من هذه الدّراسة هو التّوضيح أنّ المنطقة منذ قدم التّاريخ والمنطقة تشهد نزوحًا للسّكّان والتّلاقح فيما بين المنطقتين.

تُعدّ الفترة الإسلامية للمغرب الإسلامي، ومنطقة جنوب الصّحراء فترة ازدهار العلاقات الحضارية مخلّفة أثرًا بارزا ودورا كبيرا في نسج العلاقات الحضارية بحكم شساعة الجنوب المغربي وارتباطه كثيرًا بالمجال الصّحراوي، وتذكر المصادر التّاريخية الكثير من الأمثلة[2]، فالرّحالة ابن بطّوطة يذكر الكثير من تجّار المغرب الأوسط ويذكر العدد الهائل من الخدم المنقول من تكدا إلى توات[3]، ويذكر السّعدي خلال رحلة منسا موسى إلى الحجّ أنّه تخلّف الكثير منهم في توات[4]، ولم يتوقّف هذا التّفاعل على شكل أفراد بل هناك قبائل بأكملها استقرّت في السودان الغربي تعود أصولها إلى صحراء المغرب الأوسط، وهما قبيلتا (كنتة)، و(فولان).

---

[1] محمّد عوض محمّد، **الشّعوب والسّلالات إفريقيا**، سلسلة دراسات إفريقية، الدّار المصرية للتّأليف والتّرجمة، (د ت)، (د م ط)، ص 311.

[2] مبارك بن صافي جعفري، **العلاقات الثّقافية بين التّوات والسّودان الغربي خلال القرن 12هـ**، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ص 266.

[3] بن بطّوطة، **تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، الشّيخ محمّد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987، ص 712.

[4] عبد الرّحمان السّعدي، المصدر السّابق ص07.

-قبيلة كنتة:

يعود أصل قبيلة كنته إلى عقبة بن نافع الفهري الفاتح بلاد المغرب[1]، وفي هذا يقول الشّيخ بن باي بن عمر الكنتي: " **وأمّا نسب كنته فقد اتّفق أهل الصّحراء قاطبة على أنّهم من نسل عقبة مفتتح إفريقيا وهذا الذي وقفت عليه من كتب الأنساب والتّواريخ**".

تذكر الرّويات التّاريخية[2] أنّ الشّيخ عثمان بن يهس جدّ الكنتيين وصل إلى توات وأقام في واحة عزّي بمقاطعة فانوغيل، وعندما جاء حفيده الشّيخ سيدي محمّد الكنتي(9ه/15م)، وقد دفن هو وأولاده في توات، وهما سيدي يحي، وسيدي على[3] وفي عهده بدأت هجرة الكنتيين نحو الصّحراء[4]، وعاش هذ الشّيخ متنقّلا بين توات وموريتانيا، وتوفّي في إقليم (تازيازات)، وقد خلّف ذرّيته هناك أصبحوا يتردّدون بين صحراء المغرب الأوسط والسّودان الغربي، لذلك عندما يصف الكاتب الفرنسي (دفيرييه) أهل البكائيين، أنّك لا تعرف هل هم من تمبكتو أم من الجزائر لكثرة أملاكهم وأتباعهم هنا وهنالك[5] وقد أنعش هذا التّنقّل الكثير والدّائم طُرق التّجارة تحت مسمّى العلم والتّجارة، فقد كان الشّيخ سيدي أحمد الكنتي(ت1104ه) موهبة كبيرة في التّجارة

---

[1] أحمد أبا الصّافي جعفري، **من تاريخ توات أبحاث في التّراث**، منشورات الحضارة، 2011 الجزائر، ص .113

[2] ومن بين الرّوايات أنّ أصل تسميتهم يرجع إلى إحدى مناطق السّودان الغربي، وبالضّبط إلى كنته قورا بسنغاي، وهناك قصيدة الشّيخ محمّد بن الشّيخ الأرواني التي ورد فيها:

الكنته اسم إيالة في لفظهم لقب لوالٍ يُعدّ في الزّمـــان

هناك قريتها كنته قورما اسمها بشرق سنغاي من قديم الزّمان

للمزيد انظر: محمّد حوتية، **آل كنته**، المرجع السّابق، ص51.

[3] محمّد بن مختار الكنتي، **الرّسالة الغلاوية**، تحقيق: حماه الله ولد سالم، منشورات معهد الدّراسات الإفريقية، مطبعة الكوثر، الرّباط، المغرب، 2003، ص 39.

[4] مبارك بن صافي، المرجع السّابق، ص 268.

[5] نفسه، ص 273.

وعمل على تنظيمها بين توات والسّودان الغربي، وبعد وفاته خلفه أخوه الشّيخ سيدي الأمين الملقّب بذي النّقاب(ت 1129هـ)[1].

وفي ثنايا هذا التّنقل كان الدّور العلمي للكنتيين عظيمًا وخاصّة في تبنّي الطّريقة القادرية ونشرها في السّودان الغربي، وفي إرساء دعائم الثّقافة العربية الإسلامية وتكاد تكون القبيلة العربية الوحيدة التي أثّرت في الزّنوج بهذ الحجم[2]، وإن قلنا المجال الذي أثّرت فيه، فشمالا من توات والسّوس وتافيلالت وجنوبًا إلى تمبكتو وكتسينا وقوبير في شمال التّكرور[3]، وتتفرّع مضارب قبيلة كنته بين المغرب الأوسط والسّودان الغربي.

في المغرب الأوسط تتركّز هذه المجموعات في كلٍّ من منطقة توات، في دائرة زاوية كنته وفي بلدية أقبلي وقصر تيمادين والقصر الجديد وقصر تاوريرت وقصر الحاج كلّها تقع في ولاية أدرار، وهناك مجموعات في تمنراست مثل في تينزواتين، وفي المنيعة ولاية غرداية، وفي تندوف[4]، أمّا بالسّودان الغربي فهي تتوزّع في كلٍّ من شنقيط، الأزواد والتّكرور والسّنغاي

-قبيلة الفلان:

---

[1] بول مارتي، **كنته الشّرقيّون**، تعريب: محمّد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق 1985 ص147.

[2] مصطفى أبو ضيف، **أثر القبائل العربية في الحياة العربية المغربية**، ط2، دار النّشر المغربية الرّباط، 1982، ص 269.

[3] بول مارتي، المرجع السّابق، ص 34.

[4] بريك الله حبيب، **العلاقات التّجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية (السّودان الغربي) من خلال وثائق أسرة أهل العبد**، رسالة دكتوراه علوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015/2014، ص 89.

هناك اختلاف كبيرٌ حول أصل هذه القبيلة[1]، لكن من المسلم به أنّها من القبائل الوافدة إلى بلاد السّودان، وفي هذا الصّدد يقول العتيق بن سعد الدّين السّوقي: " **اعلم أنّ سكّان البلاد الأصليّين ـ يعني السّودان الغربي ـ صنفان من النّاس، الأبيض وهم الطّوارق، والأسود وهم السّنغي، وأمّا من جاورهم في الوطن من العرب والفلان، فإنّما وصلوا البلاد بعد الفتوحات الإسلامية** "[2]، إلاّ أنّ هناك اختلافا واضحًا في أصل الفولانيين، فمنهم من يقول أنّ أصلهم يعود إلى جنس بني إسرائيل (اليهود)، ومنهم من قال أنّهم من سلالة الرّوم، ومنهم يقول بنسبهم إلى الحِميريين.[3]

ما يهمّنا في دور هذه القبلة، أنّ أفرادها كانوا كثيري التّردّد على توات مثل الشّيخ عبد الله بن أحمد الفلاني(ت1194هـ)، حيث أنّه درس على يد الشّيخ عبد الرّحمان بن عالم الزّجلاوي، ثمّ على يد الشّيخ عبد الرّحمان بن عمر، وتوفّي الفلاني في تيدكلت[4].

-قبائل الطّوارق:

تضاربت آراء المؤرّخين في القديم والحديث حول أصل قبائل الطّوارق، والتي تقطن بين بلاد البربر شمالا وبلاد الزّنج جنوبا (السّودان الغربي والأوسط)، أرجع كثير من المؤرّخين والنّسّابة إلى أنّ أصل الطّوارق هو جزء لا يتجزّأ من البربر[5] السّكّان

---

[1] من الرّوايات في ذلك أنّهم عرب حميريّون جاءوا من اليمن منذ أزمنة بعيدة، انظر: مولاي أحمد الطّاهر الإدريسي، **نسيم النّفحات في ذكر جوانب من أخبار توات**، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر نقلاً عن مبارك بن صافي الجعفري، المرجع السّابق، ص 83.

[2] العتيق بن سعد الدّين السّوقي التّكروري، **الجوهر الثّمين في أخبار الصّحراء الملثّمين ومن جاورهم من السّودانيّين**، خزانة الشّيخ هيدة، الحيّ الغربي، أدرار، ص 20، نقلاً عن، مبارك بن صافي الجعفري، المرجع السّابق، ص 275.

[3] علي يعقوب، الفلانيون الشّعب واللّغة، مجلّة القراءات الإفريقية، العدد 24، ربيع الآخر-جمادى الآخرة 1426هـ، أبريل، 2015م، ص ص 18 – 17.

[4] مبارك بن صافي، المرجع السّابق، ص 277.

[5] ريمون فيرون، الصّحراء الكبرى، ترجمة: جمال الدّين الدّيناصورى، مؤسّسة سجل العرب، القاهرة 1993، ص93.

الأصليّون للمغرب الإسلامي، فهذا ابن خلدون يقول: **بلكانة وانجفة وسرطة ولمتونه ومسوفة وكدالة...وأنّ بلادهم بالصّحراء مسيرة ستّة أشهر وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية**"[1]، ويساند هذا القول قول ابن حوقل: " **ومن المتعزّبين المُوغلين في البراري صنهاجة أودغوست وسجلماسة غير قبيلة من قبائل البربر متعزّبون لم يروا قطّ حاضرة ولا عرفوا غيلا بادية العازبة فمن ذلك، شرطة وسمسطة وبنو مسوفا**"[2].

يُفهم من قول ابن خلدون أنّ مواطن بطون صنهاجة ما بين المغرب الأوسط وإفريقية، وهي نفسها المواطن التي يقطنها الطّوارق[3]، ثمّ يضيف ابن خلدون قوله: أنّهم هم الملثّمون بالقفر، وراء الرّمال الصّحراوية بالجنوب[4]، والطّوارق عمومًا يُطلقون على أنفسهم إمازغن، وفي مناطق أخرى يُطلقون على أنفسهم بـ "**إيموها Imohar**"، وأصلها إيموزاغ جمع الأمازيغ، أمّا في مناطق نهر النّيجر فيسمّون بـ «**إموشار Imochar**» وفي الآيير والأوزاغ الأوسط والشّرقي يقولون: «إيماجيرغ Imajeurn» ومنهم من يطلق على نفسه تما جق، وهي باللّغة الطّارقية تعني أصحاب تماجق[5].

هناك العديد من العائلات التّواتية يرجع أصولها إلى مناطق السّودان الغربي وهذا راجع إلى كثرة التّنقّل الدّائم والمستمرّ بين توات والسّودان الغربي، فمثلاً ذُكر أنّ (أولاد بن دراعو) أصلهم من التّكرور[6]، كما أنّه منطقة ولاّته التي انقسم سكّانها بينها وبين توات، فعلى سبيل المثال عائلة الأشراف أولاد سيدي حمّو بالحاج الذين لهم فروع بتوات ترجع المصادر أنّهم من أسّسوا مدينة النّعمة القريبة من ولاّته.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6، ص 152.

[2] ابن حوقل، المصدر السّابق، ص 101/100.

[3] إبراهيم بتقة، المرجع السّابق، ص122

[4] ابن خلدون، المصدر السّابق، 181.

[5] محمّد سعيد قشّاط، الطّوارق عرب الصّحراء، ص 28.

[6] Martin A. G. P : quatre siécles d histoire Marocaine (1504/1904) Paris 1923 P75

تذكر الرّوايات التّاريخية أنّ الشّريف سيدي حمّو بالحاج دخل أولاً من تافيلالت إلى تمبكتو تاجرًا سنة (1040هـ)، وكعادة التّجّار العلماء لهم حضوة بإقليم توات فكان سيدي حمّو كثير التّردّد على توات، وفي سنة (1062هـ) توفّي الشّريف سيدي حمّو في تمبكتو ودُفن بها، ولشهرة الشّيخ أرسل حاكم تمبكتو لأولاد الشّيخ في تافيلالت بالحضور لتسلّم التّركة، فجاء ابنه الشّريف مولاي أحمد الحاج سنة 1036هـ، والتقى بابن التّوات (بباحلي) من زاوية كنتة، في طريق العودة عرض بباحلي للشّريف امحمد بالإقامة في أرض زاوية كنتة، وبالفعل نزل الشّريف وتوفّي بها وأرسل لإخوته بالمجيء لتوات[1].

من أشهر شخصيات العائلة نذكر: الشّيخ مولاي السّعيد بن مولاي عبد الله الرّقاني (ت1209هـ)، وأخوه مولاي الشّريف بن مولاي عبد الله الرّقاني(ت1208هـ) ويصفهما صاحب المنح ربّ الغفور بقوله: " **وكانا رحمهما الله من عباد الله الصّالحين والأولياء المشهورين، لهما كرامات كثيرةٌ ومناقبُ عديدة**"[2]، ويحدّثنا محمّد العالم البكراوي أنّ المحاجيب سكّان مدينة ولاّتة الأوائل ينتسبون للشّيخ عمر بن محمّد بن عمرو البازي(ت872هـ/1468م) الذي انتقل من توات إلى ولاّتة، كما أنّ هناك أصولًا لعائلة (إيدو على) التي تعود مواطنها الأولى إلى منطقة تبلبالت[3]، ثمّ زحفت

---

[1] أحمد أبا الصّافي جعفري، **من تاريخ توات أبحاث في التّراث**، منشورات الحضارة، الجزائر 2011، ص 65، 67، 68.

[2] أبي بكر بن أحمد المصطفى، **مِنح الرّبّ الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشّكور**، تحقيق: محمّد الأمين بن حمّادي، ENS EDITIONS ، ليون، فرنسا، 2011، ص 62.

[3] تبلبالة: هي حاضرة العلم والعلماء، خرّجت الكثير من العلماء الذين كان لهم الدّور الكبير في منطقة توات وبلاد السّودان الغربي، وتُعرف الأسرة التّبلبالية بالعلم والفتوى، من أشهر فقهائها سيدي مخلوف التّبلبالي الذي له فتوى في مسألة الرّقيق اعتمد عليها أحمد بابا التّمبكتي في أجوبته والعالم عبد الله التّبلبالي خطيب ومدرّس جامع بتمبكتو، وهو من علماء القرن 9هـ، يصفها حسن الوزّان باسم (تبلْبلتْ)، حيث يقوله: " وهو مكان مأهول في وسط صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتي ميل من الأطلس ومائة ميل جنوب سجلماسة، وهم يتّجرون مع بلاد السّودان"، ويذكرها صاحب أنس السّاري أنّها محطّة ركاب الحجّاج وهي معروفة بمائها العذب، أي هي مكانٌ لراحة

هذه العائلة نحو منطقة توات المركز خلال القرن السّادس هجري، ثمّ استقرّت بعدها في منطقة شنقيط في موريتانيا منقسمة بين مدينة(تجكجة) وسط موريتانيا، والأخرى نحو الجنوب الغربي لموريتانيا[1].

- قبائل بني حسان العربية:

خلال القرن الثّامن الهجري نزح بنو حسّان من جنوب المغرب الأوسط والأدنى بسبب الصّراع السّياسي بين المرينيين والزّيّانيّين، ومن جانب آخر صراع المرينيين ضدّهم وإجلاؤهم نحو الصّحراء السّودانية أو صحراء شنقيط، وكان لدخولهم الصّحراء بداية لتحوّل في تاريخها، حيث كانت بينهم سلسلة من الحروب والصّراعات ضدّ قبائل صنهاجة[2] وبعد تمكّنهم من الصّحراء أصبحت الحسانية هي لغة الصّحراء[3].

-قبيلة تجكانت:

القوافل التّجارية والحجيج، أمّا في وقتنا الحاضر فإنّ تبلبالة فهي الآن تابعة إداريًا لولاية بشّار على نحو 270كلم، وتعلو على مستوى سطح البحر بـ 525م، وهي تقع في وسط الكثبان الرّملية، فغربها الكثبان الرّملية المعروفة بعرق شاش، أمّا غربا بعرق السّراوي، ومن الشّمال الغربي حمادة الدّورة، للمزيد انظر: ابن مليح، أنس السّاري والسّاري من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيّد الأعاجم والأعارب (1040- 1042)، تحقيق: محمّد الفاسي، المملكة المغربية، فاس، 1986م، ص 28، حسن بن محمّد الوزّان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمّد حجّي ومحمّد الأخضر، ج2، ط2، دار الغربي الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 129، سالمي كريمة الأسرة التّبلبالية وإسهاماتها العلمية في منطقة توات خلال القرنين19 و20م، أطروحة لنيل دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار الجزائر، 2019- 2020، ص 34.

[1] يحي ولد سيدي أحمد، المرجع السابق، ص 5.

[2] المختار ولد حامد، **التّاريخ السّياسي، موسوعة حياة موريتانيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000، ص 81.

[3] يحفظ عمر إنجيه محمّد عبد الله، **النّحو العربي ببلاد شنقيط**، مركز الملك عبد بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربية، دار وجوه للنّشر والتّوزيع الرّياض، 2018، 25.

تجكانت تسمية صنهاجية، معناها القوّاد أو أدوات القيادة، وهي قبيلة لمتونية عريقة، تقطن معظمها في موريتانيا، والباقي موزّعٌ بين الأزواد في مالي وتندوف في الجزائر، ومنها جماعات في مواطن أخرى[1]، وتنتسب هذه القبيلة إلى جكان بن شروال اللّمتوني، وهم فرع من مسوفة، وجكان هو جدّ أيشف "**الفغ**"، بمعنى الفقيه بن اكريل بن علي بن جكان، ورمضان ومسان أخوان[2].

كانت قبيلة **تجكانت** تشكّل معظم جيش المرابطين، وبعد انهيار دولة المرابطين انتقلوا إلى وهران، ونزحوا بعد ذلك إلى شنقيط، ثمّ بنوا قرية تينيكي بين ودان وآيير حوالي سنة 680هـ/1282م، فقامت لهم في تينيكي دولة علم ودينٍ واستمرّت حتّى القرن 10هـ/16م[3]، ومن كثرة تردّد هذه القبيلة ارتباطات المصاهرة بالمغرب الأوسط قيل أنّ المجاهد الفذّ والشّهيد الأغرّ جكان الأبر، الذي استشهد زمن فتوحات الدّولة المرابطية أنه دفن في مدينة تلمسان[4]، ويُقال أنّه بعد انهيار دولة المرابطين خرجت قبيلة تجكانت نحو توات وسكنوا في أخصاص لأنّهم جاؤوا في ظروف حرب والخوف ومكثوا نحو سبعين سنة قبل أن ينزحوا إلى نواحي آدرار بموريتانيا، ليستقرّوا في الأخير بمدينة "تينيكي".

2-ركب الحجيج:

يُعتبر الحجّ مناسبة دينية هامّة للمسلمين في كلّ بقاع العالم للتّعارف وتبادل كلّ ما ينفع الإنسان، وقد عرف عن حجّاج السّودان الغربي حبّهم وشغفهم الكبير لزيارة البقاع المقدّسة، وكان الملوك والعلماء والفقهاء من أشدّ النّاس حرصًا عليه، وإلى جانب

---

[1] موسى كامرا، **تاريخ قبائل البيضان عرب الصّحراء الكبرى**، تحقيق: حماه الله ولد سالم، ص 81.

[2] بريك الله حبيب، **العلاقات التّجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية (السّودان الغربي) من خلال وثائق أسرة أهل العبد**، رسالة دكتوراه علوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015/2014، ص 54.

[3] بريك الله حبيب، المرجع السّابق، ص 55؛ المختار بن حامد، **موسوعة حياة موريتانيا**، المرجع السّابق، ص 7.

كون الحجّ أحد أركان الإسلام فإنّه كذلك كان فرصة للقاء العلماء والحكّام لتبادل المعارف والخبرات، وخاصّة في الأمور الدّينية والسّياسة الشّرعية، ومن بين الطّرق التي سلكها حجّاج السّودان الغربي، نذكر ما يأتي:

طريق من نياني عاصمة مملكة مالي مرورًا بمدينة تمبكتو فولاّتة، ثمّ إلى إقليم توات، ثمّ يدخل إلى وركلا، ومنها يدخل الصّحراء اللّيبية(غدامس) ثمّ إلى مصر، ومنها للبقاع المقدّسة، ويُعتبر هذا الطّريق من أشهر الطّرق التّجارة والحجّ، ونلاحظ أنّ هذا المسلك اشتهر بسبب محطّاته العلمية الشّهيرة ولوجود الأمن، لأنّ الطّريق الغربيّ الذي يمتدّ من السّوس إلى ولاّتة بفعل إغارات الأعراب على القوافل التجارية أو الحجيج[1] وهو مكان مجمع ركب السّودان الذين يأتون بالذّهب، فيكون سعر الصّرف أرخص، بالإضافة إلى توفّر الموادّ الغذائية بوفرة، ويصبح السّوق فيها حافلا [2]، و كان العلماء والفقهاء يستغلّون فترات الرّاحلة لينهلوا من معين العلماء في شتّى العلوم، وفيها كذلك يتمّ تبادل الإجازات والمخطوطات.

من أهمّ مراكز الالتقاء، نذكر: زاوية الشّيخ سيدي علي الحنيني بزاجلو، زاوية كنته، زاوية الرّكب النّبوي[3]، ومن بين أشهر الفقهاء الذين ذكرتهم المصادر التّاريخية نذكر الفقيهين الشّيخ أحمد بن عبد العزيز القوراري، والشّيخ محمّد ابن الشّيخ أحمد بابا التّمبكتي، وحجّ معهم الباشا على بن عبد القادر(ت1042هـ)[4].

من بين الرّحلات الحجّية التي وصفت لنا هذا الطّريق هي رحلة أبي عبد الله محمّد بن أحمد القيسي الشّهير بالسّراج الملقّب بابن مليح، ، صيح هو لم يصف لنا الطّريق من السّودان الغربي إلى توات، لكنّ الرّحلة انطلقت من مرّاكش آخذة الطّريق الصّحراوي الذي يمرّ بواحات المغرب الأوسط، وهنا يشير إلى ركب حجيج السّودان

[1] ابن خلدون، المصدر السّابق، ج7، ص 77.

[2] عبد الله بن محمّد العيّاشي، المصدر السّابق، ص 79-80.

[3] مبارك جعفري، المرجع السّابق، ص 266.

[4] عبد الرّحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص 333

الغربي، حيث أنّه التقى بركب في توات، ومع القائد على بن عبد القادر الشّرقي باشا السّودان، وكذلك مع العالم محمّد ابن أحمد بابا التّمبكتي، بالإضافة إلى مشايخ ذكرهم ابن مليح في رحلته[1].

بعد الحملة السّعدية على السّنغاي استقلّت حاضرة **(ولاّتة)**[2] بركب حجيج وهو ما حفظته لنا المصادر التّاريخية عن ركب الحاج أحمد بن الحاج الأمين التّواتي الغلاوي عند الوصول لتوات يكون أمر رئاسة الرّكب الولاّتي لأبي نعامة، وأشهر رحلة سلكت هذا الطريق هي رحلة السّلطان منسا موسي، التي كانت في سنة(724هـ- 1321)[3] ويمدّنا بن خلدون أن خلال هذه الرّحلة قد ربطت علاقاتٍ متينة مع الدّولة الزّيانية من خلال تعرّف السّلطان منسى موسي على الحاجب هلال القطلاني وهو من أهمّ رجال أبي تاشفين، وكان التّعرّف على السّلطان في الإسكندرية[4]، ومن ذلك الحين أصبح ملوك تلمسان يراسلون سلاطين مملكة مالي[5].

3-القوافل التّجارية

شهدت العلاقات التّجارية بين حواضر المغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربي منذ القرن الثّاني للهجرة مع الدّولة الرّستمية، التي كان لها الفضل في التّعريف بالإسلام في

---

[1] ابن مليح، المصدر السّابق، ص 29.

[2] تقع مدينة ولاّتة شمال غانة، وهي أول عمالة السّودان الغربي، تقع على طريق القوافل التي تربط غانة مع سجلماسة وكذلك مع توات من الجهة الشّرقية الشّمالية، وأغلب سكّان إيولاتن من سكّان مسوفة، تأسّست في القرن 2 هجري، وهي تعني بالكلمة السّودانية (مدخل المدينة)، وهي مأوى التّجّار والعلماء الصّالحين، وابن بطوطة خلال زيارته لها سمّاها إيوالاتن، وهي تقع حاليا في موريتانيا، في مقاطعة الحوض الشّرقي، تبعد عن العاصمة نواقشوط بحوالي1200كلم إلى الشّرق وعن تمبكت بالمسافة نفسها تقريبا، للمزيد انظر: عبد الرّحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص21 ابن بطّوطة، المصدر السّابق، ص 676، بودواية مبخوت، المرجع السّابق، ص 301.

[3] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 47.

[4] ابن خلدون، المصدر السّابق، ص 235.

[5] نور الدّين شعباني، **دور عائلة كيتا**، المرجع السّابق، ص 403.

بدياته الأولى، ثمّ توالت الرّحلات التّجارية المتخصّصة التي لها نظام واسع مع بلاد السّودان الغربي، حيث أنّنا نلاحظ أنّ القافلة ليست كما نعتقد فيها تجّار ومواد غذائية وسلع ...الخ، بل هي كما يصفها أحد الباحثين هي "**وعاءٌ ناقلٌ للحضارة**".

فقد كان في القافلة التّاجر والعالم والفقيه وطالب العلم، يرحلون بكتبهم ورسائلهم سواءٌ للمزيد في طلب العلم أو لكسب معاشهم، وهذه السّمة نلاحظها تقريبًا على جلّ فقهاء العالم الإسلامي، لأنّ الدّافع الأساسي في هذه هو الرّحلة في طلب العلم.

وقد حدّثنا العيّاشي في رحلته إلى الحجّ أنّه نزل بإحدى قرى توات(والا)، فعثر في إحدى زواياها على سِفر من نوازل البرزلي[1]، ويحدّثنا الوزّان أنّ القوافل كانت تحمل المخطوطاتِ وهذا لغلاء ثمنها[2].

تصدّرت شركة (آل مقري) كلّ الدّراسات التي تتحدّث عن التّجارة بين القُطرين أو تجارة المخطوطات، كانت هذه الشّركة تعمل بين خمسة إخوة وهم: عبد الرّحمان، أبو بكر، محمّد، عبد الواحد، علي، حيث كان العمل كما يقول أبو عبد الله المقرّي أنّهم مهّدوا طريق الصّحراء بحفر الآبار وتأمين الطّرق واتّخذوا الطّبل والرّاية، وقد عملوا على التّواصل فيما بينهم من تلمسان وسجلماسة وولاّتة [3]، وكان أهمّ ما يمكن أن نستنتج منه من النّاحية العلمية والثّقافية لهذه الشّركة هو تنقّل العلماء والفقهاء والكتب وقد أشار صاحب النّفح الطّيّب بالخزانة الكبيرة التي ورثها عن أجداده حيث قال: "**ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تُعين على طلب العلم**"[4].

[1] العياشي، المصدر السّابق، ج1، ص 108.

[2] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ج2، ص 167.

[3] المقرّي، المصدر السّابق، ج5، ص 205-206.

[4] نفسه، ص 206.

من العلماء الذين كان لهم رحلات تجارية الشّريف سيدي حمّو بالحاج، حيث أنّه من تافيلالت وكان كثير التّردّد على توات[1]، وتوفّي في توات، وأبناؤه جلّهم عاشوا في توات ولهم أحفاد إلى يومنا هذا.

[1] أبا الصّافي الجعفري، المرجع السّابق، ص 65.

الفصل الثّاني

ازدهار المذهب المالكية في المغرب الأوسط ودورها بلاد السّودان الغربي خلال القرن 8-9 الهجريين

المبحث الأول:

انتشار المذهب المالكي بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط منذ القرون الأولى الهجرية إلى غاية فترة مدار الدّراسة: من البداية والظّهور إلى التّمكين والانتشار

االمبحث الثّاني:

الإنتاج العلمي والفقهي لعلماء المغرب الأوسط

المبحث الثّالث:

أبرز علماء مالكية المغرب الأوسط في فترة مدار الدّراسة

- قراءة في سيرهم ومؤلّفاتهم -

البحث الأول: انتشار المذهب المالكي بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط منذ القرون الأولى الهجرية إلى غاية فترة مدار الدّرس: من البداية والظّهور إلى التّمكين والانتشار:

اعتبرت المرحلة التي كانت بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مهمة في تاريخ بلاد المغرب الأوسط، بحيث عرفت تشكل الهوية المذهبية، ونعني بذلك انتشار المذهب المالكي والأخذ به من قبل أهل المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عموما، وذلك أمام وجود تيارات مذهبية أخرى سنية وخارجية وشيعية، المتتبع لتنافس والصراع بين السنة والخوارج ثم بين السنة والشيعة، ثم ظهرت المدارس الفقهية التي أثرت المكتبة الإسلامية لتشق طريقها لبلاد السودان الغربي.

المطلب الأول: المذهب المالكي في المغرب الأوسط

1-مرحلة البداية والظّهور من القيروان إلى المغرب الأوسط

كان دخول المذهب المالكي في الشّمال الإفريقي بدايةً من الدّيار المصرية على يد عبد الرّحيم بن خالد بن يزيد بن يحي مولى جمح[1]، ثمّ نشره أبو عبد الله عبد الرّحمن بن القاسم العتيقي المصري (ت191هـ/806م) تلميذ مالك، وعند ابن فرحون أنّ أول من أدخل علم مالكٍ مصر هو عثمان بن الحكم الجذامي (ت163هـ/780م)[2]

أمّا في بلاد المغرب فقد كان أهله يدينون في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم حسب ما أرشدهم إليه الفاتحون الأوّلون، ممّا حملوه معهم من كتاب الله والسّنّة وما

[1] هو أبو يحي عبد الرّحيم بن خالد بن يزيد بن يحي، الإمام الفقيه، من قدماء أصحاب الإمام مالك وروى عنه موطّأ مالك، وروى عنه اللّيث وابن وهب، وأخذ عنه ابن القاسم بمصر قبل رحلته إلى مالك، وهو أوّل من قدِم مصر بمسائل مالك، توفي 163هـ، للمزيد انظر: الشّيرازي، **طبقات الفقهاء**، ص 149؛ القاضي عيّاض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص 54.

[2] ابن فرحون المالكي، **الدّيباج المذهّب في معرفة أيّان علماء المذهب**، تحقيق: محمّد الأحمدي أبو النّور، ج2، دار التّراث للطّبع والنّشر، القاهرة، (د س)، ص75.

تواتر عليه عمل السّلف الصّالح[1]، إلى أن جاء العلاّمة أبو الحسن علي بن زياد العبسي التّونسي (ت183هـ/800م)[2] الذي جلب معه الموطّأ قبل تنقيحه من قِبل صاحب المذهب، فكان هو صاحب السّماع الأوّل للموطّأ، وعليه أخذ فطاحل المذهب كلٌّ من البهلول وأسد وسحنون وغيرهم[3] ، واستمرّ العمل على هذا المذهب إلى أن قدم عليهم فريق من المشرق ممّن تشبّع بآراء أهل العراق، فنشر بينهم رأي الإمام أبي حنيفة وما ذهب إليه أصحابه من آراء فقهية، وكان من بين الواردين من الرّحلة العلمية المشرقية، عبد الله بن عمر بن فروخ الفاسي (ت176هـ) والأسد بن فرات (ت213هـ/828م) قاضي إفريقية، وفاتح صقلية، وهو صاحب الأسدية المشهورة في الفقه المالكي، وكان يقضي على مذهب أبي حنيفة، وبهذا تكون سيادة المذهب الحنفي مدّة من الزّمن على عهد الدّولة الأغلبية التي حكمت الجزء الشّرقي من بلاد المغرب الإسلامي[4] بين سنة (184هـ إلى 296هـ/800-909م)[5].

-الإمام سحنون ودوره في رسوخ المذهب المالكي:

---

[1] عبد الرّحمان الجيلالي، **المذهب المالكي جذوره**، المرجع السّابق، ص 50.

[2] المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمّد)، **رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهّادهم ونسّاكهم وسِير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ج1، تحقيق مراجعة: بشير بكّوش محمّد غيروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1994، ص 234.

[3] أبو العرب (محمّد بن أحمد بن تميمي)، **طبقات علماء أفريقيا**، دار الكتاب اللّبناني، (د س)، (د ت)، ص 251؛ بوعقادة، المرجع السّابق، ص 154.

[4] امتدّت حدود الدّولة الجزائرية (المغرب الأوسط) في العهد الأغلبي، تمتد من سكيكدة شرقًا إلى وطن زواوة غربا، ومن ميلة وسطيف شمالاً إلى شطّ الجريد جنوبا، ويصحّ أن نقول عمالة قسنطينة، للمزيد انظر: عبد الرّحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، المرجع السّابق، ج1، ص 262.

[5] عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السّابق، ص 259.

بعد أن تولّى الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التّنوخي[1] القضاء في حاضرة القيروان سنة 234هـ/848م، عمل بكل ما أوتي من قوّة على ترسيخ فقه مالك، من خلال مجموعة من العوامل التي ساعدت على تثبيت المذهب المالكي، والتي منها تولّيه منصب القضاء، ونحن نعرف ما مدى أهمّية هذه الوظيفة السّلطانية في ترسيخ المذهب، بذلك يكون نشاطه بصفة قانونية، فقام بتنظيم القضاء من خلال وقوفه على تنظيم مجال الحسبة، إشرافه على النّشاطات العلمية المسجدية من حِلق العلم والمناظرات الفقهية والأصولية والعقَدية بين مختلف الطّوائف، وتوصّل إلى الخروج بموقفٍ يقضي بتفريق حِلق الخوارج والمُعتزلة من أهل الزّيغ والبدع وعزلهم عن جميع الوظائف وتقليص نشاطاتهم والتّضييق عليهم[2].

لعبت شخيصة الإمام سحنون في ورعه وتقواه وزهده دورًا بارزًا في إقبال المغاربة على فقه مالك، وكأنّه مثّل لهم شخصية الإمام مالك رضي الله عنه، وفي هذا يقول الخشني: "**وجمع مع ذلك فضل الدّين والعقل والورع والعفاف، فبارك الله تعالى للمسلمين، مالت إليه الوجوه وأحبّته القلوب، وصار زمانه كأنّه مبتدأ، وقد محى ما قبله فكان سراج القيروان**"[3]، وممّا زاد في تثبيت المذهب ورسوخه هو الإنتاج العلمي

---

[1] هو أبو سعيد عبد السّلام بن سعيد بن حبيب التّنوخي الملقّب بسحنون، انتهت إليه رئاسة المذهب في بلاد المغرب قاطبة، أخذ عن العلاّمة ابن القاسم وابن وهب وأشهب، وعرض على ابن القاسم مدوّنة الإمام أسد بن فرات، فصحّحها ثمّ رجع بها إلى القيروان، ونشرها، توفّي 240هـ؛ انظر: قاضي عيّاض، ترتيب المدارك، ج1، 585؛ الذّهبي، **سِير أعلام النّبلاء**، ج12، ص 63 الشّيرازي (إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي أبو إسحاق)، **طبقات الفقهاء**، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الرّائد العربي، بيروت، 1970، ص 156.

[2] القاضي عيّاض بن موسى بن عيّاض السّبتي (ت544هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: عبد القادر الصّحراوي، ط2، ج4، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1983، ص60.

[3] الدّباغ (أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الأنصاري الأسدي)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التّنوخي (ت839هـ)، (د س)، (د م) ج2، ص83.

الذي توصّل إليه الإمام سحنون متمثّلا في "**المدوّنة**" التي عكف عليها حينًا من الدّهر بين الجمع والتّنقيح والسّؤال، حتّى قيل فيها: "**ما من حكم نزل من السّماء إلاّ وهو في المدوّنة**"[1].

لقد جمعت المدوّنة بين دفّتيها علم مالك بن أنس – رضي الله عنه – من سماع عبد الرّحمان بن قاسم، وهذه هي السّمة الغالبة عليها، إذن فهي أجوبةٌ سئل عنها عبد الرّحمن بن القاسم[2] فأجاب عنها ممّا سمعه عن شيخه الإمام مالك بن أنس الأصبحي وكان إذا لم يجد قولاً في مسألة فإنّه يجيب بالقياس والرّأي على أصول مالك وبالإضافة إلى ما لحقه سحنون ممّن أقول لإكبار أصحاب مالك وتلامذته نقلاً عن سماعهم، كأشهب، وابن وهب، وابن عبد الحكم وغيرهم[3]، فكانت المدوّنة من أساسيات الفقه المالكي، واقتصر النّاس عليها[4]، وفي هذا يقول المالكي: "**ونشر سحنون مدوّنته وسمعها عليه أهل المغرب وانتشر ذكرها في الآفاق، وعوّل النّاس عليها، وأعرضوا عن الأسدية، وغلب عليها اسم سحنون**[5]، ولقد أقبل عليها العلماء والفقهاء وطلبة العلم من أهل إفريقية والمغرب والأندلس دون غيرها من المؤلّفات، مثل الواضحة لعبد الملك بن حبيب، والعتيبة لابن عبدوس، واعتبرها كثير من العلماء الأصل الثّاني بعد الموطّأ، وأصحّ كتب الفروع فيه، يقول الحطّاب: "والمدوّنة ما أُلّف في الفقه من الدّواوين، وهي أصل المذهب وعُمدته[6].

---

[1] ابن فرحون، المصدر السّابق، ص 61.

[2] عبد الرّحمن بن قاسم، وهو عبد الرّحمن بن قاسم بن محمّد بن أبي بكر التّيمي القُرشي المدني كان من سادات أهل المدينة علمًا وفضلاً وفقها، من أعظم تلامذة الإمام مالك... للمزيد انظر: القاضي عيّاض، المصدر السّابق، ج3، ص 244.

[3] أحسن زقور، **القواعد الفقهية المستنبطة من المدوّنة**، دار بن حزم، الجزائر، د ت، ج1، ص 125.

[4] الشّيرازي، المصدر السّابق، ص127.

[5] الدّباغ، المصدر السّابق، ج2، ص 17.

[6] الحطّاب، **مواهب الجليل شرح مختصر خليل**، دار الفكر، ط3، بيروت، 1992، ج1، ص 34.

يقول فيها الفقيه الإمام سحنون: "**عليكم بالمدوّنة فإنّها كلام رجل صالح، وكان يقول: إنّما المدوّنة من العلم بمنزلة أمّ القرآن من القرآن، تُجزئ في الصّلاة عن غيرها، ولا تُجزئ غيرها عنها، أفرغ فيها الرّجال عقولهم وشرحوها، وبيّنوها، فما اعتكف أحد على المدوّنة ودراستها إلاّ عرف ذلك في ورعه وزهده، وما عداها أحدٌ إلى غيرها إلاّ عرف ذلك فيه، ولو عاش عبد الرّحمن أبدا ما رأيتموني أبدا**"[1]، وتناولها كبار الفقها بالشّروح والاختصارات، وأوّل من شرحها محمّد بن سحنون، شرح منها أربعة كتب، اختصرها محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني مالك الصّغير (ت386هـ)[2]، وخدمته لها من خلال كتابه النّوادر الزّيادات على ما في المدوّنة من غيرها من الأمّهات، منهم إبراهيم بن عنجس بن أسباط الزّبادي (ت274هـ) اختصر المدوّنة في عشرة أجزاء وسهّلها[3]، و كما أسلفنا سابقًا عن دخول المذهب المالكي لحاضرة القيروان على يد علماء وتلاميذ الإمام مالك، ثمّ تولّى الإمام سحنون دوره في ترسيخ الفقه المالكي من خلال المجالس العلمية والتّأليف، وعمله في القضاء.

2- دخول وانتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط

إذا جئنا لنتحدّث عن المغرب الأوسط ومجاله الجغرافي الذي يحدّده الجغرافيّون فإنّنا نصطدم بنوع من التّداخل الحضاري، فالمجال الجغرافيّ للمغرب الأوسط (الجزائر) محصورٌ بين حاضرتي "**القيروان**" و"**القرويين**"، وقد عرف دخول المذهب المالكي والاستقرار فيهما في وقت مبكّر، فالجهة الشّرقية القريبة من حاضرة القيروان التي كانت تعجّ بالفقهاء وطلبة العلم من المغرب الأوسط، وهناك نماذج علمية ساهمت بشكل ملفتٍ للانتباه في مواكبة هذا النّشوء، وأقصد به أخذ علم مالك على يد الرّعيل الأوّل، سواءٌ في حاضرة القيروان أو عن طريق الرّحلة العلمية للمشرق، مثل الفقيه

[1] القاضي عيّاض، **ترتيب المدارك**، ج3، ص 300.

[2] أبو زهرة، **مالك حياته وعصره**، مطبعة الاعتماد، مصر، 1946، النّاشر مكتبة الأنجلو المصرية، ص 235.

[3] خليفة بابكر الحسن، **دراسات في تاريخ المذهب المالكي**، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة 2001 ص39.

إسحاق ابن عبد الملك الملشوني[1] (حيا 226هـ) الذي لقي سحنون بالقيروان سنة 226هـ، له كتاب كبير في "**أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وفي البدأ** "[2].

لهذا يصطلح الدّكتور **بوعقادة** في دراسته "**الحركة الفقهية في المغرب الأوسط**" على تأثير المدرسة القيروانية في المدرسة المغرب أوسطية "**بالتّأثير السّحنوني**"، كما هو معروف أنّ الكيان السّياسي الذي ربض على المغرب الأوسط خلال نهاية القرن الأول الهجري إلى غاية نهاية القرن الثّالث الهجري، ألا وهي الدّولة الرّستمية التي تدين بالمذهب الإباضي، فهو المذهب الرّسمي لها، وخلال هذه المرحلة كان المذهب المالكي أو إن صحّ التّعبير المدرسة المالكية بالمغرب الأوسط في تشكّل وتأسيس، وإذا استنطقنا المصادر التّاريخية، فإنّنا نفهم عن وجود علاقة بين إباضية تيهرت والسّنّة المالكية[3]، وأنّ السّلطة في تيهرت كانت متسامحةً كثيرا مع مختلف الطّوائف، ولم يلق المالكية تضييقا، بل تمتّع هؤلاء بالحرّية في التّديّن والتّمذهب، وإنّ من بين مظاهر هذا التّسامح المناظرات بين المذاهب في حرّية تامّة وأدب وحبٍّ للآخر[4].

ذكر لنا الخشني في طبقاته، شخصية ذكرها بالزّواوي الذي جعل من أساتذته الإمام سحنون، وأشار إلى سماعه من مالك، وأنّه يروي عنه أحاديث منها حديث في موضوع الحنّاء[5]، كما أنّ هناك شخصية تولّت منصب القضاء بالزّاب، وهو أبو حاتم

---

[1] من أهل قرية ملشون إحدى قرى بسكرة.

[2] عبد الواحد المرّاكشي، **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: الدّكتور صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 1426، ص 89

[3] بوعقادة، المرجع السّابق، ص 161.

[4] ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص57؛ التّواتي بن تواتي، **خبر الآحاد عند المالكية والإباضية ملتقى المذهب المالكي الخامس**، وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف، ولاية عين الدّفلى، 14 – 15 أفريل، 2009، ص 341.

[5] الخشني، **طبقات علماء إفريقية**، تحقيق: محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة المدبولي، القاهرة، ص 145؛ المالكي، المصدر السّابق، ج1، ص 248.

يحي بن خالد السّهمي (ت245هـ/859م)، وهو من تلامذة الإمام سحنون وقد مدح شيخه قائلا:

فذاك الرّضى سحنون فالزمه تستفد بـــه البرَّ والتّقوى وتجنّب العســـرا[1]

من الشّخصيات المالكية التي كان لها تأثير على السّاحة العلمية في عهد بني رستم، العالم الفقيه المحدّث بكر بن حمّاد بن إسماعيل الزّناتي التّيهرتي (ت296هـ) أخذ عن الإمام سحنون وعن عون ابن يوسف الخزاعي، ثمّ دخل البصرة سنة 217هـ[2]، وقد أورد لنا ابن فرحون أنّ لبكر بن حمّاد تلامذة منهم: أحمد ابن تميم والد أبي العرب التّميمي صاحب الطّبقات[3].

من خلال هذه الكوكبة الأولى التي وطئت أرض المغرب الأوسط بدأت تتشكّل معالم المدرسة المالكية بالمغرب الأوسط، ويذكر الأستاذ بوعقادة أنّ المدرسة المالكية التي برزت في القيروان قد وصل صداها المغربَ الأوسط منذ المراحل الأولى، بل وأقول إنّ مدرسة المغرب أوسطية كذلك سارعت في النّهضة بالمذهب المالكي وتثبيته ولا تقلّ أهمّيتها عن باقي المدارس، القيروان في المغرب الأدنى، والقرويّين في المغرب الأقصى.

في أواخر القرن الثّالث الهجري وأوائل القرن العاشر الميلادي ابتلي المغرب الإسلامي بدولة بني عبيد، وعرف خلالها المذهب المالكي وأهله محنًا وفتنًا ورزايا عظيمةً جرّاء الغزو العُبيدي لبلاد المغرب، وتشيُّعهم المبني على كُرهٍ لأهل السّنّة

[1] أبو العرب، المصدر السّابق، ص 120.

[2] المالكي، المصدر السّابق، ج2، ص21؛ الدّباغ، المصدر السّابق، ج2، ص 281.

[3] ابن فرحون، **الدّيباج المُذهّب**، المصدر السّابق، ص 347.

والجماعة، كان منطلق الدّعوة الفاطمية[1] بأرض كتامة بالمغرب الأوسط، لتتمكّن في فترة قصيرةٍ جدّا من إنهاء حكم ثلاثة دول كانت قائمة في المغرب الإسلامي (الرّستميّين، الأغالبة، بني مدرار).

بدأت مرحلة جديدةٌ من الصّراع بين المالكية الذين مثّلهم سكّان بلاد المغرب الإسلامي، والمذهب الإسماعيلي الذي مثّلته السّلطة الحاكمة ومن سار في فلكها من بعض العامّة وبعض القبائل المغلوبة على أمرها[2]، ولقد أظهر الإسماعيليّون انحرافًا خطيرا في العقائد والفروع، وغالوا في المهدي حتّى أنزلوه منزلة الإله، وفرضوا على الخطباء أن يدعوا بدعاء خاصٍّ للمهدي – قبّح الله وجهه –، وفي هذا يقول شاعرهم ابن هانئ الأندلسي يمدح المعزّ:

فكأنّما أنت النّبــيّ محمّـــد وكأنّما أنصارك الأنصـــار

[1] بدأت الدّعوة الباطنية العُبيدية في بداية الأمر على يد رجلين من اليمن "سفيان والحلواني"، وقد استطاعا أن ينشرا أفكارهما في قبائل البرانس ذات القوّة والشّكيمة، ثمّ بعد حين من الزّمن تولّى الدّعوة أبو عبد الله الشّيعي الرّجل الدّاهية صاحب الحِيل العجيبة، وصل إلى أرض كتامة عن طريق الحجّاج المغاربة، وتمركز في منازل قبيلة سكتاتة التي هي بطن من بطون كتامة، ومن تلك البقعة بدأ ينشر فكره، ثمّ دخل في الأمور السّياسية ونظام الحكم ودور الإسلام في الحكم بالشّورى وفضل العلويّين وأحقّيتهم في الحكم، في سنة296هـ تمكّن أبو عبد الله الشّيعي من دخول مدينة أريس بجيش قويّ كوّنه من قبائل كتامة، ثمّ دخل القيروان وخلالها أعلن أنّ الخليفة الحقيقي هو عبيد الله المهدي، استطاع أبو عبد الله الشّيعي في سنة 297هـ أن يغزو دولة بني مدرار في سجلماسة وخلّص عبيد الله المهدي من سجنه، وفي طريق عودته أزال دولة بني رستم في تيهرت سنة 297هـ، وأصبح المغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأدنى (تونس وجزء من ليبيا) دولةً عُبيدية شيعية؛ للمزيد انظر: عبد الفتّاح الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج2، ص57؛ علي محمّد الصّلابي، **الدّولة الفاطمية**، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2007، ص36.

[2] الإسماعلية هم فرقة ادّعت أنّ الإمام جعفر الصّادق قد نصّ على إمامة ابنه بالنّصّ، انظر: الشّهرستاني، المصدر السّابق ص 196.

ما شئت أنت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهّار

هذا الذي تجدي شاعته غـــدا حقـًّا وتخمد أن تراه النّـــار[1]

وأظهروا سبّ الصّحابة – رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم – [2]، كما منعوا الفتوى بمذهب الإمام مالك[3] وإسماعه للطّلبة[4]، وشرع أنواع من العقوبات في حقّ كلّ من خالف المذهب الإسماعيلي من الضّرب، والسّجن، والتّغريم، والقتل، والتّمثيل، ومع هذا كلّه وقف مالكية المغرب الأوسط والأدنى في وجه هذا البلاء، حتّى قال الدّباغ في معالم الإيمان: "**وجزى الله مشيخة القيروان: هذا يموت وهذا يضرب وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرّون ولو فرّوا لكفرت العامّة دفعة واحدة**[5]، وقد فتح العلماء والفقهاء بيوتهم للنّاس لفضح معتقدات الباطنية العُبيدية مثل ما فعل أبو إسحاق السّبائي يحذّر العامّة من مذهب الباطنية[6]، كما اجتهدوا في غرس منهج أهل السّنّة في أبناء الكتاميّين والصّنهاجيّين والبرابرة الموالين للدّولة الفاطمية[7].

من مساهمة فقهاء مالكية المغرب في الذّود عن السّنة، الفتاوى في الجهاد والاتّحاد مع الخوارج في محاربة العُبيديّين، مثل فتوى الشّيخ أبو إسحاق السّبائي الذي يرى أنّ الخوارج من أهل القِبلة والعُبيديّين ليسوا من أهل القبلة[8].

---

[1] الصّلابي، المرجع السّابق، ص 57.

[2] الحسن بن محمّد شواط، **مدرسة الحديث بالقيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، ط1، الدّار العالمية للكتاب الإسلامي، الرّياض، 1411هـ، ج1، 73.

[3] إبراهيم التّهامي، **جهود علماء المغرب في الدّفاع عن عقيدة أهل السّنّة**، مؤسّسة الرّسالة، ط1 2005، ص ص 309 – 312.

[4] ابن العذارى، المصدر السّابق، ج1، ص 151.

[5] الدّبّاغ، المصدر السّابق، ص 200.

[6] الصّلابي، **الدّولة الفاطمية**، المرجع السّابق، ص 33.

[7] الحسن بن محمّد الشّواط، المرجع السّابق، ج2، ص 80.

[8] المالكي، رياض النّفوس، ج2، ص 340.

لقد ألقى الصّراع المالكي الإسماعيلي بظلاله على بلاد المغرب الأوسط وخاصّة حاضرة تلمسان، التي بدأت تتبلور بها معالم المدرسة المالكية المغرب أوسطية وتزيد في القوّة والنّفوذ[1]، وخاصّة بعد أفول نجم تيهرت عاصمة الرّستميين حاضنة المذهب الإباضي، فتح الطّريق أمام المذهب المالكي لينتشر بشكل واسعٍ وقوي، خاصّة بعد انحسار الدّعوة الشّيعية وفشلها في إيجاد مكانٍ لها[2].

من الشّخصيات التي مثّلت مرحلة النّشأة العالم الكبير أبي جعفر أحمد بن النّصر الدّاودي الأسدي (ت 440هـ)، اشتهر الإمام الدّاودي بأنّه الفقيه المحدّث، عدّه القاضي عيّاض من أئمّة المالكية بالمغرب الأوسط والمتّسعِين في العلم والمجيدين للتّأليف[3]، فهو من أوائل شرّاح صحيح البخاري، الذي سمّى مؤلّفه بـ "النّصيحة"، كما له مؤلّفات أخرى، مثل: النّامي في شرح الموطّأ، وكتاب الأموال[4]، والواعي في الفقه والإيضاح في الرّدّ على القَدَرية، وكتاب الأصول وكتاب البيان[5].

لقد مثّلت هذه الشّخصية الفذّة جزءًا هامًّا في تكوين مرحلة نشأة وتطوّر المدرسة المغرب أوسطية، بل عدّه الدّارسون واضع اللّبنة الأولى للمدرسة، فمؤلّفاته وأراؤه ستصبح من المصادر الأساسية للطّبقة من العلماء في مرحلة التّطوّر، سواءٌ في المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عامّة.

---

[1] محمّد بن معمر، **المدرسة المالكية في حاضرة تلمسان حتّى منتصف القرن السّابع الهجري** مجلّة البحوث العلمية والدّراسات الإسلامية، العدد1، المجلّد1، ماي 2004، جامعة بن يوسف بن خدّة، الجزائر، ص 205.

[2] سبع قادة، **المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتّى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي**، رسالة ماجستير في التّاريخ الإسلامي، كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية وهران، 2003 – 2004، ص 120.

[3] القاضي عيّاض، المصدر السّابق، ج7، ص 103.

[4] الدّاودي أبو جعفر أحمد بن النّصر، **كتاب الأموال**، تحقيق: رضا محمّد سالم شحاده، مركز إحياء التّراث، الرّباط، 1988.

[5] محمّد بن معمّر، المرجع السّابق، ص 206.

المطلب الثّاني: مرحلة تطوّر انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط

1- حمّاد وانتصاره للمذهب المالكي

لقد كانت جرأة انفصال حمّاد بن بلكين عن الزّيري وإعلان الاستقلال سنة 405هـ/1014م وقيامه بتأسيس الدّولة الحمّادية، وإعلان المذهب المالكي دين الدّولة ونبذ طاعة العُبيديين[1] أكبر مكسب للمدرسة المالكية المغرب أوسطية من خلال وجود غطاء سياسي يدعم المذهب المالكي ممثّلا في الدّولة الحمّادية حاملة لواء أهل السّنّة والجماعة في المغرب الأوسط، وحامية حِمى المالكية[2].

يصوّر لنا المؤرّخ الكبير عبد الرّحمن بن خلدون عن هذه الجرأة والتّحوّل قائلا:"...**وخالف دعوة باديس، وقتل الرّافضة، وأظهر السّنّة، وترضّى عن الشّيخين ونبذ طاعة العُبيديين جملة، وراجع دعوة آل العبّاس، وذلك سنة 405هـ/1014م**"[3].

ممّا لا شكّ فيه أنّ التّكوين العلمي لحمّاد بن بلكين على يد الفقهاء المالكيّين كان له الأثر الكبير في هذا التّحوّل، فكما يروي لسان الدّين الخطيب عن المؤرّخ الصّنهاجي بكر بن حمّاد محمّد بن علي في كتابه نبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة أنّه درس الفقه والجدل ونظر في كتبه بالقيروان[4]، وتوضّح موقفه عندما اجتمع بالفقهاء في القلعة بعد القطيعة لحسم المرجعية التي تتبعها الدّولة، حيث أنّه تدخّل ليحسم

---

[1] ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6، ص 228.

[2] عبد الرّحمن كريب، **الأثر الحضاري للمذهب المالكي في المغرب الأوسط من القرن 5هـ/11م إلى القرن 9هـ/ 155م**، أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه في التّاريخ الإسلامي الوسيط، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعبّاس، الجزائر، 2016-2017، ص ص 46 – 47.

[3] ابن خلدون، **العِبر**...، المصدر السّابق، ج6، ص 228.

[4] لسان الدّين ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثّالث من كتاب أعمال الإعلام**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، محمّد إبراهيم، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1964 ص 85.

اختيار المذهب المالكي، مستحضرا بذلك ما تناقلته المصادر حول موقف الأمير هشام بن عبد الرّحمن بن معاوية[1] المؤيّد للإمام مالك بن أنس، حيث أنّه سأل عن موطن الإمام أبي حنيفة **فقالوا له: الكوفة، فقال: عالم أهل المدينة يكفينا"، ثمّ أمر بإخراج أتباع المذاهب الأخرى، وقال: "لا أحبّ أن يكون في عملي مذهبان"**[2].

2-دور القلعة في نشر المذهب المالكي

بعد هذا التّحوّل السّياسي الحضاري لوحظ انتعاش الدّراسات الفقهية في المذهب المالكي وتفجّرت ينابيع الفقهاء في التّصنيف والتّأليف والتّدريس، واشتهرت القلعة كمركز للدّراسات الفقهية، وتحوّلت إلى قبلة للعلماء من شتّى البلدان وملجأ لهم[3] وانتقل إليها العلماء والفقهاء القيروانيّون خاصّة بعد الهجمة الهلالية الشّرسة التي تعرّضت لها حاضرة القيروان، يقول النّوَيري: "**ولمّا رحل المعزّ من القيروان وسار إلى المهدية وتمكّنت العرب وأخربوا البلاد ونهبوا الأموال، انتقل كثير من أهل القرى والبلاد إلى بلاد بني حمّاد لحصانتها، فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم**"[4].

تبوّأت القلعة مكانةً عالية باحتضانها حِلق العلم والمناظرات الفقهية المالكية، فنبغ جمع غفير من الفقهاء المالكية الذين أطّروا الدّرس الفقهي في القلعة، نذكر منهم:

أبو عبد الله محمّد بن أبي الفرج المازري المعروف بـ "**الذّكي**"، له تآليف ضخمة ألّفها في حاضرة القلعة، مثل كتاب الكبير في علوم القرآن، وله في الفقه المالكي تعليقٌ

---

[1] ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق: إحسان عبّاس، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر ط2، 1987، ج2، ص 229.

[2] عبد الحليم عويس، **دولة بني حمّاد صفحة رائعة من التّاريخ الجزائري**، دار الشّروق، الجزائر 1980، ص 168.

[3] محمّد حسن، **مسالك الثّقافة بين القيروان وقلعة بني حمّاد، ضمن مسالك الثّقافة والمثاقفة في تاريخ المغرب**، الجمعية المغربية للبحث التّاريخي، ط1، 2006، ص 26.

[4] النُّويري شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق: محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج24، ص122.

بلغ ألف سؤال، ومقدّمة في النّحو، ارتحل إلى المشرق وتوفّي بأصبهان سنة516هـ[1] من تلامذته أبو عبد الله محمّد بن داود بن عطية بن سعيد العكّي القلعي أحد شيوخ القاضي عيّاض، وُلد سنة 445هـ[2]، كان متأثّرا أشدّ التّأثّر بشيخه الذّكي، قال في أستاذه: "**شيخنا الذّكي أفقه من أبي عمران الفاسي، ومن كلّ مالكي رأيت، بل فضّله حتّى على إسماعيل بن إسحاق القاضي**"[3].

غير أنّ ما أصاب القيروان جرّاء الهجرة الهلالية لحق بالقلعة، وتعرّضت للتّضييق وفقدت مركزها شيئًا فشيئا، بعدها انتقلت الرّيادة مباشرةً إلى حاضرة بجاية، حيث ستشهد دورًا مميّزًا من حيث انتعاش الدّراسات الفقهية عموما، وممّا يثلج الصّدر في ريادة هذا العصر ما ذكره أصحاب الصّناعة التّاريخية في مدى اهتمام مجتمع المغرب الأوسط بالفقه المالكي، يذكر المؤرّخ عبد الرّحمن الجيلالي الحالة العلمية في بجاية قائلا: "**وأعجب من ذلك أنّ هناك من العوام وأشباههم من كان يحفظ عن ظهر قلب من أمّهات كتب الفقه والحديث، كصحيح البخاري وموطّأ مالك ومدوّنة سحنون وتلقين عبد الوهّاب البغدادي**"[4].

بل، وإنّ ظاهرة حفظ المدوّنات الفقهية المالكية لم تقتصر على العنصر الذّكوري فقط، بل تعدّى " إلى العنصر الأنثوي فقد ذُكِر أنّه كان في بجاية نحو ألفٍ من البنات كنّ يحفظن المدوّنة عن ظهر قلب، وهذه دلالة واضحةٌ جلية على مدى ازدهار المدرسة المغرب أوسطية في دخول مرحلة التّطوّر والرّسوخ، ونلاحظ أنّ من مشاهير

[1] القاضي عيّاض، **المدارك**، المصدر السّابق، ج2، ص ص 340 – 341.

[2] ابن بشكوال، **الصّلة**، ج2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، ص 244.

[3] الدّبّاغ، **معالم الإيمان**، ج3، ص 203.

[4] عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السّابق، ج1، ص 300.

العلماء في حاضرة بجاية أو كما يصطلح عليهم الفقهاء البجائيّون كان بعضهم شيوخًا لكثير من كبار العلماء، كالسّخاوي، وأبي إسحاق الشّاطبي، والسّيوطي، وابن خلدون[1].

إلاّ أنّ الدّارسين لهذا الدّور لاحظوا أنّ العنصر الوافد إلى بجاية تفوّق من حيث التّأليف، مع أنّ العنصر المحلّي كانت له قدرة كبيرة على التّأليف[2]، ونذكر ابن الخرّاط أبو محمّد عبد الحقّ الأزدي الإشبيلي (ت581هـ/1185م) ولِي صلاة الفريضة والخُطبة بجامع بجاية[3].

ذكره الياقوت الحموي في التّعريف ببلدة ريغ، ذكرها أنّها داخلةٌ في حدود مملكة بني حمّاد، قال: "**قال أبو طاهر بن سكينة: سمعت أبا محمّد عبد الله بن محمّد بن يوسف الزّناتي الضّرير بالثّغر، يقول: حضرت هارون بن النّضر الرّيغي بالرّيغ في قراءة كتاب البخاري والموطّأ وغيرهما عليه، وكان يتكلّم عن معاني الحديث وهو أمّي لا يقرأ ولا يكتب، ورأيته يقرأ كتاب التّلقين لعبد الوهّاب البغدادي في مذهب مالك من حفظه كما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب ويحضر عنده دون مائة طالب لقراءة المدوّنة وغيرها من كتب المذهب عليه**"[4].

3-المذهب المالكي ما بعد الحمّاديين:

فصّل كثيرٌ من الباحثين والأكاديميّين على أنّ فترة ما بعد الحمّاديّين هي مرحلة تطوّر المذهب المالكي الذي يحدّده الباحثون اعتبارًا من نهاية القرن الرّابع وبداية القرن

---

[1] محمّد ذير أوسالم، **مساهمة علماء بجاية في خدمة المذهب المالكي**، مجلّة الحضارة الإسلامية العدد 14 شعبان، 1431هـ/2010م، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر، ص 245.

[2] مسعود بريكة، **المعرفة العلمية ببجاية بين الرّافد المحلّي والوافد الخارجي من خلال عنوان الدّراية**، مجلّة عصور جديدة، العدد 18، عدد خاصّ بقسنطينة، أوت 1436هـ/2015م، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر، ص 225.

[3] الغبريني، **عنوان الدّراية**، المصدر السّابق، ص 41.

[4] الياقوت الحموي، المصدر السّابق، 30

الخامس[1]، جاءت فترة المرابطين التي كانت أوّل دولة تعطي للمغرب الإسلامي الوحدة المذهبية المالكية[2]، فقد كان مؤسّسها عبد الله بن ياسين الجزولي (ت451هـ/967م) فقيها مالكيا[3] متشبّثًا بالمذهب –وكان صوفيًا مجاهدًا مرابطا صوّاما قوّاما–[4] من خلال جعل مدار الفتوى إلاّ على المذهب المالكي.

ما يؤكّد تشبّث الدّولة المرابطية بالمذهب المالكي تلك الرّسالة التي أصدرها تاشفين بن علي بن يوسف سنة 538م، مدارها أنّ الفتوى تكون على مذهب إمام دار الهجرة وفيها يقول: " **واعلموا رحمكم الله أنّ مدار الفُتيا ومجرى الأحكام والشّورى في الحضر والبدو، على ما اتّفق عليه السّلف الصّالح ـ رحمهم الله ـ من الاقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه، فلا عدول لقاضٍ ولا مفتٍ عن مذهبه، وليأخذه في تحليل ولا تحريم به ومن حاد عن رأيه بفتواه ومال عن الأئمّة إلى سواه، فقد ركب رأسه واتّبع هواه**"[5]، ونستشفّ من هذه الرّسالة الشّديدة اللّهجة التي بثّت في نفوس العلماء والعامّة ما مدى منزلة فقه مالك في نفوس المرابطين، وكما هو معلوم أنّ مالك ومذهبه متشرّبٌ في نفوس المغاربة.

لقد تحقّق للفقهاء المالكية في العهد المُرابطي ببلوغ مناصبَ عالية في الدّولة من الوزارة والقضاء، وربّما حتّى قيادة الجند، فعظم أمرهم وانصرفت وجوه النّاس إليهم[6]، وهو ما سمح بتسريع وتيرة تثبيت المذهب، وفي هذا يقول المؤرّخ عبد الواحد

---

[1] أمير فوزي، **دخول المذهب المالكي إلى الجزائر "النّشأة والتّطوّر"**، الشّهاب مجلّة 6 العدد، 03 (محرّم1442هـ/سيبتمبر2020م)، ص 283.

[2] مسعود بن موسى فلوسي، **المذهب المالكي والسّلطات المتعاقبة في الجزائر**، مجلّة البحوث العلمية والدّراسات الإسلامية، المجلّد 1، العدد 1، جامعة بن يوسف بن خدّة، الجزائر، ص 84.

[3] ابن العذارى، المصدر السّابق، ج4، ص 10.

[4] ابن أبي الزّرع، المصدر السّابق، ص 124.

[5] حسن على حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، 1980، مصر ص ص 465 – 464.

[6] المرّاكشي، المصدر السّابق، ص 171.

المرّاكشي: " **ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلاّ من عَلِم علْم الفروع، وأعنى فروع مالك، فنفقت في ذلك كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتّى نسي النّظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**"[1].

من فقهاء المدرسة المغرب أوسطية الذين كان لهم الدّور الكبير في خدمة المذهب المالكي ونشره من خلال سيرورة الدّرس الفقهي والتّأليف، نذكر:

العلاّمة الفقيه الصّالح أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطّان البوني (ت439هـ) الذي تصدّر كرسي التّعليم والتّأليف، فكتب شرحه لمختصر موطّأ الإمام مالك الذي تمّ تداوله بكثرة يُعدّ من بين مناهج الدّراسة في تيسير الدّرس الفقهي، كما اشتهر العلامة المجتهد القاضي أبو علي حسن بن علي بن محمّد المسيلي (ت 580هـ)، وكان يُكنّى بأبي حامد الصّغير، ولِيَ قضاء بجاية، وتولّى التّدريس بجامعها[2].

جاءت فترة الموحّدين التي تصف فيها حالة المذهب المالكي بتعثّره على المستوى السّلطوي، وهذا راجع إلى أنّ حكّام الدّولة الموحّدية كانوا ميّالين للمذهب الظّاهري[3]

---

[1] عبد الواحد المرّاكشي، **المرجع السّابق**، ص 131.

[2] عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السّابق، ج1، ص 311.

[3] المذهب الظّاهري: ينتسب هذا المذهب للإمام داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي رئيس أهل الظّاهر، وُلد سنة 200هـ/815م وتوفّي 270هـ/883م، يعتمد المذهب الظّاهري على بالعمل بظاهر النّصوص في المقام الأوّل وعندما لا يتوفّر النّصّ يميل إلى الإجماع، ومن هنا فإنّ أصوله الكتاب والسّنّة والإجماع، للمزيد انظر: الذّهبي، ج13، ص98، 103؛ أحمد بكير محمود، **المدرسة الظّاهرية بالمشرق والمغرب** دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1990، ص22.

على خطى إمامهم الأكبر ابن تومرت[1]، والذي كانت دعوته تدعو إلى الرّجوع إلى القرآن والسّنّة، واستنباط الأحكام منها، وحصره أصول الأدلّة في القرآن والسّنّة ومحاربة فقه الفروع[2].

تنطلق فكرة ابن تومرت في ثورته الفقهية من أنّه لم يهاجم مذهب الإمام مالك كاتّجاهٍ فقهي مترسّخ في نفوس المغاربة، وإنّما كان هدفه إضعاف سيطرة الفقهاء المالكية على الحياة السّياسية والثّقافية[3]، فهو يتدرّج في قرارته بالعودة للأصول حتّى إذا هم تعوّدوا على قراءة مُوطّئه صرفهم بالكلّية عن تراث المالكية، ثمّ إنّ ابن تومرت هاجم سلفية الإمام مالك في التّوحيد، ولا يهاجمها علانية في الفقه[4]، ونبّه الونشريسي في مبحث البدع من المعيار قائلا: " **ومنها ما أحدثه المهدي الظّاهري محمّد بن تومرت... من إعادة الدّعاء بعد الصّلاة، والدّعاء عليها بتصاليت الإسلام عند كمال الأذان**"[5]، قال المنوني: " **إنّ المذهب الظّاهري كان محبوبا من طرف الخلفاء**

---

[1] ابن تومرت محمّد بن عبد الله المصمودي البربري الملقّب بالمهدي، من قبيلة هرغة من المصامدة، من قبائل جبل السّوس بالمغرب الأقصى، ولد سنة 485هـ، وتوفّي سنة 524م؛ **للمزيد انظر**: الزّركلي، **الأعلام**، ج6، ص 228.

[2] ابن تومرت، **أعزّ ما يطلب**، تحقيق: عبد الغني أبو العزم، مؤسّسة الغني للنّشر، الرّباط، المغرب 1997، ص 122.

[3] عبد الرّحمن كريب، **الأثر الحضاري للمذهب المالكي في المغرب الأوسط من القرن 5هـ/11م إلى غاية القرن 9هـ/15م**، أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه في التّاريخ الإسلامي الوسيط، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعبّاس، الجزائر، 2016/ 2017 ص 79.

[4] الجيلالي السّلطاني، **المذهب المالكي على عهد الدّولة الموحّدية بالمغرب الإسلامي**، مجلّة الحضارة الإسلامية، المجلّد 5، العدد6، ديسمبر 1999، جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر ص 271.

[5] الونشريسي، **المِعيار**...، المصدر السّابق، ج2، ص 465.

الموحّدين، وبصفةٍ أخصّ لدى الخليفة يعقوب المنصور[1]، فقد بلغ من إعجابه إلى حدّ أن كان يقول عن أحد أشياخ الظّاهرية الكبار – ابن حزم – إنّ كلّ العلماء عيال عليه[2]، وسار مع هذا القول الفقيه ابن الجزي (ت741هـ/1340م) الذي قال: "**وكان يعقوب المنصور عالمًا محدّثا ألّف كتاب التّرغيب في الصّلاة وحمل النّاس على مذهب الظّاهرية وأحرق كُتب المالكية**"[3].

بطبيعة الحال، خالف بعضهم هذا الطّرح،حيث أنّه لم يثبت اعن المنصور أو أيّ خليفة موحّدي الاعتماد على كتب الظّاهرية، وإنّما اكتفى بمصنّفات الحديث، ولو كان ظاهريا لأمر بكتبهم أن تُدرّس في حِلق العلم[4]، إلاّ أنّ الدّراسين لتراث ابن تومرت يؤكّدون على مالكية الرّجل، ومن الأمثلة على ذلك ما ألّفه من كتب مثل: "محاذي المُوطّأ" وهو اختصار للموطّأ من رواية عبد الله بن بكير المخزومي (ت231هـ/845م)[5].

أشار الباحثون أنّ المذهب المالكي لم ينهزم أبدًا أمام الدّعوة الموحّدية إلى الاجتهاد، ولا أمام المذهب الظّاهري، ويرى الدّكتور عبد المجيد النّجّار أنّ النّزعة

---

[1] محمّد المنوني، **حضارة الموحّدين**، دار توبقال للنّشر، 1989، الدّار البيضاء، المغرب، ص 37.

[2] المقرّي، **نفح الطّيب**، المصدر السّابق، ج3، ص 238.

[3] ابن الجزّي، **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتّنبيه على مذهب الشّافعية والحنفية والحنبلية**، تحقيق: محمّد بن سيدي محمّد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، 2008، ص 615.

[4] مغراوي محمّد، **العلماء والصّلحاء والسّلطة في المغرب والأندلس في عصر الموحّدين**، رسالة دكتورا، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، الرّباط، 2001/ 2002، ص 175.

[5] على عشّي، المرجع السّابق، ص217.

الظّاهرية كان لها الأثر الإيجابي في خدمة المذهب المالكي[1]، فقد كانت أمّهات الكتب التي تحرق مباشرة يُعاد كتابتها.

في المغرب الأوسط تمكّن المذهب المالكي من الصّمود بقوّة بفضل ثلّةٍ من الفقهاء الذين حافظوا على سيرورة الدّرس الفقهي الذي يعدّ من عوامل تمكّن الفقه المالكي، رغم الحصار الرّسمي من السّلطة الحاكمة، ولقد أورد لنا الغبريني في كتابه جملة من المقرّرات الفقهية المالكية التي كانت حاضرة أيّام الموحّدين، منها "الرّسالة" لأبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، والتّهذيب لأبي سعيد البراذعي (ت478هـ/1038م)[2]، وكتاب المدوّنة والمختلطة للإمام سحنون بن سعيد التّنوخي (ت240هـ/854م)، وكتاب التّبصرة لأبي الحسن اللّخمي (ت478هـ/1085م)[3]، وهذا علي بن قنّون (ت577هـ/1181م) أصله من تلمسان، وكان متبحّرًا في حفظ الفقه له كتابٌ في الأصول سماه «**المقتضب الأشفى في اختصار المُستصفى**".

من الفقهاء الجهابذة الذين سخّروا أقلامهم وفكرهم في الرّدّ على الظّاهرية أو من السّلطة التي كانت تدعم هذا التّوجّه، نذكر منهم، قاضي بجاية حسن بن علي ابن محمّد المسيلي (ت580هـ/1184م) الذي ألّف كتاب النّبراس في الرّدّ على منكر القياس[4]، وللفقيه البجائي أبي زكريا الزّواوي (ت611هـ/1214م) الذي ألّف كتاب "حجّة الأيام وقدوة الأنام" وبسبب هذا الكتاب رفع أمره إلى الخليفة الموحّدي[5].

---

[1] عبد المجيد النّجار، **المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 495.

[2] الغبريني، المصدر السّابق، ص307.

[3] على عشّي، **المغرب الأوسط في عهد الوحّدين دراسة تحليلية للأوضاع الثّقافية والفكرية (534هـ/1139م إلى 633هـ/1235م)**، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط قسم التّاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012/2011، ص 229.

[4] الغبريني، المصدر السّابق، ص ص 66 – 67.

[5] نفسه، ص 217.

المطلب الثّالث: مرحلة التّمكين والرّسوخ

1-الدّولة الزّيّانية ودورها في التّمكين للمذهب المالكي:

منذ القرن السّابع الهجري، وفي القرن الثّامن والقرن التّاسع[1]، سيشهد المذهب المالكي أزهى عصوره من حيث الإنتاج الثّقافي، ومن أكثر الأزمنة كثرة من حيث العلماء[2] نظرًا لعدّة عوامل كانت مساهمةً في هذه الثّورة الثّقافية التي تعطي للمذهب المالكي صبغة ملاصقة بالمغرب الإسلامي لا تنفكّ عنه وخاصّةً في العلوم الدّينية ومن أشهر العوامل التي ساهمت في هذه الثّورة الثّقافية تشجيع ملوك بني زيّان للعلماء، ويظهر هذا الدّور المهمّ في تهيئة الجوّ المناسب لطلب العلم والتّشجيع على الإبداع، أو ما يُعرف بحركة الاستقطاب في عهد مؤسّس الدّولة الزّيانية السّلطان يغمراسن بن زيّان، فقد كان له فضل في استقطاب العلماء إلى بلده والبحث عنهم[3] والإغداق عليهم بالأموال والهدايا والجِرايات، وتشجيعهم على التّأليف والتّدريس، فقد استقدم الفقيه المالكي أبي إسحاق بن يخلف التّنسي إلى تلمسان لتدريس الفقه المالكي وتثبيته[4]، كما استقطب السّلطان أبو حمو موسى الأوّل (ت718هـ/1318م) العلماءَ وأعطاهم مكانة مرموقة، مثل العالِمين الجَليلين إبني الإمام[5]، وقد أنشأ لهما مدرسة وسمّاها باسميهما في عهد السّلطان أبو تاشفين بن السّلطان أبي حمّو موسى الأوّل

---

[1] سيّد أحمد بن بشير، **جهود علماء المغرب الأوسط في خدمة الفقه المالكي في القرن التّاسع الهجري**، العدد 29 – رمضان 1437هـ/ جوان 2016، مجلّة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر، ص 01.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص 123.

[3] محمّد بن عبد الله التّنسي، **تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّرّ والعقيان في شرف بني زيّان**، حقّقه: محمود أغا بوعيادة، موفم للنّشر، الجزائر، 2011، ص126؛ محمود طمّار، المرجع السّابق، ص ص 94 – 95.

[4] عبد الرّحمن الأعرج، **العلاقات الثّقافية بين دولة بني زيّان والمماليك، مذكّرة ماجستير، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية**، قسم التّاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2008/2007، ص 43.

[5] إبني الإمام وهما، أبو زيد عبد الرّحمان، وأبو موسى عيسى.

استقطب العلاّمة الشّيخ أبو موسى بن عمران المشذالي (ت745هـ/1324م) وقرّبه من الحضرة السّلطانية لأنّه كما يقول عنه ابن خلدون أنّه أعلم عصره في فقه مالك[1] ودرس في المدرسة التّاشفينية التي أسّسها السّلطان عبد الرّحمن الأوّل، وذكر الحافظ التّنسي يوم تدشينها باليوم العظيم والمشهود[2].

وهذا السّلطان أبو حمو موسى الثّاني (1360/1359م) الذي أسّس المدرسة اليعقوبية، وكان بنفسه يحضر مجالس العالم الشّيخ الشّريف الحسني أبي عبد الله (ت771هـ/1362م) جالسًا على الحصير متواضعًا للعلم والعلماء[3]، ويُذكر أنّ للسّلطان مكتبة عظيمة حبسها لصالح الجامع الأعظم[4]، كما أنّ السلطان أبي العبّاس أحمد العاقل بنى مدرسة حسن أبركان تكريمًا للفقيه الزّاهد أبي علي الحسن بن مخلوف الشّهير أبركان، و من مظاهر تقدير سلاطين بني زيّان للعلماء المالكية أنّهم كانوا يمشون في جنائزهم تكريمًا لهم، فهذا السّلطان الواثق مشى في جنازة العلاّمة الشّيخ القاسم بن سعيد العقباني سنة 854هـ[5]، وأيضا من مظاهر تكريم العلماء أنّ سلاطين بني زيّان سمحوا بدفن العلماء في المقابر السّلطانية[6]، ومن مظاهر تقدير العلماء المالكية، وفي الحقيقة أنّ تقدير العلم والعلماء من طرف ملوك بني زيّان سجية متوارثة، حتّى أنّه كان من تواضعهم حضور مجالس العلماء[7]، وإقامة المناظرات في

---

[1] يحي ابن خلدون، **بغية الرّوّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، مطبعة بيير فونتانا الشّرقية الجزائر، 1903، ج1، ص 72.

[2] التّنسي، المصدر السّابق، ص 140.

[3] نفسه، ص ص 179 – 180.

[4] لخضر عبدلي، **التّاريخ السّاسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**، دار بن النّديم، الجزائر، ط1 الجزائر، 2011، ص 223.

[5] التّنسي، المصدر السّابق، ص236.

[6] بسّام كامل عبد الرّزّاق شقدان، **تلمسان في العهد الزّيّاني – 633هـ/962هـ – 1235 – 1555م**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التّاريخ، كلّية الدّراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص 227.

[7] انظر: التّنسي، المصدر السّابق، ص126؛ ابن مريم، المصدر السّابق، ص 224.

القصور والمساجد والسّاحات العامّة، مثّلت هذه المناظرات العلمية بين العلماء والفقهاء شكلاً من أشكال التّطوّر العلمي والفقهي وتأكيد استحقاق الإجازات والسّند العالي في الفقه وعلومه[1] فقد كان السّلطان أبو تاشفين الأوّل حريصًا على الالتزام بمثل هذه المناظرات[2] وله فيها بغية واستزادة[3].

ذكر لنا العلاّمة الشّريف التّلمساني في مفتاح الوصول أهمّ المناظرات الفقهية العلمية التي كانت تجري على عهد بني زيّان، مثل المناظرة التي دارت بين الإمامين أبي زيد ابن الإمام (ت743هـ/1343م)، والفقيه ناصر المشدالي (ت745هـ/1345م)و التي كان موضوعها الفقيه عبد الرّحمن بن القاسم المصري الذي حمل عنه ابن سحنون المدوّنة المنسوبة إليه خطأ، وهي من إملاء أستاذه عبد الرّحمن، وقد تناظر الفقيهان في هذا الفقيه هل هو مقلّدٌ أم مجتهد[4]؟ لقد نتج عن هذه المناظرات العلمية أن ظهر تيّار كان له الدّور الكبير في تطوّر وازدهار المدرسة الفقهية بالمغرب الأوسط، ألا وهو التّيار الاجتهادي في الفقه خاصّةً في المدرسة التّلمسانية ممثّلة في ثلّة من الفقهاء الذين رحلوا في طلب العلم شرقا وغربا، وعادوا إلى

---

[1] هادي جلّول، **الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السّلطة الزّيانية بها (ق8-9هـ/14-15م)**، مجلّة الأكاديمية للدّراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 19، جانفي 2008، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشّلف، الجزائر، ص 83.

[2] المقرّي، المصدر السّابق، ج5، ص 218.

[3] الونشريسي أبو العبّاس أحمد، **المِعيار المُعرب والجامع المُغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمَغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف، محمّد حاجي، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ج6، ص ص 161 – 162.

[4] الونشريسي، المصدر السّابق، ج5، ص 331؛ عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية...، المرجع السّابق، ص 141.

ديارهم فطرحوا قضايا مذهبهم وأفكارهم، من خلال مقاييس جديدة توفق بين النّظرة الشّرعية والواقع المعيش[1].

من بين الفقهاء الذين بلغوا درجة الاجتهاد ابني الإمام أبو زيد عبد الرّحمن (ت743هـ/1343م) وشقيقه أبو موسى عيسى (ت750هـ/1349م)، "فاضلا أهل المغرب في وقتهما...كانا يذهبان إلى التّجديد ويتركان التّقليد، وأمّا العالم المجتهد محمّد بن محمّد أحمد المقرّي (ت759هـ/1358م) عدّهُ العلماء من المجتهدين في المذهب، وقد ناقش فروع المذاهب الأربعة وناقش من سبقه في مقاصد الشّريعة وقواعدها وأحكامها، وربط الفروع بالقواعد وكان يقدّم خلاصة عمله النّقدي لأقوال الفقهاء فكانت له مواقف اجتهادية في حدود المذهب[2].

أمّا إذا حاولنا أن نعرّج على شخصيات أو نماذج من علماء كان لهم يدٌ طويلة في الدّراسات الفقهية فإنّنا سوف نصطدم بالعدد الهائل من العلماء الفقهاء، لذلك فكثيرٌ من الدّراسات الأكاديمية وعلى رأسها دراسة بوعقادة، والتي تجعل من كلمة الفقيه مفهومًا عامّا، لذلك أصبح من الواجب والشّرط أن نسند لكلّ فقيه تخصّصه الذي برع فيه من حيث الإنتاج العلمي، فمنهم من كان مجتهدًا ومنهم من كان مقلّدا ومنهم الأصولي والفروعي، ولعلّنا في الفصل الثّاني سنتناول هذا الإنتاج العلمي وتأثيراتِه على الحياة الثّقافية، كما أنّنا سنعرّج على أشهر الشّخصيات التي برزت على السّاحة العلمية.

---

[1] إبراهيم مشراوي، **واقع المذهب المالكي ومكانته وفقهاؤه خلال العهد الزّيّاني**، مجلّة العلوم الإنسانية، العدد 1 أفريل، 2021م، شعبان1442، المركز الجامعي علي كافي، تندوف، الجزائر ص 20.

[2] ابن داود نصر الدّين، **بيوتات العلم بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/ 16م** أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التّاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009م، ص 69.

المبحث الثّاني: الإنتاج العلمي والفكري لعلماء المغرب الأوسط المالكيّين ودوره في خدمة المذهب المالكي.

تميزت الحالة العلمية والثقافية بالمغرب الأوسط خلال فترة مدار الدراسة بضخامة الإنتاج العلمي في كافة العلوم،العقلية والنقلية، إذ يوضح لنا الرحالة القلصادي (ت891هـ/1486م)، الذي زار بعض حواضر المغرب الأوسط سنة 840هـ/ 1437م، قائلا: "أدركت فيها –أي تلمسان– كثيرا من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد، وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة[1]"

إلى جانب العلوم النقلية والدينية شمل إبداع علماء المغرب الأوسط أيضا العلوم العقلية والطبيعية، وتجلى ذلك في الأعمال الراقية التي قاموا بإنجازها، وقد شهدت قسنطينة في القرن 8هـ/14 م وتلمسان في القرن9هـ/15م وثبة علمية لافتة في العلوم العقلية على يد نخبة من العلماء .فأصبح المغرب الأوسط يتوفر على الكثير من علماء الدين، وكبار الأدباء، ومقصدا لطلاب العلم والحكمة. .

المطلب الأول: العلوم والمعارف في المغرب الأوسط

1-العلوم النّقلية في المدرسة المغرب أوسطية

1-2-علوم القرآن الكريم

-**علـــم القراءات:** إنّ علم القراءات هو معرفة القراءات المشهورة وكيفية أداء الحرف كما أنّ العلم يندرج تحته علم أو فنّ الرّسم القرآني، تعود فترة اهتمام علماء المغرب الأوسط بعلم القراءات إلى بداياته الأولى، وقد أشار الأستاذ **بوعقادة** إلى شحّ المادّة العلمية التي تعطينا صورةً واضحة حول علم القراءات في المغرب الأوسط قبل القرن

[1] القلصادي، **الرحلة، المسماة تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب،** دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978 ، ص 94

4هـ[1]، إلاّ أنّ هذا لا يعني قلّة الاهتمام بهذا العلم، فكما هو معروفٌ عند علماء المغرب الإسلامي تعدّدهم في الفنون العلمية وفي مقدّمتها القرآن الكريم وعلومه، إذ هو عماد العلوم الدّينية.

من بين أشهر من نبغوا في هذا العلم نذكر عبد الله بن محمّد الأشيري (ت561هـ/1166م)[2]، ومنهم كذلك عالم القراءات أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف بالمسيلي (ت539هـ/1145م)، وهو نزيل تلمسان وعمّر بها إلى غاية وفاته[3]، ونلاحظ خلال فترة الموحّدين تطوّر علم القراءات من حيث التّأليف، فنذكر منهم العلاّمة أحمد بن عبد الصّمد الخزرجي (ت582هـ/1186م) نزيل بجاية وله تأليف سمّاه " نفس المصباح في غريب القرآن ونسخه ومنسوخه"[4]، والشّيخ محمّد بن عبد الحقّ اليفرني التّلمساني (ت625هـ/1228م)[5]، وله تأليفٌ في القراءات سمّاه" فرقان الفرقان وميزان القرآن"[6]، وكتاب "الجامع المختار بين المنتقى والاستذكار" في عشرين مجلّدا.

أمّا في فترة الدراسة فإنّ ازدهار علوم القراءات شهد تطوّرًا ملحوظًا وهذا راجع إلى عدّة تطوّرات إقليمية كانت نعمةً على بلاد المغرب الاسلامي، فقد أدّى نزوح الأسر الأندلسية نحو حواضر المغرب الأوسط، مثل تلمسان والجزائر وبجاية[7]، فمن

---

[1] عبد القادر بوعقادة، **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7و9هـ / 13و15م** أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه العلوم في تخصّص التّاريخ الوسيط، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، 2015/2014، جامعة أبو قاسم سعد الله 2، الجزائر، ص 397.

[2] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر، المرجع السّابق، ص399.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص186.

[4] ابن عبد الملك المرّاكشي، **الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة، السّفر الأوّل**، تحقيق: محمّد بن شرف، القسم الأوّل، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، د ت، ص 240.

[5] الزّركلي، الأعلام، المصدر السّابق، ج6، ص186.

[6] الرّعيني، **برنامج شيوخه**، تحقيق: إبراهيم شيوح، مطبوعات مديرية إحياء التّراث القديم، دمشق 1962م، ص170.

[7] عبد القادر بوعقادة، المرجع السّابق، ص 400.

أشهر علماء الإقراء في هذه الفترة نذكر أبو على منصور الزّواوي، ويذكره صاحب بُغية الرّواد أنّه تصدّى للإقراء بغرناطة وتلمسان[1]، ومنهم أبو العباس أحمد بن قاسم بن أبي عمّار المسيلي (ت789هـ/1387م) كان مجلسه في بجاية[2].

بـ-علم التّفسير: علم التّفسير يعدّ من أعظم العلوم الدّينية قدرًا وفضلاً وأرفع شأنا، فهو رئيس العلوم الدّينية والفقهية، وكلّ علم يأتي بعده يستند إلى القرآن الكريم فهو مبنى قواعد الشّرع وأساسها في الاستنباط[3]، وعلماء المغرب الإسلامي كغيرهم من فقهاء الأمصار اعتنوا بهذا العلم أشدّ الاعتناء منذ القرون الأولى الهجرية، فقد جاء في إحدى الدّراسات الأكاديمية إحصاء عدد المفسّرين، ابتداءً من الإمام عبد الرّحمان بن رستم مؤسّس الدّولة الرّستمية، إلي غاية أحمد بن محمّد بن زكريا (ت900هـ) فتوصّل الباحث إلى إحصاء أزيد من خمسين عالمًا جزائريا اهتمّ بالتّفسير[4].

في العهد الزّيّاني تطوّر علم التّفسير وأصبح لكلّ جماعة مدرسة تسير عليها في التّفسير، وهي مدرسةٌ لأهل إفريقية (مدرسة مكّي بن طالب القيرواني)، ومدرسة الأندلس (بقي بن مخلّد)، ومدرسة المشرق (محمّد بن جرير الطّبري)[5]، إلاّ أنّ مدرسة المغرب الأوسط في التّفسير لم تتكوّن بشكل دقيقٍ إلاّ مع العلاّمة عبد الرّحمان الثّعالبي الذي وصل إلينا مصنّفه "**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**"

ومن أشهر الكتب والمصنّفات التي كانت تدرّس في المغرب الأوسط، نذكر: "كتاب الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمّد بن عبد الحقّ بن عطية الأندلسي"

---

[1] ابن خلدون، بُغية الرّواد، ج1، ص172.

[2] ابن قنفذ، شرف الطّالب، ص258.

[3] أحمد محمّد الصّاوي المالكي، **حاشية العلاّمة الصّاوي على تفسير الجلالين**، ج1، مطبعة مصطفى محمّد، مصر، 1934، ص2.

[4] محمّد بن مختار اسكندر، **المفسّرون الجزائريّون عبر القرون- رواية ودراية من القرن2هـ إلى ق4هـ**، دار حلب الجزائر، ج1، نقلا عن: بوعقادة، المرجع السّابق، ص403.

[5] بوعقادة، المرجع السّابق، ص 404.

و "لامية الشّاطبي" و "أنوار التّنزيل للبيضاوي" و" التّهذيب للبيهقي" و "الكشف عن حقائق التّنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشري"[1]، وإذا تتّبعنا العلماء المفسّرين بالمغرب الأوسط فإنّنا نذكر منهم:

الشّريف التّلمساني (ت771هـ/1370م)، حيث أنّه فسّر القرآن الكريم في خمس وعشرين سنةً بحضرة أكابر العلماء والملوك والصّلحاء بقراءاته وفنونه من بيان وأحكام والنّاسخ والمنسوخ[2]، ومن أشهر تلامذته ولده أبي محمّد والإمام الشّاطبي، وابن زمرك وابن خلدون، وكان السّيد ابن مرزوق الخطيب من معاصريه، يقول فيه أنّه وصل إلى درجة الاجتهاد في المذهب[3]، يدخل في علم التّفسير عامّة، علم تفسير "غريب القرآن"، وهو العلم الذي يعتني بـ مَعرفة المدلول[4]، أو هو العلم الذي يتناول تفسير كلمات القرآن البعيدة عن الفهم بما جاء في المأثور وفي لغة العرب[5]، وهذا العلم من ألّف فيه يدلّ على تبحّره في علوم اللّغة العربية[6].

وعلماء المغرب الأوسط كغيرهم من علماء الأمصار لهم يد طُولى في هذا العلم البديع الذي يبيّن لنا ما مدى خدمة علماء المغرب الأوسط للقرآن الكريم واللّغة العربية مثل العالم الجليل عبد الرّحمن الثّعالبي (ت875هـ) له تأليف في غريب القرآن

---

[1] لخضر عبدلي، **العلوم الدّينية بتلمسان خلال عهد بني زيان**، مجلّة القرطاس، العدد1، السّنة 2012، القسم، الكلّية، الجامعة، ص94.

[2] التّمبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص76.

[3] ابن مريم، المصدر السّابق، ص ص 164-184.

[4] الزّركشي (بدر الدّين محمّد بن عبد الله)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1957، ج1، ص 291.

[5] مكّي بن أبي طالب القيسي أبو محمّد، **تفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار**، تحقيق: هدى الطّويل المرعشلي، دار النّور الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص 51.

[6] أبو حيّان الأندلسي، **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**، تحقيق: سميرة المجذوب، المكتب الإلامي، بيروت، ط1، 1983، ص 40.

المسمّى: "الذّهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض آي الكتاب العزيز"، اعتمد الشّيخ في تأليف الكتاب على المنهج التّرتيبي، أي أنّه تناول المفردات الغريبة حسب ورودها في السّور والآي، وتميّز تفسيره بالاختصار والتّوسّط والتّوسّع في تفسير الكلمات[1]

1-3-علم الحديث: أصبح علم الحديث[2] من أشهر العلوم بعد علم التّفسير والقراءات وأُطلقت ألقاب كثيرة للمهتمّين بهذا العلم المبارك مثل الحفّاظ والمحدّثين، تميّزوا بمنهج دقيقٍ في الحفظ والرّواية، وعُرفوا بالرّحلة العلمية من أجل السّند الذي يتّصل برسول صلّى الله عليه وسلّم[3]، ظهرت عناية علماء المغرب الأوسط بهذا العلم المبارك منذ أن وطئت قدم الإسلام أرض المغرب الاسلامي، فحبّهم للإسلام ولمدينة -رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم- دفعهم إلى أن يضربوا أكباد الإبل لطلب هذا العلم من مدينة -رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- ، ومن العلماء المنتشرين في الأمصار، ولا يخفى علينا الدّور الأوّل للفاتحين الذين كان من بينهم صحابةٌ -رضي الله عنهم- والتّابعين الذين نقل جلّهم من الرّواة، فقد تلقّوا الحديث من معينه الطّبيعي رواية ودراية[4].

من أشهر علماء الحديث الذين برزوا ببلاد المغرب الأوسط نذكر: الحسن بن عبد الله التّلمساني (ت569هـ/1174م) كان من أهل علم القراءات وله مجموعة في

---

[1] عبد الرّحمن سعودي، **لخضر حدّاد، جهود علماء الجزائر في علم غريب القرآن من القرن التّاسع الهجري إلى القرن الخامس عشر**، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، المجلّد 13، العدد 2(2020)، ص 275.

[2] علم الحديث في تعريفه اللّغوي، يُقال هو الشّيء الجديد، ويُطلق على مطلق القول والكلام، أمّا في اصطلاح المُحدثين فهو عبارة عن أقوال المعصوم – صلّى الله عليه وسلّم – وأفعاله وتقديره

[3] عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزّيّاني**، ج2، موفم للنّشر، الجزائر، 2007، ص442.

[4] الحسين بن محمّد الشّواط، **مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الدّار العالمية للكتاب الإسلامي، الرّياض، 1411هـ، ص174.

غريب الموطّأ[1]، ومنهم العلاّمة ذو الرّواية الواسعة محدّث تلمسان محمّد بن عبد الرّحمن التّيجيبي أبي عبد الله (ت610هـ/1214م)[2]، من أشهر مؤلّفاته في علم الحديث، نذكر «الأربعون حديثا في المواعظ"، و"الأربعون في الفقر وفضله" و "ثلاثة في حبّ الله"[3]، ومنهم العلاّمة محدّث المغرب الأوسط محمّد بن عبد الحقّ اليفرني (ت625هـ/1227-1228م)، ومن أشهر مصنّفاته في الحديث، نذكر أشهرها: "الجامع المختار في جمع بين المنتقى والاستذكار"[4]، وكتاب "نظم العقود ورقم الحُلل والبرود"[5]، ومنهم أبي إسحاق إبراهيم التّنسي (ت680هـ)، الذي تربّع على عرش علم الحديث[6].

أمّا إذا حاولنا إحصاء العلماء الذين اشتغلوا بعلم الحديث في الفترة الزّيّانية فإنّ ذلك يُشعر المرء بعظيم القدر الذي بلغه فقهاء الحديث في المغرب الأوسط من تدريس وتصنيف وتنقيحٍ وشروحات، نذكر من أشهرهم: الفقيه أحمد بن الحسن بن سعيد المديوني التّلمساني (ت768هـ)، من أكابر العلماء الرّاسخين في العلم، عمل بالقضاء في عهد السّلطان أبي عنان، وتتلمذ عن ابني الإمام[7]، والفقيه التّلمساني الشّهير بالخطيب والجدّ والخطيب (ت781هـ)، علاّمة جليل القدر له رحلة في طلب العلم إلى بلاد الشّام ومصر، فسمع من عدد كبير من العلماء، وسمع من علماء المغرب

---

[1] علي عشّي، **المغرب الأوسط في عهد الموحّدين د-دراسة تحليلية للأوضاع الثّقافية والفكرية (534هـ/1139م إلى 633هـ/ 123م)**، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ والآثار، جامعة باتنة، الجزائر، 2012/2011، ص 208.

[2] الزّركلي، المرجع السّابق، ج6، ص 191.

[3] ابن أبّار محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **التّكملة لكتاب الصّلة**، ج2، تحقيق: عبد السّلام هراس، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1995، ص 304.

[4] الذّهبي، المصدر السّابق، ص963؛ الزّركلي، المصدر السّابق ج6، ص186.

[5] الحفناوي، المرجع السّابق، ج2، ص ص 395-396.

[6] عبد العزيز الفيلالي، المرجع السّابق، ج2، ص 443.

[7] التّمبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السّابق، ج1، ص 95.

الإسلامي، حتّى أنّ عدد شيوخه وصل إلى ألفين أوردهم في فهرسته المسمّاة "عُجالة المستوفي المُستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمّة المغرب والشّام والحجاز"، ومن أشهر مؤلّفاته نذكر ما يأتي: شرح لصحيح البخاري، وشرح على كتاب الشّفا للقاضي عيّاض، والشّرح على الأحكام الصّغرى لعبد الحقّ الإشبيلي البجائي، والأربعون المسندة في الخلافة والخلفاء، والمُسند الصّحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن[1].

1-4-علم الفقه: الفقه لغةً هو فهم الشّيء[2]، مصداقا لقوله تعالى: **(وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنّه كان عليما غفورا)**[3] ، أي لا تفهمون، وقيل أنّ الفقه هو معرفة الأشياء الدّقيقة، وفي الاصطلاح هو معرفة الأحكام الشّرعية التي طريقها الاجتهاد[4]، والقرافي يعرّف علم الفقه أنّه: هو العلم بالأحكام الشّرعية العلمية بالاستدلال[5]، وابن خلدون يعرّفه فيقول: " الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحذر والنّدب والكراهة والإباحة، وهي متلقّاةٌ من الكتّاب والسّنة، وما نصبه الشّارع لمعرفتها من الأدلّة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك

---

[1] مصطفي حميداتو، **أضواء على المُحدّثين الجزائريّين الذين خدموا صحيح الإمام البخاري**، العدد الحادي عشر، مجلّة الإحياء، تصدر عن كلّية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، الجزائر، ص 190.

[2] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللّغة**، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون دار الفكر، بيروت، 1979م، ج4، ص 442.

[3] سورة الإسراء، الآية 44.

[4] أحمد بن زكري التّلمساني، **غاية المرام في شرح مقدّمة الإمام**، تحقيق: محند أدير مشنان، ج1 ط1، دار التّراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005، ص ص 281-282.

[5] القرافي شهاب الدّين، **شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**، مكتب البحوث والدّراسات، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت، ط2004، ص 21.

الأدلّة قيل لها الفقه"[1]، إذن فعلم الفقه هو الذي يعالج أفعال المُكلّفين، وهذا كغيره من العلوم التي اهتمّ بها فقهاء المغرب الأوسط.

1-5-علم أصول الفقه: يُعرّف ابن خلدون هذا العلم الذي يُعدّ من أجلّ العلوم وأشرفها وأكثرها فائدة، فهو النّظر في الأدلّة من حيث تأخذ منها الأحكام والتّكاليف والأصول والأدّلة الشّرعية، هي: القرآن الكريم، والسّنّة المطهّرة، والقياس، والإجماع[2] ويُطلق اسم "الأصوليّون" على الفقهاء الذين لهم باع طويل في هذا العلم، وأوّل من أسهم في التّأليف في هذا العلم بالمغرب الأوسط هو العلاّمة الشّيخ: أبي جعفر أحمد بن نصر الدّاودي (ت402هـ)، وقد ألّف كتابًا أسماه "**الأصول**"[3].

أمّا في فترة الدّراسة، فإنّنا نلاحظ ثورةً في حركة التّأليف في علم الأصول، وقد بيّنت الدّراسات الأكاديمية أنّه من القرن الثّامن والذي بعده أُحصيت حوالي تسعة مؤلّفات[4]، ومن أشهر العلماء الذين تميّزوا في الدّراسات الأصولية نذكر على سبيل المثال لا الحصر، أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحقّ المشدالي (ت731هـ) إمام علم أصولي، رحلته الطّويلة في طلب العلم مكّنته من التّلقّي من ثلّة من علماء الأمصار مثل العزّ ابن عبد السّلام، وشمس الدّين الأصبهاني، وله صحبة مع الشّيخ شهاب الدّين القرافي (ت684هـ)[5]، وله الفضل في إدخال كتاب أبي عمرو بن حاجب

---

[1] ابن خلدون، **المقدّمة**، تحقيق: عبد السّلام الشّدّادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، المغرب 2005 ص 03.

[2] نفسه، ص ص 15 – 16.

[3] القاضي عيّاض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ج7، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1982، ص 103.

[4] بوبكر زاوي، **إسهامات فقهاء المغرب الأوسط في علم أصول الفقه ما بين القرنين 4هـ – 10م/09هـ – 15م**، مجلّة متون العلوم الاجتماعية، المجلّد الثّامن، العدد الثّالث، ديسمبر 2016، ص 198.

[5] الغبريني، المصدر السّابق، ص 230.

(ت646هـ/1248م)، وهو بذلك قد يكون أدخل منهج أهل العراق في تفريع المسائل والاعتماد على الرّأي والقياس[1].

منهم الفقيه الشّيخ الشّريف التّلمساني (ت771هـ/1370م)، الفقيه المجتهد الأصولي المتفنّن أبو عبد الله الشّريف التّلمساني فارس المعقول والمنقول، صاحب الأصول والفروع[2]، حلاّه الآبلي بتزكية الشّيخ لتلميذه، فقال: "هو أوفر من قرأ عليّ عقلاً وأكثرهم تحصيلا"، وقال: "قرأ عليّ كثير شرقًا وغربا فما رأيت فيهم أنجب من عبد الله الشّريف، أنجحهم عقلا وأكثرهم تحصيلا"[3]، وقال عنه ابن مرزوق الحفيد: "شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره **بالإجماع**"[4].

1-6-علم الفرائض: هو من أجلّ العلوم الشّرعية وأشرفها، وقد تولاّه ربّ العزّة جلّ جلاله، قسمته بنفسه سبحانه وتعالى، وبيّن أحكامه في كتابه العزيز، فلم يكِله إلى ملَك مقرّب ولا إلى نبي مرسل، يعرّف ابن خلدون هذا العلم قائلا: "وأمّا علم الفرائض وهو معرفة الوارثة وتصحيح السّهام الفريضة من كم تصحّ باعتبار فروضها الأصول ومناسختها، وهو فنّ شريفٌ لجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول بواسطته إلى الحقوق في الوارثات"[5]، وهو العلم الذي يبحث في تقسيم التّركة على مستحقّيها[6] وحضّ صلّى الله عليه وسلّم على تعلّمه وتعليمه والعناية به وفهمه، جاء في الحديث: "تعلّموا

---

[1] الطّاهر بونابي، **أبو زيد عبد الرّحمان الوغليسي الفقيه الصّوفي**، مجلّة حوليات التّراث، جامعة مستغانم، العدد السّابع 2007، ص 93.

[2] الشّريف التّلمساني، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلّة**، تحقيق: محمّد علي فركوس، مؤسّسة الرّيان، بيروت، ط1، 1998م، ص ص 7 – 8. (مقدّمة التّحقيق).

[3] التمبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص 435.

[4] نفسه، ص 436.

[5] ابن خلدون، المقدّمة، ص ص 12 – 13.

[6] الجرجاني (علي بن محمّد بن علي)، **التّعريفات**، تحقيق: إبراهيم علي الأبياري، دار الكتاب العربي لبنان، ط3، 1996، ص 2013.

الفرائض وعلّموها النّاس، فإنّه نصف العلم، وهو أوّل علمٍ يُنسى، وهو أوّل علمٍ ينزع من أمّتي"[1]، لذلك تعهّده العلماء في مشارق الأرض ومغاربها في كلّ زمنٍ بالعلم والتّأليف والتّدريس.

برز هذا الفن بالمغرب الأوسط ونشّطه ثلّة من العلماء الأقحاح الذين أبدعوا فيه وطوّروه، وأوّلهم العالم الجليل سيدي إبراهيم بن أبي بكر التّلمساني المُكنّى أبو إسحاق (ت697هـ/1298م)[2]، هو من مواليد المغرب الأوسط، ودرس كثيرًا في الأندلس، ثمّ في سبتة، وتوفّي في حاضرة تمبكتو، نظم الشّيخ أرجوزة في الفرائض وكانت غايةً في الإبداع وتلقّاها النّاس بعده باهتمامٍ كبير، ونالت شهرة واسعة[3]، من أشهر العلماء الذين تصدّروا لشرحها الإمام الفقيه الفرضي العروض أبو الحسن علي بن يحي بن محمّد المغيلي المالكي[4].

من الذين اشتهروا في هذا العلم الإمام عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م) حيث أنّ التّأليف يقع في مختصرين، الأوّل مشتملٌ على جملة من مهمّات الضّوابط والقواعد والكلّيات المحتاج إليها في علم الفرائض، بتبسيط واضحٍ جدّا، وقبل أن يختم الباب يعطي استنتاجًا عامًّا حول الموضوع بمنهج تعليمي مبسّط، والمختصر جاء في مخطوطه أي العدد 12 صفحة[5]، أمّا المختصر الثّاني فقد جاء في 7 صفحات

---

[1] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، **كتاب الفرائض**، باب الحثّ على تعلّم الفرائض، دار الجيل، بيروت ط1، 1998، ج4، ص 283، حديث رقم 2719.

[2] البستان، المصدر السّابق، ص 56.

[3] بوعقادة، المرجع السّابق، ص 448.

[4] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر**، مؤسّسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر، بيروت، ط2، 1980، ص 63.

[5] محمّد ابن عبد الكريم المغيلي التّلمساني، **مختصران في الفرائض**، تحقيق: محمّد شايب شريف دار ابن حزم، بيروت، 2012، ص 52 إلى 55. مقدّمة التّحقيق.

مخطوطة، جاء مكمّلا للمختصر الأوّل ومكمّلا له[1]، والمختصران مطبوعان ومنشوران كما هو مبيّن في الإحالة.

1-7-علم الكلام: يعرّفه ابن خلدون بقوله: "**هو علمٌ يتضمّن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقلية، والرّدّ على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنّة، وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التّوحيد**"[2]، وتعدّدت المصطلحات التي تُطلق على هذا العلم، فإلى جانب "**علم الكلام**" يُطلق عليه علم التّوحيد، وعلم العقائد، وعلم أصول الدّين، والفقه الأكبر، تطوّر هذا العلم وانتعش وكبُر في زمن الدّولة المُوحّدية، فمؤسّسها المهدي ابن تومرت كان كلاميا محنّكًا وتآليفه المتنوّعة في علم الكلام مثل: أعزّ ما يُطلب، والعقيدة المرشدة ...الخ، تدلّ على المستوى الذي كان عليه، والمغرب الأوسط كان له حظٌّ كبير في هذا العلم من حيث التّدريس والتّأليف.

عكف علماء المغرب الأوسط على أخذ هذا العلم من بطون أمّهات الكتب التي دخلت عن طريق الرّحلات العلمية، فمن أشهر الكتب، نذكر "**محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين**" للإمام فخر الدّين الرّازي (ت606هـ/1209م)[3]، وكتاب" **الاقتصاد في الاعتقاد**" للإمام الغزالي (505هـ/1111م)، بالإضافة إلى "الإرشاد إلى قواطع الأدلّة في أصول الاعتقاد" لإمام الحرمين الجويني (ت478هـ/1085م)[4].

تكوّنت القاعدة الكلامية للمغرب الأوسط كما هو سائرٌ في المغرب الإسلامي إبّان العهد الموحّدي، فكما أسلفنا سابقا على أنّ الموحّدين كانوا يعتبرون من لم يعرف

---

[1] نفسه، ص 57.

[2] ابن خلدون، المقدّمة، ص 23.

[3] عمّار طالبي، **المؤلّفات العلمية في تلمسان من خلال البستان**، مجلّة الوعي، دار الوعي الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أفريل – ماي، 2011، ص60.

[4] نفسه، ص 35

العقائد على سبيل التّفصيل، وخاصّة على الطّريقة الأشعرية يعتبرونه كافرًا ليس معه من الإسلام إلاّ الاسم[1]، فالمدوّنة الكلامية في المغرب الأوسط تتّخذ من المذهب الكلامي الأشعري العنصر الأساسي في إطارها المرجعي، و من خلال هذا الجوّ الكلامي الذي من خلاله برع جمع غفير من علماء المغرب الأوسط متخصّصين في علم الكلام ونذكر على سبيل المثال: محمّد بن عبد الحقّ اليفرني التّلمساني (ت625هـ/1228م) من أشهر مؤلّفاته في علم الكلام، "**الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم**"، وكتاب "**عقيدة علية الخلق، وزبدة معرفة الحقّ المضنون بها على غير أهل الصّدق**" وكتاب "**ميزان العمل**"، أمّا في فترة الدّراسة فإنّ علم الكلام شهد نقلةً نوعيةً من حيث التّأليف

نذكر أشهر من ألّف في هذا الباب معتمدين في ذلك على شهرة مؤلّفاتهم وأوّلهم العلاّمة أبي العبّاس أحمد الجزائري الزّواوي (ت884هـ)، عُرف بمنظومته اللاّمية التي يزيد عدد أبياتها عن 400 بيت، وقد سمّاها "**كفاية المريد في علم التّوحيد**" أو "**الجزائرية في العقائد الإيمانية**" **أو** "**الجزائرية**"[2]، من أروع المنظومات العلمية حلاوةً ونظمًا انتشرت في الأمصار لسهولة عباراتها، وأصبحت من أمّهات الكتب في هذا العلم، وزادها شرفًا شرح الإمام السّنوسي عليها في 241 صفحة، وأثنى على ناظمها في أبيات، نذكر منها ما تيسّر للإفادة:

شرح الكفايــة أيّهــا المتديّــن تحصيلــه فرض عليك معيــن

تجلــو معانيــه القلوبَ من الصّدا وتنيرها واللّفظ سهــل بيّــن

ما هو إلاّ الرّوض يحسن منظــرا من ذا يرى حسنا ولا يستحسن[3]

[1] ص 230

[2] عبد العزيز بنعبد الله، **معلمة الفقه المالكي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 133.

[3] الحفناوي، المرجع السّابق، ج1، ص 33 – 34.

2-العلوم اللّسانية بالمغرب الأوسط

2-1-علم اللّغة: جاء تعريف علم اللّغة أنّه هو العلم الذي يتناول بيان الموضوعات اللّغوية[1]، كانت أشهر الكتب المدروسة بالمغرب الأوسط، نذكر من أشهرها: كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ/786م)، و"كتاب فقه اللّغة وأسرار العربية" لأبي منصور الثّعالبي (ت430هـ/1038م)، و "**كتاب المحكم والمحيط الأعظم**" لابن سيده الأندلسي (ت458هـ/1066م)[2].

وقد نبغ في المجال علماء أجلاّء من المغرب الأوسط، لأنّ التّفقه في العلوم الشّرعية يستلزم معرفة اللّغة ومعانيها، فأسرار القرآن الكريم وفهم معانيه، سرّه هو فقه اللّغة[3]، ساهم كثيرٌ من علماء المدرسة المغرب أوسطية في إثراء المكتبة الإسلامية في علم اللّغة، وأوّلهم نذكر شرح المقرّي الجدّ (ت759هـ/1358م) " لغة قصائد المغربي الخطيب"، كما درس "فصيح ثعلب"، وهو من المختصرات المشهورة في الدّرس اللّغوي في المدرسة المغربية[4]، ومن أروع مساهمات المدرسة المغرب أوسطية، هو شرح العالم ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) على القصيدة الشّقراطيسية لأبي محمّد عبد الله بن يحي بن علي بن زكرياء الشّقراطيسي (ت466هـ/1073م)، وهي قصيدة في مدح النّبي محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – وفي سيرة أصحابه – رضي الله عنهم أجمعين

---

[1] عبد الرّحمن ابن خلدون، **المقدّمة...**، ص 239.

[2] نفسه، ص 240

[3] عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو الزّياني حياته وآثاره**، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، 1974 ص 50.

[4] رزيوي زينب، **العلوم والمعارف الثّقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ و9هـ/ 13 و 15م**، أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه في التّاريخ الوسيط الإسلامي، كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعبّاس، الجزائر، 2016/2015، ص 140.

وعنوانها الكامل "المفاتيح القرطاسية في شرح الشّقراطيسية"[1]، ولمحمّد النّقاوسي الجزائري (ت، بعد 897هـ) شرح على الشّمقمقية[2].

2-3-علم النّحو والصرف: جاء تعريف علم النّحو أنّه "**هو العلم الباحث عن الكلمة المُفردة من حيث ما يعرض لها من صحّة واعتلال وإبدال**"[3]، وهو كذلك العلم بأصول أبنية الكلِم وأحوالها قبل تركيبها، فهو يبحث عن بِنية الكلمة وتحويلها من هيئة إلى هيئة، إمّا لتغييرٍ في المعنى أو لتسهيل في اللّفظ[4]، فعلم الصّرف يبحث عن الكلمة وهي مفردة فيبيّن ما للأحرف من أصل وزيادة وصحّة واعتلال.

أمّا علم النّحو فهو يبحث عنها وهي مركّبةٌ في جُمل فيبيّن ما يجب أن تكون عليه أواخرها من رفع أو نصبٍ أو جرٍّ أو جزم، إلاّ أنّ علم الصّرف مقدّمٌ على علم النّحو[5].

إنّ من أشهر كتب النّحو والصّرف التي كانت مُعتمدةً في الدّرس النّحوي والصّرفي في مدرسة المغرب الأوسط، نذكر من أشهرها، ألفية "مالك" و"تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" لأبي عبد الله محمّد بن مالك الأندلسي (ت672هـ/1273م)، وكتاب النّحو" لسيبويه أبي بشير بن عمر (ت180هـ/680م)[6]، أمّا إذا جئنا لذكر أشهر العلماء الذين نبغوا في هذال المجال فإنّنا نجد أغلب الفقها والعلماء كانوا ملمّين بعلم

---

[1] التّمبكتي، **الإبتهاج...**، المصدر السّابق، ص 506.

[2] بشير ضيف، المرجع السّابق، ص 362.

[3] أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، **القانون في أحكام العالم وأحكام المتعلّم**، تحقيق: حميد حماتي، مطبعة الشّالة، الرّباط، 1998، ص 224.

[4] جرجي شاهين عطية، **سلم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان**، دار ريحاني للطّباعة والنّشر بيروت، (د ت)، ص 2؛ يُنظر أيضا: السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص 10.

[5] نفسه، ص 03.

[6] ابن خلدون، **المقدّمة**، المرجع السابق، ص 240.

اللّغة والصّرف والنّحو، فهو من أهمّ العلوم يتأتّى يفهم بها القرآن والسّنّة، وللاستئناس نذكر:

الإمام المقرّي الجدّ (ت759هـ) الذي شرح التّسهيل، وله أيضًا شرح النّظائر **(الأشباه والنّظائر النّحوية)** لجلال الدّين السّيوطي، وإعراب القرآن الكريم، أمّا الإمام علاّمة المغرب الإسلامي ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) فإنّه كان بحرًا من علم حتّى قِيل عنه: " **لو رآه الزّمخشري لتلجلج في قراءة المفصّل واستقلّ ما عنده من القدر المُحصّل... بل لو رآه الخليل لقال: هذا هو قصد الجليل**"[1]، أثرى الإمام المقرّي المكتبة المغربية بأهمّ مؤلَّفين في هذا المجال وهو شرح "**التّسهيل**" و "**الألفية**" (إيضاح المسالك في ألفية مالك)، وقد اختصر الألفية في نظم (أرجوزة)، وله ردودٌ عن ابن سراج (قاضي غرناطة) في مسائل نحوية ومنطقية، كما أنّ الفقيه قاسم العقباني (ت854هـ) له تأليف "قواعد النّحو"[2]، في حين شرح محمّد بن يوسف السّنوسي (ت895هـ) الأجرومية تحت عنوان: "الدّرّ المنظوم في شرح قواعد ابن اجرّوم"[3].

2-4-في علم البيان والبديع أو علم البلاغة: علم البيان جاء تعريفه في اللّغة أنّه "الكشف والإيضاح"، ويُعرّفه ابن خلدون: " **وهو من العلوم اللّسانية لأنّه متعلّقٌ بالألفاظ وما تفيده وتقصد بها الدّلالة عليه من المعاني**"[4]، أمّا علم البديع فهو العلم الذي يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حُسنا وطلاوة وتكسوه بهاء[5]، وقد نشط هذا العلم لارتباطه بالعوم الدّينية، فهو أساس فهم الدّين.

---

[1] المقرّي، **النّفح الطّيب...**، المصدر السّابق، ج5، ص422.

[2] بشير ضيف، المرجع السّابق، ص332.

[3] التّمبكتي، **نيل الإبتهاج...**، المصدر السّابق، ص 572.

[4] ابن خلدون، **المقدّمة**، ج3، ص244.

[5] أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المكتبة العصرية، بيروت، (دت) ص 299.

من أشهر الكتب التي كانت متناولةً في الدّرس البلاغي في المغرب الأوسط وسائر بلاد المغرب الإسلامي، نذكر أشهرها كتاب "**تلخيص المفتاح في المعاني والبيان**" للخطيب الدّين القزويني (ت739هـ)[1]، ومن كثرة تداوله بين الطّلبة والأساتذة كثرت عله الشّروحات، وأبرزها: شرح الفقيه العلاّمة ابن قنفذ (ت810هـ) شرح التّلخيص وسمّاه "**التّلخيص في شرح التّلخيص**"[2]، وإبراهيم بن فائد بن موسى الزّواوي (857هـ) هو الآخر شرح التّلخيص وسمّاه: "تلخيص التّلخيص"[3]، أمّا الإمام المغيلي (ت909هـ) فله شرحان على مختصر تلخيص المفتاح الذي سمّاه "التّبيان في علو البيان" أو "مقدّمة في التّبيان في علم البيان"، وله شرح عليه يُسمّى: "شرح التّبيان في علم البيان"[4].

2-5-علم العروض والقوافي: العروض هو العلم الذي يتعرّف من خلاله صحيح الشّعر من فاسده، وما يعتريه من زحفات وعلل[5]، أمّا علم القوافي فهو العلم الذي يُبحث فيه عن تناسب أعجاز البيت وعيوبها، وغرضه تحصيل ملَكة إيراد الأبيات على أعجاز متناسبةٍ خالية عن العيوب"[6].

من أشهر أمّهات الكتب في هذا المجال التي كانت تُدرّس في مدرسة المغرب أوسطية، "الخزرجية" (الرّامزة الشّافية في علم العروض والقافية" لضياء الدّين أبي محمّد عبد الله بن محمّد الخزرجي الأندلسي (ت626هـ/1229م)، وقد شرحها ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ) وسمّاها "بسط الرّموز الخفية في عروض الخزرجية"[7]، وابن

---

[1] طاش كبرى زاده، المصدر السّابق، ج1، ص 194.

[2] مختار حساني، **تاريخ الجزائر...**، المرجع السّابق، ج4، ص 164.

[3] التّمبكتي، **الابتهاج...**، ص 53.

[4] المغيلي، **مختصران...** المصدر السّابق، ص 33.

[5] محمّد بن حسن بن عثمان، **المرشد الوافي في العروض والقوافي**، دار الكتب العلمية، بيروت 2004، ص 06.

[6] طاش كبرى زاده، **مفتاح السّعادة...**، المصدر السّابق، ج1، ص 202.

[7] المقرّي، **نفح الطّيب...**، ج5، ص 197؛ بشير ضيف، المرجع السّابق، ص 431.

مرزوق الحفيد (ت842هـ) له شرح على الخزرجية سمّاها "المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية"[1]، ومن شرحها – أي الخزرجية – العلاّمة سعيد قدّورة الجزائري، وللعلاّمة أحمد بن عبّاس أبو العبّاس النّقاوسي (ت، بعد765هـ) تأليفان في العروض، الأوّل سمّاه "السّبيل إلى قصد الجليل في علم خليل" والثّاني سمّاه "الرّوض الأريض في علم القريض[2]، ولم يترك الإمام المغيلي (ت909) هذا العلم بل له مشاركة هامّةٌ فيه من خلال تأليفه في العروض، تحت مُسمّى: "المعروض في علم العروض".

3-العلوم العقلية

3-1-علم المنطق (علم الميزان): يُعرّف الغزالي علم المنطق بقوله: "هو القانون الذي يميّز صحيح الحدّ والقياس عن غيره، فيتميّز العلم اليقيني عمّا ليس يقينيا وكأنّه الميزان أو المعيار للعلوم كلّها[3]، وأمّا الإمام المغيلي فإنّه اختلف فيه أهو علمٌ أم آلة، والتّحقيق أنّه علمٌ بالنّظر لنفسه، آلة بالنّظر لغيره، فأصحاب الرّأي الأوّل قالوا: المنطق علمٌ يتعلّم فيه كيفية الانتقال من الأمور الحاصلة في الذّهن لأمور متحصّلة فيه، أمّا أصحاب الرّأي الثّاني فإنّهم يقولون أنّ المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذّهن من الخطأ في الفكر[4].

من أشهر الكتب التي كانت متداولةً في سيرورة الدّرس المنطقي بالمغرب الأوسط نذكر، "كتاب الجمل في مختصر نهاية الأمل للخونجي أبي عبد الله فضل الدّين (ت646هـ/1248م)، زكّاه العلاّمة عبد الرّحمن ابن خلدون قائلا: " أخذ بمجاميع الفنّ وأصوله، فتداوله المعلّمون لهذا العهد فينتفعون به"[5]، كما كان لكتاب

---

[1] التّمبكتي، **نيل الابتهاج...**، المصدر السّابق، ص 506.

[2] بشير ضيف، المرجع السّابق، ص 432.

[3] أبو حامد الغزالي، **مقاصد الفلاسفة**، مطبعة الصّباح، سوريا، 2000، ص 13.

[4] محمّد بن عبد الكريم المغيلي، **لبّ اللّباب في ردّ الفكر الصّواب**، تحقيق: أبو بكر بلقاسم ضيف دار ابن حزم، لبنان، 2006، ص 25.

[5] عبد الرّحمن ابن خلدون، المقدّمة، المرجع السابق، ص335

"**كشف الأسرار عن غوامض الإبكار**" وزنٌ في الدّرس المنطقي بالمغرب الأوسط[1]، ولا ننسى كتاب "المطالع" لسراج الأموري (ت682هـ/1283م)، وهو من المختصرات في المنطق والحكمة[2]، كغير العلوم الأخرى التي نبغ فيها علماء المغرب الأوسط، فإنّ المنطق كان له حظٌّ وافر من الاهتمام من طرف علماء المغرب الأوسط، وقد كان يُطلق على الذي يهتمّ بهذا العلم " **بعلماء المعقولات** "، فهذا العلاّمة محمّد بن أحمد الشّريف أبو عبد التّلمساني (ت771هـ/1370م) فقد كان حامل لواء المعقولات وفارسها[3].

من أشهر من ألّف في المنطق الإمام الفقيه عبد الرّحمن الأخضري (ت983هـ/1575م)، مؤلّفه "**السّلم المرونـــق**"، وهو متن من بحر الرّجز، قام بنظمه سنة 941هـ، ويحتوي على (144) بيت، وله شُرّاح من مشارق الأرض (كشرح الباجوري ومحمّد التّفاني) والمغاربة كشرح سعيد قدّورة الجزائري[4]، ومنهم أيضا العلاّمة الإمام المغيلي التّلمساني (ت909هـ/1503م)، يظهر علم المنطق شخصية الإمام المغيلي بوضوح من خلال تعاملاته في الحياة الاجتماعية، من تآليفه, "شرحٌ لكتاب الجمل للخونجي"[5] و "لبّ اللّباب في ردّ الفكر للصّواب" وله أيضا منظومة في المنطق مكوّنةٌ من (65) بيتا، سمّاها: "**مِنح الوهّاب في ردّ الفكر إلى الصّواب**"، وهي منشورة ومحقّقة[6]، ولها من الشّروحات ثلاثة، وقد ذكر ابن مريم أنّ والده وضع عليها شرحًا

---

[1] طاش كبرى زاده، المرجع السابق، ج1، ص 274.

[2] طاش كبرى زاده، المرجع السابق، ج1، ص 298.

[3] محمّد مخلوف، **شجرة النّور الزّكية في الطّبقات المالكية**، مطبعة السّلفية، القاهرة، 1930، ص 234 .

[4] محمّد هواري، **شرح السلم المنرونق في علم المنطق للشّيخ سعيد قدّورة (ت1066هـ – 1656) دراسة وتحقيق:** مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تحقيق المخطوطات، قسم التّاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013/2012، ص 47.

[5] بشير ضيف، المرجع السّابق، ص 449.

[6] محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني، **فصل الخطاب بشرح مِنح الوهّاب في ردّ الفكر إلى الصّواب**، تحقيق: زهير بن عبد الرّحمن فزان، دار الإمام الرّازي للنّشر والتّوزيع، 2018.

حسن[1]، وقد سجّلت لنا كتب التّاريخ والتّراجم مساجلةً لطيفة بين الإمام المغيلي مع الإمام جلال الدّين السّيوطي (ت911هـ/1505م) حول علم المنطق وحكم تعلّمه[2].

3-2-علم الرّياضيات أو العلوم العددية: عرّف العلاّمة ابن خلدون علم الرّياضيات (العلوم العددية)، "**وهي معرفة خواص الأعداد من حيث التّأليف، إمّا على التّوالي أو التّضعيف**"، أو هو "**العلم الذي يتعلّم منه أنواع العدد وأحوالها وكيفية تولّد بعضها من بعض، وموضوعه الأعداد من جهة لوازمها وخواصها**"[3].

عدّد ابن خلون فروع هذا العلم، وهي: علم الحساب، علم الجبر والمقابلة، علم الهندسة، **ولقد** تميّز في هذا العلم ثلّةٌ من علماء المغرب الأوسط، فهذا العلم من بين أسياسيات فهم الشّريعة الإسلامية، فمثلا ضبط مواقيت الصّلاة وتحديد القبلة ورؤية الهلال، وتقدير الزّكاة والعُشور، وتوثيق شؤون القضاء، وحساب مداخيل الدّولة، كلّه يحتاج لعلم الرّياضيات (الحساب)[4]، كما يحتاج إليه أيضًا في علم الفرائض، إذن فالرياضيات لها خدمة دينية ودنيوية.

أمّا إذا جئنا لمعرفة أشهر الكتب المدروسة بالمغرب الأوسط في علم الرّياضيات فإنّنا نعرّج على أشهرها، مثل: "أرجوزة ابن الياسمين" لعبد الله بن محمّد بن الحاج

---

[1] ابن مريم، المصدر السّابق، ص ص255 -256؛ التّمبكتي، **نيل الإبتهاج**، المصدر السّابق ص 578.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص 256.

[3] ابن الإكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، تحقيق: عبد المنعم محمّد عمر، المرجعة، أحمد حلمي عبد الرّحمن، دار الفكر العربي للطّبع والنّشر، القاهرة، 1990، ص 210.

[4] إبراهيم حركات، **مدخلٌ إلى تاريخ العلوم في المغرب الإسلامي**، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، 2000، ج1، ص430.

الفنـــدلاوي الفاســـي (ت601هـ/1204م)[1]، وكتـــب ابـــن البنّـــاء المرّاكشـــي (ت721هـ/1321م)، مثل " تلخيص أعمال الحساب" و "الحصار الصّغير"[2] .

تـرك علمـاء المغـرب الأوسـط أثـرهم فـي هـذا العلـم، ولعـلّ أبـرزهم: ابـن قنفـذ القسنطيني (ت810هـ) الذي أثرى المدرسة المغرب أوسطية بمؤلّفات أصبحت معتمدةً في الدّرس الرّياضي، ولعلّ أهمّها "حطّ النّقاب عن وجوه أعمال الحساب" وهو شرح لتلخيص أعمال الحساب لابن البنّاء[3]، وكتاب "مبادئ السّالكين في شرح أرجوزة ابن الياسمين"[4].

أمّا علي بن موسى بن محمّد بن هيدور التّادلي البجائي (ت816هـ/1413م) كـان إمامًـا فـي الفـرائض والحسـاب، لـه شـرحٌ وتقييـدات علـى كتـب ابـن البنّـاء فـي الحساب[5].

المطلب الثّاني: الحركة العلمية في حواضر الجنوب المغرب الأوسط

1-الجذور التّاريخية للحركة العلمية

تُعدّ الكتابات التي تتناول الحركة الثّقافية والعلمية خلال القرون الوسطى، سواءٌ فـي إقليم تـوات أو الحواضـر الجنوبيـة بصـفّة عامّـة، قليلـة جـدّا ولا نعـرف هـل هـذه الحواضر لم تشهد حركةً فكريةً وثقافية، كما شهدتها حواضر الشّمال، أم هناك تغافل عنها.

---

[1] أحمد ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصورة للطّباعة والوراقة، الرّباط، 1973، ص 423؛ العبّاس بن إبراهيم السّملاتي، **الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام**، ج8، تحقيق: عبد الوهّاب ابن المنصور، المطبعة الملكية الرباط ط2، 1993، ص 204.

[2] رزيوي زينب، المرجع السّابق، ص ص 303 – 304.

[3] ابن قنفذ، شرف الطّالب...، ص 239؛ ابن قنفذ، **الفارسية**...، المصدر السّابق، ص 72.

[4] حساني مختار، **تاريخ الجزائر الوسيط**...، المرجع السّابق، ص 174.

[5] رزيوي زينب، المرجع السّابق، ص 310.

لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن نصدر حكمًا بهذا، لأنّ المصادر التي كتبت عن تلك الحواضر، حتّى لا نظلمها لم تتكلّم بإسهاب عن الوضعية الثّقافية، ولكن هناك مقتطفاتٌ هنا وهنالك يمكن أن ندرجها لوصف ما يمكن وصفه، فإقليم توات كما جاء في كتب التّاريخ بأنّه أرض الأمان واطمئنان، كثر فيه الصّالحون والزّهاد جاءوها من كافّة الأقطار العربية والإسلامية[1]، كما أنّه ومن خلال تتبّع الحركة العلمية والثّقافية في حواضر الشّمال أنّ لها علاقة وطيدة بهذه حواضر الجنوب الصّحراوية.

بدأت توات تعرف حركةً علمية واضحةً شملت مجالاتٍ كثيرة خاصّة مع بداية القرن 6هـ و7هـ، وكان لقدوم الشّيخ سليمان بن علي الإدريسي سنة 580هـ/1184م تأسّست أوّل زاوية في المنطقة، بدأت نشاطها مع التّحفيظ القرآن الكريم[2]، وهذا العياشي صاحب الرّحلة أثناء زيارته لنواحي للإقليم (بضبط منطقة تسابيت)[3] سنة (1072هـ) قال عن الإقليم: " **ولم نلقَ هناك أحدًا ممّن ينتسب إلى الولاية والصّلاح، ولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام، أهل تجارة**"[4]، إلاّ أنّ العياشي ذكر لنا شخصية نادرة الوجود في العلم توحي بأنّ الوضع كان معافيًا في بعض الجهات، والشّخصية هي العالم محمّد بن اسماعيل المنساوي الجراري (ت1654/1064م) الذي كانت له مكتبة عظيمة، ثمّ إنّ عثور العياشي على سِفر من "**نوازل البرزلي**" بخطّ الإمام ابن مرزوق، بالإضافة إلى إجازاتٍ لبعض السّادات القادرية[5]، والسّؤال الذي يبقى مطروحًا هو: لماذا قال أنّه لم يجد من ينتسب إلى العلم أو على حدّ تعبيره "**الولاية والصّلاح** ".

---

[1] أحمد أبا الصّافي الجعفري، **من تاريخ توات أبحاث في التّراث**، منشورات الحضارة، الجزائر 2011، ص 289.

[2] زهرة بوكرابيلة، واقع النّشاط الثّقافي في إقليم توات من القرن 7هـ إلى القرن 12هـ – قراءة في الملامح والأبعاد –، مجلّة رفوف، المجلّد، 10، العدد01، جانفي 2022، جامعة أدرار، الجزائر ص 433.

[3] مبارك بن صافي، المرجع السّابق، ص 115.

[4] العيّاشي، المصدر السّابق، ص 312.

[5] العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 108.

كما أسلفنا سابقا، أنّ المنطقة كانت تشهد النّهضة الثّقافية متوسّطة الحجم، لكن مع نهاية القرون الوسطى بدأت الحركة العلمية نشاطًا غير مسبوق وخاصّةً عندما قدم إليها علماء ومشايخ أثروا المنطقة علمًا ومعرفة، وتفيد مخطوطة "**درّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**" لمؤلّفها الشّيخ سيدي محمّد بن عبد الكريم البكري، أنّه في سنة 890هـ قدم ولد الباي من طرابلس وتجوّل في إقليم توات ومعه عشرةٌ من علماء المالكية وصحبهم في جولتهم العلمية كلٌّ من: سيدي علي بن عبد الله، والفقيه سيدي محمّد بن العالم، والفقيه امبارك بن أحمد[1]، ولا نعلم سبب الزّيارة التي قدم من أجلها لكن على حسب اصطحاب العلماء العشرة من كبار علماء المذهب.

من المؤكّد أنّ هناك رحلةً علميةً ديبلوماسية من أجل توطيد العلاقات الثّقافية ومن ملامح ازدهار الحياة الفقهية أنّ أوّل شرحٍ لمتن خليلٍ كان من عالمنا الإمام عبد الكريم المغيلي[2].

من العلماء الذين كان لهم الفضل في تكوين المدرسة التّواتية الأولى، الفقيه العالم يحي بن يدير بن عتيق التّدلسي المُكنّى "**بأبي زكريا**"(ت877هـ)، حيث تولّى القضاء بتوات، وهو يعتبر سليل مدرسة "**الإمام ابن زاغو**" الذي مثّل في عصره مدرسة تلمسان مع الفقيه محمّد بن يوسف السّنوسي (ت895هـ)، إذ تتلمذ على يد هذا الفقيه، ومنه انتقلت العلوم الشّرعية بالسّند إلى عالمنا الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي، الذي تتلمذ عليه[3]، وممّا يُذكر عن دور وفادة علماء تلمسان في نقل السّند العلمي إلى

[1] أحمد أبا الصّافي جعفري، من تاريخ توات...، المرجع السّابق، ص 132.

[2] نفسه، ص 135.

[3] التّمبكتي، النّيل، المصدر السّابق، ج2، ص 339؛ الحفناوي، تعريف الخلف، المصدر السّابق ج1، ص 194؛ بوعقادة، المرجع السّابق، ص 789.

حواضر الجنوب، أنّه كان مالكية الجزائر سعيد ابن إبراهيم قدّورة ممسكًا بنسخة من صحيح البخاري عليها سنده المتّصل بمحدّثي تلمسان [1].

1-الوفادة العلمية إلى منطقة توات من القرن 7هـ إلى القرن9هـ.

-مولاي سليمان بن علي الإدريسي (ت670هـ)يُلقّب بـ "**أوشن**" له نسب إلى الإمام الحسن بن علي والسّيّدة فاطمة الزّهراء – رضي الله عنهما – درس الشّيخ في فاس على يد سيدي علي بن حرزهم (559هـ/1173م) دفين فاس، وهو الذي أمره بالسّفر إلى أرض توات، حيث قدم توات سنة 580هـ/1184م، أسّس الشّيخ الشّريف الإدريسي أوّل زاوية بأولاد أوشن[2]، بالإضافة إلى خزانة عامرةٍ بالمخطوطات أوقفها لأهل العلم، ويُقال أنّه أوّل من أدخل رسالة أبي زيد القيرواني إلى أرض توات[3].

كانت الزّاوية منارةً للعلم وملجأً للطّلبة وعابري السّبيل خاصّة الرّكب النّبوي يقول فيه الشّيخ عبد القادر التّنلاني: "**وكان ذو منزلة عظيمة في النّفوس، ومن كِبار المشايخ، صاحب الآيات والكرامات وقبره أحد المزارات**"[4]، رثاه الشّيخ البكري بن عبد الرّحمن (1139هـ)، قائلا:

سيدي سليمان نجل علـــى وفسيل ابن حرزهم في الطّـريقــة

---

[1] محمّد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السّعديّين**، ج2، منشورات دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر، الرباط، 627.

[2] سالمي زينب، **الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08 – 10 هجرية**، مذكّرة مقدّمةٌ لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التّاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2011 – 2012، ص 26.

[3] محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي، **جوهرة المعاني فيما ثبت لذي من علماء الألف الثاني**، مخطوط بالزاوية المهدية، أدرار، ورقة، 31، نقلا عن عبد الرحمن بلاغ، **النص التعليمي بـ "توات" خلال القرنين 11 و12 الهجريين/ 17-18م**، مجلة القرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، المجلد 9، العدد01 سنة 2022، ص 11.

[4] زهرة بوكرابيلة، المرجع السّابق، ص 434.

فُقت مجدًا وسؤددا وكمـالا وسلـــوكا شريعـــةً وحقيـــقة[1]

-**عيسى بن محمّد البطّيوي**، نزل توات سنة 714هـ، واستقرّ بتمنطيط بحيّ أولاد محمّد شهدت له الجماعة التّواتية بالولاية والصّلاح، فعُيّن قاضي الجماعة[2].

- **الشّيخ الفقيه موسى بن مسعود (ت920هـ/1514م)**، من أبرز العلماء في منطقة تنجورارين، بمكان أولاد سعيد، له رحلة علمية إلى مدينة مليانة، وله مشيخة وصُحبة مع الشّيخ الصّوفي أحمد بن يوسف الملياني.

-**الشّيخ ميمون بن عمرو بن محمّد الباز (901هـ/1496م)**، أحد الوجوه البارزة في مجال العلم والوِلاية والصّلاح، أصله من المغرب الأقصى، نزل تمنطيطَ وتزوّج السّيدة فاطمة بنت الشّيخ عبد الله العصنوني، وقد حدث بينه وبين طلبته مسألة فقهية، أدّت إلى سفره لفاس للبحث عن جواب، ومن ثمّة وجدها في كتاب الشّيخ خليل وأتى به إلى توات، ويُعدّ بذلك أوّل من أدخل المتن الفقهي إلى توات[3].

-**أبو يحي المنياري (ت840هـ/1437م)**، هو من أكابر الأولياء المشاهير ويُنسب إلى قبيلة منيار المغربية، ونزلت هذه القبيلة في تمنطيط خلال القرن التّاسع الهجري[4]، تولّى الشيخ المنياري منصب قاضي الجماعة[5].

---

[1] أحمد أبا الصّافي الجعفري، **من تاريخ توات أبحاث في التّراث**، منشورات الحضارة، الجزائر 2011، ص ص58 – 59.

[2] البكري عبد الحميد، **النّبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرّابع عشر الهجري**، ط2، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2007، ص 80.

[3] مبارك جعفري، المرجع السّابق، ص ص 130 – 131.

[4] ابن بابا حيدا محمّد الطّيب، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تحقيق: محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ت)، ص 12

[5] بلبالي إبراهيم، **التّأثير الثّقافي والفكري لحاضرة تلمسان على توات في القرن9هـ من خلال نوازل الونشريسي – نازلة يهود توات** –، الملتقى الوطني الأول حول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي، أدار، 9009، ص 226.

عبد الله ابن أبي بكر العصنوني[1] **(ت914هـ/1508م)**، دخل توات مع عائلته سنة 862هـ[2]، وقيل سنة 875هـ[3]، كان الشّيخ متضلّعًا في العلوم الدّينية، ولهذا استشاره الإمام المغيلي في نازلة توات، إلاّ أنّ الإمام العصنوني خالفه في هدم كنائس اليهود بتوات[4]، تولّى الشّيخ القضاء بعد وفاة شيخه وأستاذه يحي بن يدير التّدلسي (ت877هـ).

-**محمّد ابن إسماعيل المنساوي القراري (ت1046هـ/1654م)**، ذكره العيّاشي في الرحلة أنّه نال جانبا عظيمًا من العلوم الشّرعية، وجال البلاد شرقًا وغربًا، فلم يدع المغرب الأقصى ولا إفريقية ولا بلاد السّودان، ومن أشهر شيوخه المذكورين، العلاّمة اللّقاني بمصر، وتحدّث العيّاشي عمّا كان بينه وبين الوزير العثماني وحصوله على مجموعة من أمّهات الكتب، رجّح العيّاشي أنّ ما وجده من أسانيد الطّريقة القادرية تعود لهذا الشّيخ الجليل.

-**الشّيخ امحمّد بن أبي محمّد الأمريني (ت1008هـ)**، هو من تمنطيط من بيت علمٍ وفضل، نشأ في بين العلماء وأكابر تمنطيط فأخذ عن والده، ثمّ انتقل إلى فاس فأخذ عن العلاّمة الشّيخ المنجور والشّيخ محمّد بن مجبر والشّيخ محمّد العدي، ولاّه السّلطان السّعدي أحمد منصور الذّهبي بتولّية خطّة القضاء على البلاد الصّحراوية

---

[1] تعدّ العائلة العصنونية من بيوتات العلم في مدينة تلمسان.

[2] هناك تضارب في تواريخ دخول الشّيخ العصموني إلى توات، قيل 862هـ، وقيل 875، وقد ذكر مبارك الجعفري، أنّه من خلال ما تواتر من الرّوايات الشّفوية، أنّ الشّيخ سكن قصر بني تامر أوّلا ثمّ انتقل إلى تمنطيط، للمزيد انظر: مبارك جعفري، المصدر السابق، ص 133

[3] المهدي البوعبدلي، **أضواء على تاريخ تمنطيط ودور المغيلي بها في قضية يهود توات**، مجلّة الثّقافة، تصدرها وزارة الثّقافة والسّياحة، الجزائر، السّنة 16، العدد 94، جويلية – 1986، ص ص 81 – 82.

[4] الونشريسي، **المِعيار**...، المصدر السّابق، ج2، ص 214 وما بعدها.

فاستعفى، وكانت له تجارةٌ واسعةٌ بين توات وبلاد السّودان الغربي وكانت له مدرسةٌ متنقّلة، حيث أنّه كان يدرّس في أيّ مكان ينزل فيه[1].

-الشّيخ أبي المكارم عبد الكريم بن أحمد التّزدايتي الجراري (ت 941هـ)، أخذ الشّيخ علومه الأولى بمنطقة تزدايت بأولاد سعيد بتيميمون، ثمّ انتقل إلى حاضرة فاس فأخذ عن علمائها الفطاحل أمثال العلاّمة محمّد بن عبد الله الدّقاق الفاسي الذي له السّند العلمي العالي في المذهب[2].

- الشّيخ مأمون ابن عمرو بن محمّد البازي الأرميني (ت 1001هـ)، قدم مع والده من فاس واستقرّ بها، وخلال قدومه وقعت مسألة فقهيةٌ في توات حول" إذا قال البائع أبيعك أمَةً ثيّبا فلمّا اشتراها وجدها بكرا، فأفتى عامّة علماء الصّحراء بعدم الرّدّ إذِ البِكر أحسن من الثّيّب، وشيخنا المأمون أفتى خلافًا لذلك، وحدثت مشادّاتٌ في ذلك فقرّر السّفر إلى فاس للبحث في المسألة، وبالفعل سافر الشّيخ إلى فاس فوجد المسألة مبسوطةً في مختصر خليل، فاشتري كتاب فقه سيدي خليل بأربعين مثقالا ذهبًا وقدم به إلى الصّحراء، فكان له الفضل بسبب تلك الرّحلة العلمية بأن صار فقه سيدي خليل مُعتمدًا في تيسير الدّرس الفقهي في توات وفي خطّة القضاء [3].

نستشفّ من هذه المناظرة العلمية أنّ إقليم توات كان متقدّمًا جدّا في الدّراسات الفقهية التي تعلوها حبّ المناظرات والتّعايش مغ المخالفين.

فمن المخالفين للشّيخ مأمون طلبته ومع ذلك بقي يدرّسهم، ولإعلاء الحقّ ذهب بنفسه للمزيد فكانت رحلةً مباركة في إدخال متن خليل.

---

[1] علي عبد الفتّاح صدّيقي، الرّحلات ودورها في التّواصل العلمي بين توات وغيرها من الحواضر ما بين القرن العاشر والقرن الثّالث عشر هجري، مجلّة الحضارة الإسلامية، المجلّد 19، العدد الثاني، أكتوبر 2018، جامعة وهران 1، الجزائر، ص 478.

[2] عبد السّلام الأسمر بالعالم، المرجع السّابق، ص 242. ورد السّند كاملا في كتاب عبد الرّحمن الجوزي، ذاكرة الماضي ص 10.

[3] نفسه، ص 143.

المبحث الثّالث: أبرز علماء مالكية المغرب الأوسط خلال فترة الدّراسة: قراءة في سِيرهم ومؤلّفاتهم.

المطلب الأول: الإمام أبي العبّاس أحمد المقرّي التّلمساني (ت 1041هـ)

-**مولـــده ونشـــأته العلميـــة:** وُلـد الشّـيخ علـى الأرجـح فـي تلمسـان عـام 933هـ/1575م ونشـأ بهـا فـي طفولتـه وشـبابه[1]، تلقّـى شـيخنا المقـرّي مبـادئ العلـوم الأولـى علـى يـد عمّـه سـعيد بـن أحمـد المقـرّي، كحفـظ القـرآن الكـريم والفقـه والحـديث

[1] الحبيب جنحاني، **المقرّي صاحب نفح الطّيب**، دار الكتب الشّرقية، ط1، تونس، 1955م، ص 33.

والتّفسير، وقد لاحظ سعيد من ابن أخيه من قوّة الحفظ والذّكاء العجيب والنّادر فبذل ما حوى صدره، ودفع إليه بكتب الأوّلين ودواوينهم، فقد روى أبو العبّاس عن عمّه الحديث بسنده إلى القاضي عيّاض بن موسى الحصيب السّبتي بأسانيده، كما كان يرويها أيضًا عن جملة من علماء المغرب، أمثال محمّد القصّار القيسي، وأحمد بن القاضي المكناسي[1]، ولمّا رأى أنّه استوعب ذلك كلّه وهمّته مازالت تطلب المزيد، دفعه إلى الرّحلة إلى المغرب الأقصى[2].

ونظرًا للحالة السّياسية التي شهدها المغرب الإسلامي من حروب وتطاحنات يقول الإمام في النّفح: "وبها – تلمسان – وُلدت أنا وأبي وجدّي، وقرأت بها ونشأت إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشّبيبة إلى مدينة فاس سنة 1009هـ"[3]، وخلال رحلته حصل له شهرةٌ كبيرة في الأوساط العلمية من خلال نشاطه العلمي والمناظرات التي كان يتفوّق فيها، فاتّصل بالسّلطان السّعدي المنصور الذّهبي بمرّاكش، كما كانت له إجازات مع عديد من العلماء من حاضرتي مرّاكش وفاس، وقد رصدها في مؤلّفه روضة الآس[4]، كما درس الشّيخ بالزّاوية الدّلائية[5]، وتتلمذ على يد شيخها محمّد بن أبي بكر الدّلائي(ت 1046هـ).

بعد ذلك توجّهت أنظار الشّيخ إلى الهجرة مرّة أخرى نحوى المشرق بسبب محن ولنترك الشّيخ يروي ذلك، فقال: "... **أنّه لمّا قضى الملك لعبيده في أحكامه تعقّب**

---

[1] اكتاني عبد الحيّ، **فهرس الفهارس والأثبات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م ج2 ص 575.

[2] محمّد زرمان، **مساهمة أبي العبّاس أحمد المقرّي في خدمة العلوم الإسلامية**، مجلّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلّد 19، العدد1، 2004، ص 153.

[3] أحمد المقرّي، **نفح الطّيب**...المصدر السّابق، ج1، ص 296.

[4] أبو العبّاس أحمد المقرّي، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مرّاكش وفاس**، المطبعة الملَكية، الرّباط، ط2، 1983، (مقدّمة المحقّق).

[5] محمّد حجّي، الزّاوية الدّلائية ودورها الدّيني والعلمي والسّياسي، المطبعة الوطنية بالرّباط 1964م، الرباط، ص 114.

الرّدّ، ولا يحيد عمّا شاءه سواه كره ذلك الأمر أو رد، برحلتي من بلادي بقطر المغرب الأقصى الذي نمت محاسنه لولا سماسرة الفِتن التي سمت بضائع آمنة نقصًا وطمى به بحر الأهوال"[1]، فقصد الحجّ سنة 1028هـ، وبعدها حطّ الرّحال في القاهرة واستقرّ بها واشتغل بها مدرّسا ومحدّثا، وتوافد عليه الطّلاّب من أصقاع العالم الإسلامي لينهلوا من علمه الغزير[2].

توفّي شيخنا أبو العبّاس أحمد المقرّي التّلمساني في مصر سنة 1041هـ، ويُقال إنّه توفّي بالشّام مسموما، عقب عودته من إسطنبول، وقيل بالقاهرة، ودُفن بمقبرة المجاورين بالقرافة بجوار المسجد الأزهر[3].

خلف الشّيخ تلامذة كان لهم الدّور الكبير في نشر علومه وأسانيده، مثل الشّيخ العلاّمة محمّد بن أحمد ميّاره (ت1072هـ) الذي أخذ من الشّيخ أحمد المقرّي الأسانيد والإجازاتِ في الشّروح والعقائد، وقد برزت هذه المؤثّرات في شرح الشّيخ ميّاره على المرشد المُعيد على الضّروري من علوم الدّين لشيخه عبد الواحد بن عاشر[4]، ومنهم الإمام عبد الكريم بن محمّد التّواتي له صحبة قوية واتّصال دائمٌ بمعلّمه المقرّي، فقد جاء في إحدى المراسلات التي على شكل إجازة في علم الحديث، جاء فيها: "...**فسأل منّي أن أجيزه بكلّ ما تجوز لي وعنّي روايته بشرطه ...وقد ضاق بي الزّمان والمكان عن ذكر بعض الأسانيد، وأوصيه ونفسي أحقّ بذلك بتقوى....وكتبه عجلاً خجلا مرتحلاً العبد الفقير أحمد بن محمّد المقرّي التّلمساني وفقه الله**"[5].

---

[1] أحمد المقرّي، **النّفح الطّيب**...المرجع السّابق، ج1، ص 18.

[2] أبو العبّاس أحمد المقرّي، **رحلة إلى المغرب والمشرق**، تحقيق: محمّد بن عمر، منشورات مكتبة الرّشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2004م، ص 06.

[3] محمّد الطّيب القادري، **التقاط الدّرر ومُستفاد المواعظ والعِبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثّانية عشر**، تحقيق: هشام العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1974م، ج2، ص 95.

[4] الإفراني، **الصّفوة من انتشر**...المصدر السّابق، ص 140.

[5] أحمد أبا الصّافي الجعفري، المرجع السّابق، ص 297.

-تراث الإمام أبو العبّاس أحمد المقرّي

تميّزت مؤلّفات الإمام أبو العبّاس المقرّي بالثّراء المعرفي، فكلّ علمٍ خاض فيه الشّيخ إلاّ وقد أبدع فيه إبداعًا فريدا من نوعه، وقد كانت غاية الشّيخ تبسيط المعرفة لطلاّب العلم ولعامّة النّاس، ومن أشهرها نذكر:

-إتحاف المُغرم المُغرى في شرح السّنوسية الصُّغرى: وهي شرح للعقيدة الصّغرى للإمام السّنوسي، والتي تُعرف بأمّ البراهين، و حاشية عليها سمّاها: "**إتحاف المُغرم المُغرى في تكميل شرح الصّغرى**"، وهذا الكتاب ما يزال مخطوطا في خزائن المغرب الأقصى.

-إضاءة الدُّجنة في عقائد أهل السّنّة: وهي أرجوزة في حوالي خمسمائة بيت بدأ نظمها عام 1029هـ بالحجاز وأكملها بعد رجوعه إلى مصر سنة 1036هـ/ 1630م ثمّ درّسها بعد ذلك في الشّام، يقول في النّفح الطّيب:

وإنّني كنت نظمت فيه لطالب عقيدةٍ تكفيه

سمّيتها «إضاءة الدُّجنة وقد رجوت أن تكون جنّه

وبعد أن قرأتها بمصر ومكّة بعضًا من أهل مصر

درستها لما دخلت الشّام بجامع في الحسن لا يُسامى

وكان في المجلس جمع وافر من جلّةٍ بدورهم سوافر[1]

لقي هذا المؤلَّف شهرةً واسعة في أوساط العلماء والطّلبة والعامّة، وتناقلها النّاس في العالم الإسلامي، ونسخ منها في حياته ما يزيد عن ألفي نسخة، منها مئتان عليها خطّه[1]، يقول في مطلعها:

[1] أحمد المقرّي، النّفح الطّيّب... المصدر السّابق، ج5، ص ص 424/ 425.

يقول أحمد الفقير المقرّي المغربي المالكي الأشعري

الحمد لله الذي توحيده أجلّ ما اعتنى به عبيده

يذكر الإمام عبد القادر الغصين، وهو من تلامذة الشّيخ المقرّي سبب تأليف "**إضاءة الدُّجنة**"، ما نصّه: "**فإنّي كنت أقرأ عليه صُغرى الشّيخ السّنوسي بمص فسألنا منه نظمًا في العقائد، فكان كلّما قرأ درسًا نظمه فيقرأه غدًا كذلك إلى أن ختمه**"، وكانت عند عبد القادر نسخةٌ منها، عليها تعليقاتٌ للمقرّي بخطّه، قيّدها لدى مروره بمدينة غزّة، وكتب المقرّي في آخر تلك النّسخة ما نصّه: " **يقول المؤلّف هذه العقيدة العبد الفقير أحمد وأصلحت فيها ما عثرت عليه، وقد كُتب من هذه النّسخة – فيما علمت– بمصر المحروسة، والشّام[2]، والحجاز، والمغرب، نيّفٌ على ألف نسخة، ولله الحمد، وكتبت خطّي على نحو المائتي منها، وقد كتبها غالب طلبة مكّة لمّا قرأتها هنالك، وأهل بيت المقدس لمّا قرأتها به أيضا، وأهل دمشق حين درستها بها، وأخذ منها أصحابنا إلى المغرب والصّعيد نسخا، وكتب لي بعض أصحابنا بالصّعيد أنّه كُتب منها نيّفٌ على مائة نسخة، وكذلك برشي والإسكندرية، جعلها الله خالصةً لوجهه الكريم**"، وكتب لشوال سنة 1037هـ[3].

–أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذه من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة: وهي عبارة عن وصف ألبسة الرّسول محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – ومدحها سيما عمامته، وقد ذكر أنّه ألّفها قرب رأس النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام عند

[1] محمّد عبد الكريم، **المقرّي وكتابه النّفح الطّيب**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 296.

[2] عبد الصّمد عزّوزي، **إقامة المقرّي التّلمساني بدمشق من خلال مخطوط للشّاهين**، دراسة وتحقيق: مجلّة الآداب واللّغات، العدد 10 ديسمبر 2019م، جامعة محمّد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر، ص 60.

[3] محمّد الصّغير الافراني، **صفوة من انتشر**.... المصدر السّابق، ص 146.

قبره الشّريفة[1]، وقد لخّص الإمام المقرّي هذا الكتاب في أرجوزة من ثلاثمئة وخمسة أبيات سمّاها "**زبدة أزهار الكمامة**"، وخصّ بنسخة منها محمّد بن أبي بكر الدّلائي وأشار إلى ذلك في كتابه إليه: "وقد ختمت كتاب العمامة برجزه اشتمل على زبدته، وقد وجّهت إليكم صحبة هذا المكتوب، وهو مكتوب بالمدينة المشرّفة على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام"[2].

المطلب الثّاني: الإمام محمّد بن يوسف السّنوسي الحسني (ت895هـ)

-مولده ونشأته العلمية:

هو محمّد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السّنوسي الحسني من جهة أمّه، وُلد الشّيخ سنة 830هـ/1426م، نشأ بتلمسان، وتوفّي بها سنة (895هـ)[3] وتعلّم بها على عدّة مشايخ من أبرزهم والده[4]، وأبو الحسن علي بن محمّد التّالوتي الأنصاري (ت895هـ/1489م)، قرأ عليه رسالة أبي زيد القيرواني[5]، وعلي بن محمّد القلصادي (ت891هـ/1486م) قرأ عليه جملةً من الحساب والفرائض، وأجازه في كثير من المرويات التي سمعها منه[6]، وإبراهيم بن علي التّازي (866هـ/1461م)، أبو عبد الله

[1] عبد الوهّاب ابن منصور، **أعلام المغرب العربي**، ج5، المطبعة الملكية، 1976، ص 362.

[2] نفسه، ج5، ص 363، محمّد رزمان، المرجع السّابق، ص 159.

[3] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائريّين من عصر الإسلام حتّى العصر الحاضر**، ط2، مؤسّسة نويهض للثّقافة، بيروت، 1980، ص 180.

[4] عبد العزيز الصّغير دخّان، **الإمام العلاّمة محمّد بن يوسف السّنوسي التّلمساني**، دار كردادة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص 93.

[5] ابن مريم، المصدر السّابق، ص 139.

[6] القلصادي أبي الحسن علي الأندلسي، **رحلة القلصادي**، تحقيق: محمّد أبو الأجفان، الشّركة التّونسية للتّوزيع، تونس، 1978، ص 33.

بن مرزوق (ت842هـ/1439م) أخذ عنهم علم التّصوّف[1]، كما أخذ عن العلاّمة نصر الزّواوي (ت826هـ/1422م) علوم اللّغة العربية ولازمه كثيرا[2].

في الفقه ختم المدوّنة مرّتين على العلاّمة أبو عبد الله الجلاّب (ت875هـ/1461م)[3]، كما أخذ الإمام السّنوسي على فطاحل زمانه، هو كذلك خلف تلاميذ فطاحل من أشهرهم نذكر العلاّمة الملاّلي محمّد بن إبراهيم بن عمر بن علي أبو عبد الله (ت898هـ/1492م)[4]، و أبو مدين أبو عبد الله محمّد(ت915هـ/1519م)[5]، توفّي الشّيخ يوم الأحد بعد العصر، الثّامن عشر من جمادى الآخرة سنة 895هـ الموافق لسنة 1490م[6].

-قراء في تراث الإمام السّنوسي:

إنّه لمن الصّعب أن نقوم بقراءة تراث السّنوسي فقد تنوعت تآليفه بين المنطق والتوحيد والفقه، فقد كانت مساهمت الإمام السّنوسي مساهمةً كبيرةً في تصحيح مفهوم العقيدة الأشعرية والتّجديد لها، من خلال مؤلفاته العقدية، فقد شهد زمنه الرّكود والجمود الفكري، وانتشرت فيه العقائد المخالفة للمذهب الأشعري، " ولا نستغرب في هذا الزمان الذي نحن فيه، وهو أواخر القرن التاسع الهجري الذي صار فيه المعروف منكرا

---

[1] البلوي (لأبي جعفر بن علي الوادي أشي)، **الثّبت**، تحقيق: عبد الله عمراني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983، ص 439.

[2] التّمبكتي، كفاية المحتاج... المرجع السابق، ج2، ص 273.

[3] مخلوف محمّد بن عمر بن قاسم، **شجرة النّور الزّكية في الطّبقات المالكية**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج1، ص 385.

[4] نفسه، ص 385.

[5] ابن مريم، المصدر السّابق، ص 236.

[6] محمّد هواري، مخطوط: "**شرح مختصر في علم المنطق**" **للشّيخ محمّد بن يوسف السّنوسي**" **دراسةٌ وصفية**، مجلّة نتائج الفكر، العددان الثّالث والرّابع، جوان 2018/شوال 1439، المركز الجامعي صالحي أحمد النّعامة، الجزائرص 348.

والمنكر معروفًا، وتعذر فيه معرفة الحق لبذور أهله، واتّسع الخرق فيه[1]، فتأليفه لأول مؤلف الذي عنونه بـ "عقيدة أهل التوحيد المخرجة بعون الله تعالى من ظلمات الجهل ورقبة التقليد المرغمة بفضل الله تعالى أنف كل مبتدع عنيد"، وقد شرحها وسمّاها "عُمدة أهل التّوفيق والتّسديد في شرح عقيدة التّوحيد.

كما ساهم السّنوسي بفضل سهولة مؤلفاته وتبسيطها من بلوغها الغاية المقصودة، فقد انتشرت بين المُتصوفة الذين كانوا سببًا في تخلّف الدّراسات الكلامية والمنطقية لقيامه على العقل الذي يحاربونه بادعائهم المعرفة الذوقية إلى ناشرين لها ومستقرين على قاعدة في العقد الأشعري وفقه مالك وطريقة الجنيد السّالك ، ونتج عن خبرته في طلب العلم وتعليمه للصّغار والكبار، إلى تأليف منظومة فكرية أشعرية متكاملة، محورها الجوهري علم التّوحيد الذي تدور عليه العلوم كلّها، مركزًا على هذا العلم وجعله في أوائل العلوم التي تدرس لطالب العلم[2].

من أشهر مؤلفات الإمام السّنوسي التي ملأت الدّنيا، وعكف عليها طلاب العلم في المشارق والمغارب على تدريسها وحفظها وشرحها، نذكر ما يلي:

-**أم البراهين:** من أهمّ مؤلفاته في علم العقيدة أو علم التّوحيد عقيدة أهل التّوحيد المخرجة بعون الله من الظّلمات الجهل وربقة التّقليد، المرغمة بفضل الله تعالى أنف كل مبتدع عنيد: وهي المعروفة بالكبرى، وممّن ذكرها أبو العباس الولاتي، وللسّنوسي عليها شرح موسوم بـ "عُمدة أهل التّوفيق والتّسديد في شرح عقيدة أهل التّوحيد"[3]، وقد

---

[1] محمد بن يوسف السنوسي، **العقيد الوسطى وشرحها**، تحقيق؛ يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 22.

[2] عليوان أسعيد، **جهود السنوسي التلمساني في نشر الأشعرية وتثبيتها في الغرب الإسلامي**، مجلة المعيار، المجلد 18، العدد36، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ص 141.

[3] محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، **العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل التوحيد**، تحقيق، السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت،2006، ص 16.

بناها كلّها على أحكام الحكم العقلي (الوُجوب، والاستحالة، والجواز)، وبيّن فيه أنّ الواجب على كلّ مكلّفٍ شرعًا أن يعرف ما يجب في حقّ مولانا عزّ وجلّ، وما يستحيل وما يجوز، ومثل ذلك في حقّ الرّسل عليهم السّلام، ثمّ تطرّق الشّيخ رحمه الله إلى فصل تناول فيه أقسام الصّفات الإلهية، وهي عشرون صفةً مقسّمة إلى أربعة أقسام.

-**الحفيدة:** وسُميت بذلك لأنّ صغرى السّنوسي، وهي بمثابة الأم وصغرى الصّغرى بمثابة الحفيدة[1].

-**شرح أسماء الله الحُسنى:** وهو كتاب شرح فيه السّنوسي أسماء الله الحسنى[2]

-**كتاب العقيدة الوسطى وشرحها:** وهي عبارة عن اختصار للعقيدة الكبرى مع زيادات هامّة.

-**عقيدة صغرى الصّغرى:** وهي اختصار لأمّ البراهين.

-**المقدمات:** وهو متن صغير وضعه الإمام السّنوسي لطلبة العلم والمبتدئين، توحيد أهل العرفان ومعرفة الله ورسوله بالدليل والبرهان.

-**عقيدة السّنوسي السّادسة:** هذه العقيدة وضعها للنّسوان والصّبيان.

كما برع الشّيخ السّنوسي في علم الحديث من خلال اعتنائه بصحيح البخاري، إذ أخذه من أفواه الرّجال الثّقات، فقد أخذ السّند المتّصل بسيد المُرسلين – صلى الله عليه وسلم – ومنهم الإمام عبد الرحمن الثّعالبي[3]، كما خدم الشّيخ علم الحديث من خلال مؤلفاته، ومنها شرحُه العجيب الذي لم يكمله، حيث وصل فيه إلى باب: من

---

[1] خالد الزهري، **المصادر المغربية للعقيدة الأشعرية ببيليوغرافية ودراسة بيبليومترية**، ج1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2007، ص289.

[2] محمد بن يوسف السّنوسي، **المنهج السّديد في شرح كفاية المريد**، ...، ج2، ص 99

[3] الحفناوي، المصدر السّابق، ج1 ص180

استبرأ لدينه وعرضه، ومشكلات البُخاري، وتأليفه مختصر الزّركشي على البخاري، وقد ذكر التّنبكتي أنّه وقف على شرحه على البخاري وعلى جملة أخرى من مؤلفاته [1].

وقد خاض الإمام السنوسي في الصّناعة الحديثية وبرع في هذا العلم، تاركًا بصمة بلغت الأفاق، ومن بين ترجيحاته حتى قدّم صحيح الغمام مسلم على صحيح البخاري في غير الصّحة فقال: "**اعلم أنّ كتاب البخاري وإن كان أصحّ وأجلّ وأكثر فوائد من مسلم، فقد اختص مسلم رضي الله عنه بلطائف من صنعة الإسناد تجده يتحراها، رضي الله عنه**"، **ثم نقل عن الإمام النّووي مثالين على ذلك بمناسبة الحديث المذكور**"[2]، وهذا الذي قرّره الإمام السّنوسي هو رأي أهل المغرب عامّة، وليس كما يظن أنهم يقدمون صحيح مسلم على صحيح البخاري، وهكذا ينظم الإمام السنوسي إلى رأي المغاربة في تقديم البخاري على مسلم من حيث الأصحية، وتقديم مسلم على البخاري باعتبار ميزات الترجيح الاخرى[3] .

– **كتاب مكمّل إكمال الإكمال:** يعتبر مكمل إكمال الإكمال تلخيصًا لكتاب إكمال الإكمال للأبي، مع إضافة شرح مقدمة الإمام مسلم التي لم يتعرض الأبي لشرحها، برع الإمام السنوسي في شرح مكمّل الإكمال، فقال: "فاختصرت في التقييد المبارك – إن شاء الله تعالى – معظم مافي الشّرح الجامع من الفوائد، وضممت إليه كثيرا مما أغفله ممّا هو كالضروري لا كالزّائد، وأكملته بشرح الخطبة فتّم النّفع، وحمد لله تعالى بشرح جميع الكتاب، وجاء بفضل الله تعالى مختصرًا يقنع أو يغني عن جميع الشّروح وما فيها من التّطويل أو مزيد الإطناب، فهو جدير إن شاء الله تعالى أن يسمى لذلك

[1] عبد العزيز الصغير دخان، **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف**، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2011، الجزائر، ص 248.

[2] محمد بن يوسف السنوسي، **مكمل إكمال الإكمال (مقدمة)**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د س)، ص

[3] عبد العزيز الصغير دخان، المرجع السابق، ص 250.

بمكمل إكمال الإكمال، ومقربه على الضّعيف ومريد الحاجة دون المسافات الطوال، والله أسأل أن ينفع به دنيا وأخرى، ويجعله من صالحات الأعمال"[1]

ترك الإمام الأبي شرح مقدمة الإمام مسلم، وبرر ذلك بأنّ الإمام مسلم لم يقصدها، ولكن الإمام السّنوسي اعترض على كلام الأبي بهذا القول: "**رحم الله الشّيخ الأبي ونفع به، لقد كان حقه أن يعتني بشرح المقدمة التي احتوت على علوم ومشكل أسماء ولغات تحتاج إلى شرح وضبط أكثر من اعتنائه بشرح التراجم، لأنها ليست من وضع مسلم، ولأنها غنية عن الشرح غالبا، فتكميل الفائدة بشرح المقدمة كان أولى**"[2]، وأهم ما تميز به كتاب للسّنوسي كتالي:

-شرح السّنوسي مقدمة صحيح الإمام مسلم، وهو مالم يفعله الأبي رحمه الله

-إنّه عبارة عن موسوعة مختصرة استوعبت ما تفرق من شروح صحيح مسلم، كإكمال المعلم للقاضي عياض (ت544هـ)، وفهم بشرح تلخيص صحيح مسلم لأحمد بن عمر القرطبي (ت656هـ)، والمنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحاج للإمام النّووي (676هـ)[3].

-كما انتصر السّنوسي لآراء الأشاعرة في مسائل الاعتقاد، كمسألة حقيقة الكذب[4]، ومسألة الوجوب على الله هل بالعقل أم بالشّرع[5]، ومسألة التّكليف بما لا يطاق[1].

---

[1] الإمام محمد بن يوسف السنوسي، **مكمل إكمال الإكمال، (المقدمة)**، المصدر السابق 1، ص 3

[2] نفسه، ص 3.

[3] عمر مبركي، **أشعرية الإمام السنوسي من خلال كتابه – مكمل إكمال المعلم –**، مجلة المعيار، المجلد 18، العدد 36، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ص 9.

[4] محمد بن يوسف السنوسي، **مكمل إكمال الإكمال**، المصدر السّابق، ج3، ص 71

[5] نفسه، ج3، ص 78

-ردّ على المخالفين وناقشهم بحجج ومن ذلك، ردّه على الرّوافض القائلين بالرّجعة قال: "**ومعنى إيمانه بالرجعة، وما تقوله الرافضة أنّ عليًا رضي الله عنه في السّحاب، فلا نخرج من يخرج من ولده حتى ينادي من السّماء أن أخرجوا معه، وهذا من عظيم جهالاتهم، وما يليق بعقولهم السخيفة**"[2]، ومنها الرد على المعتزلة القائلين بأنّ العبد يخترع أفعاله على جهة الاختيار، فقال: "**ومن هذا الصنف، ما تقوله المعتزلة، ويعتقد أكثر من جهل علم التوحيد من المسلمين أن العبد يخترع أفعاله الاختيارية من حركة وسكون ونحوها بقدرة خلقها الله تعالى له وأمره أم لا يتصرف بها فيما نهاه عنه**"[3] هذه بعض ما يمكن أن نتطرق إليه من أهم مؤلفات الشّيخ رحمه الله ونفعنا ببركته.

المطلب الثّالث: الإمام محمد عبد الكريم المغيلي التّلمساني (ت909هـ)

-مولده ونشأته ورحلته العلمية:

هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي، ولد الشّيخ في قبيلة مغيلة قرب تهيرت وذلك سنة 831هـ/1427م، هناك اختلاف في ولادة الشّيخ، إلا أنّ التاريخ الذي أورده الأستاذ مبروك مقدم سنة 831هـ/1427م، مستندًا إلى تاريخ وفاته، أخذ علومه الأولى في حاضرة تلمسان حيث حفظ القرآن علي يد الشّيخ أحمد بن عيسى المغيلي التّلمساني المعروف بالجلاب (ت875هـ/1470م)، كما أخذ عنه أمّهات الكتب الفقهية، كالرّسالة ومختصر خليل[4]، رحل الشيخ لنهل من علماء مدينة الجزائر الذين سيكون لهم دورٌ كبيرٌ في صقل شخصية المغيلي فكريًا، وكان أبرزها الإمام العلامة المفسر عبد الرحمن الثّعالبي (ت875هـ)، ومن حبّ الشّيخ لتلميذه وإعجابه

---

[1] نفسه، ج1، 276.

[2] نفسه، ج1، ص 30.

[3] نفسه، ج6، ص 19.

[4] مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية**، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 27.

بذكائه وشخصيته زوجه ابنته زينب، التي أنجبت له ثلاثة أولاد وهم: علي الذي توفي في أولاد سعيد، وعبد الجبّار الذي جعله أبوه على إمارة توات، وقد قتل في توات على يد اليهود[1]، وعهد إليه بسرّ الطّريقة الصّوفية القادرية، وأمره بنشرها في الأماكن التي يذهب إليها، وأوصاه بأن لا يعاشر أهل سفه، وأن لا يستوطن مكان الإهانة[2] ثم انتقل الشّيخ إلى حاضرة بجاية، فأخذ الحديث وفقه الإمام مالك، وأخذ عن الفقيه أحمد الوغليسي وعن أهل تدلس، كماأخذ الصحيحين عن القاضي يحي بن يدير بن عتيق التدلسي[3].

تصدّر الشّيخ لتدريس في حاضرة تلمسان، وتتلمذ على يديه علماء كثير، نذكر منهم الإمام الشّيخ العاقب بن عبد الله الصنمي المسوفي من علماء أكدز من قرية انصمان، قال عنه التّنبكتي:"فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذّهن وقاد الخاطر مشتغل بالعلم" وكان من زملاء الشّيخ في رحلته بالسّودان الغربي[4]، والشّيخ محمد بن عبد الجبار الفجيجي (ت954هـ/1547م) من أسرة مشهورة بالعلم ببلدة فجيج، وقد لازم الشيخ في رحلته ببلاد السودان.

-تراث الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني:

---

[1] حسين زيغمي، **ما يجب على المسلمين من اجتباب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار للشيخ المغيلي (ت909هـ) دراسة وتحقيق وتعليق**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فقه مقارن، كلية العلوم الإسلامية قسم الشريعة، خروبة، 2012/2011، ص 62.

[2] فيلالي فاطمة، **منهج وأسلوب العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في التأليف من خلال كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، مجلة الاستيعاب، العدد الثاني، ماي 2019، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص 157.

[3] التنبكي، **نيل الإبتهاج...**، المصدر السابق، ج1، ص 330.

[4] بيلو محمد، **إنفاق الميسور**، المصدر السّابق، ص65.

عُرف عن الإمام المغيلي تبحره في شتى العلوم والفنون، حتى أن التّنبكتي وصفه بأن خاتمة المحقيقيين أحد الأذكياء[1]، ومؤلفات المغيلي ذات الشّهرة الواسعة في بلاد المغرب والمشرق وبلاد السّودان الغربي، التي أحدثت ثورة فكرية في الحياة الثقافية والاجتماعية والسّياسية، وهي كتالي:

ـ هدية المترشدين ونصيحة المهتدين[2]

ـ شرح البيان في علم التّبيان[3]

ـ تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتباب الكفار عمّا يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، وهو المُسمّى بـ " مصباح الأرواح في أصول الفلاح"

ـ تأليف فيما يجب على الملوك

ـ رسالة في الخلافة

ـ إفهام الأنجال أحكام الآجال[4]ـ البدر المنير في علوم التّفسير، وكتاب شرح مختصر خليل سمّاه: " المغني النبيل"[5]

---

[1] التّنبكتي، النيل...، المصدر السّابق، ص 576.

[2] نفسه ص 577.

[3] مخطوط عدد: 209، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، ضمن مجموعة من صفحة 513-517، نقلا عن؛ عبد المجيد الخيالي، **رسلتان في أهل الذمة الرسالة الأولى مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الرسالة الثانية الإعلام بما أغفله الأعوام**، تحقيق، عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 14

[4] سيدي عمر بن علي، **فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، (د س)، ج1، ص 1018 وما بعدها

[5] التنبكتي، **النيل**...،المرجع السابق، ص 577.

ـ شرح الجمل في المنطق ومقدمة فيه، تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، ثلاثة شروح على منظومة منح الوهاب، مفتاح النّظر في علم الحديث فيه أبحاث مع النّووي في تقريبه[1]

ـ مختصر تلخيص المفتاح وشرحه، تأليف في المنهيات، فهرسة مروياته، وعدد قصائد كالميمية على وزن البردة[2].

–**كتاب "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"**: جاء هذا الكتاب في أصل رسالة، حول قضية يهود توات، وأرسلها إلى عماء المغرب الإسلامي لمشاورتهم ومناقشتهم، تتكون هذه الرسالة من مقدمة وجيزة من البسملة والحمد والصّلاة والسّلام على النّبي – صلى الله عليه وسلم – وهي من ثلاثة فصول:

–**الفصل الأول:** جاء تحت عنوان: "في ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار"[3]، تناول فيه الدلائل العقلية والشّرعية والقطعية في التّقرب من الكفار والتعامل معهم، وأن هذا لا من الدين ولا من العقل ولا من المروءة، حيث شدّد على أنّ المؤمن يجب أن يكون شديدًا على الكفار رحيمًا بالمؤمنين، وأكّد على حبّ الله ورسوله، وأن يعاد من عاد الله، وجاء بخبر سيدي إبراهيم المصمودي، وخبر سيدي هبة الله وكان عالمًا تقيًا، وحذر شيخنا الإمام المغيلي من موالاة اليهود والنّصارى وكذب من يعدي الإيمان والقرب من الله عزّجل وهو يوالي الكفار، وجاء بأخبار القاضي الذي استعمل يهوديا في أعماله، واليهودية التي تعجن خبز مسلم، فحذر من أكل أكلهم والتعامل معهم في البيع والشراء لأنّهم أصحاب مكر وخديعة منذ قديم الزمان، والتاريخ يشهد عليهم حتى أنهم استعموا المكر والخديعة مع الله عزّ وجل، وجاء بأمر سيدنا عمر بن

---

[1] المراكشي، **الإعلام** ...، ج 5، ص 108

[2] التنبكتي، **النيل**...، المصدر السابق، ص 578.

[3] محمد عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، مقدمة وتحقيق، رابح بونار، وزارة الثقافة الجزائر، (د ط)،2007، ص ص 26 – 27.

الخطاب –رضي الله عنه– استند شيخنا الإمام المغيلي إلى القرآن الكريم والأحاديث النّبوية وجاء بأقوال العلماء وبالحكم والأبيات الشّعرية[1].

–**الفصل الثاني:** جاء تحت عنوان: "**فيما يلزم أهل الذّمة من الجزية والصّغار**" تناول شيخنا في هذا المبحث أحكام أهل الذمة، وشرح الجزية وفرضها على أعداء الإسلام، ومقدارها، وشرح معنى الصغار والإذلال، وحذر في البيع والشراء معهم خاصة في بيع شراء الأراضي وأملاك المسلمين، ثم تحدث عن هدم الكنائس، وجاء برأي أبو الحسن الأشعري الذي أفتى بكفر من يأمر ببناء كنيسة[2]

–**الفصل الثالث:** جاء عنوان هذا الفصل بـ" **فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السّلطان**"، في هذا المبحث تعرض شيخنا لقضية يهود توات وتيجورارين وتافيلالت ودرعة، وبين الشّروط التي يجب أن يلزموا بها مع إعطاء الجزية، فمخالفة الأحكام الشّرعية والعهود يحل بها دماءهم وأنّه لا ذمة لهم، وقد فصل الشيخ في العيش هؤلاء بين أظهر المسلمين محافظين على عاداتهم وعقائدهم ماذا يجب عليهم من أمور وأحكام شرعية.

تظهر مالكية الشّيخ المغيلي من حيث اعتماده على تراث المالكية المغرب الإسلامي، فمن خلال هذه الرّسالة نلاحظ اعتماده على الشّفا للقاضي عياض، وذلك أثناء حديثه عن حب النبي صل الله عليه وسلم، وعلى كتاب الفروق للقرافي، وعلى مراتب الاجماع لابن حزم.

[1] نفسه، ص 29 وما بعدها.

[2] نفسه، ص45 وما بعدها.

-**كتاب تاج الدين فيما يجب على الملوك والسّلاطين:** هو عبارة عن رسالة تتناول الجوانب السّياسية وأدب الإمارة والتّسيير، جاءت تحت عنوان "**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسّلاطين**"[1]، أجمل فيها الشّيخ قواعد الحكم الرّشيد.

يقدم المغيلي النّصيحة لسلطان "كانو" محمد رمنفا (868-899هـ/1463-1499م) بمقدمة مختصرة وثمانية أبواب لخص مضمونها في أبواب هي كتالي:

-**الباب الأول:** جاء تحت عنوان "فيما يجب على الأمور من حسن النّية، تناول الشّيخ في هذا الباب أنّ الإمارة هي ابتلاء من الله، ويتّضح أنّه على دراية بعمق النّفس البشرية وخباياها فقد عبر عنها بقوله: "...**الإمارة بلوي بين الهوى والتقوى**" [2]، فقد قدم الهوى على التّقوى، بالرغم من أن التقوى هي الأعلى والأسمى والأفضل كما أنّها هي من يريدها المغيلي من الحاكم أن يصل إليه[3]، لذلك يجب على من ابتلي بها أن يستعين بالله وليكن عمله كله لله، وهمك كله في مصالح الناس، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تقنط من رحمة الله، ورأس البلية أن يحتجب السّلطان عن الرعية[4].

-**الباب الثاني:** جاء تحت عنوان "فيما يجب على الأمير من حسن النية"، فعلى كلّ أمير أن يرتدي برداء الهيبة في الحضور والغيبة، ويجب على السّلطان من حسن الهيئة والثياب وجمال الوجه وبشاشته خاصّة مع إقباله على الخلق، وهي على العموم

---

[1] يرد العنوان في فهرست المخطوطات جامعة إبدان بنيجيريا تحت اسم" رسالة في أمور السلطنة لمحمد بن عبد الكريم المغيلي"، وذكر ملاحظة التي جاءت في الهامش" الرسالة تتضمن نصائح لملك كانو محمد رمنفا" رقمها212/82، أنظر: **فهرس مخطوطات جامعة إبدان**، نيجيريا، طبع مؤسسة الفرقان الإسلامي، لندن، ص200.

[2] محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**، تحقيق محمد خبر رمضان يوسف، دار بن حزم، 1994، بيروت، لبنان، ص 17.

[3] ياسين العمري، **الفكر السياسي عند محمد بن عبد الكريم المغيلي في مفهوم السلطة دراسة مقارنة مع فكر نيكولو ميكافيلي**، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلد5، العدد2 ديسمبر 2021، جامعة غرداية، الجزائر، ص 315.

[4] محمد بن عبد الكريم المغيلي، **تاج الدين...**، المصدر السابق، ص 17 – 18.

آداب في غاية الأهمية، وهذه تدخل في مفهوم الشرعية في الحكم أو بناء شرعية السلطة، وبالجملة حال الرعية وحال السلطان كفتي الميزان فتصرف في مالك بالزيادة والنقصان حتى تعتدل الكفتان[1]

-**الباب الثالث:** جاء تحت عنوان «فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته" ينصح الشّيخ في الباب، أنّه على السّلطان أن يحسن اختيار البطانة الصّالحة التي تعينه على الحكم، وأن تكون كلمتهم واحدة تحت السّمع والطاعة لولي الأمر.

-**الباب الرابع:** فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسفر، ينصح المغيلي السّلاطين بأنّه وجب عليهم الفطنة والحنكة السياسية والشك في كل الشّيء حتى في المقربين، حتى أنه قال: "**ولا تفارق الدرع والسّلاح**"، ومن سياسات الحكم الرّشيد أن تعالج المشاكل الدولة في بدياتها وهي صغيرة حتى لا تكبر وتعجزا[2]

ـ **الباب الخامس:** جاء تحت عنوان "فيما يجب على الأمير من كسف عن الأمور"، تناول الشّيخ في هذا الباب، من شروط الحكم الناجح والعدالة الاجتماعية أنه على السلطان عن يسأل عن كل كبيرة وصغيرة في مملكته وعمالها...الخ،

ـ **الباب السّادس:** جاء تحت عنوان "فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام"، يوضح المغيلي في هذا الباب قضية العدل والإحسان، فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، والإحسان أن يتفضل من نفسه لا من غيره[3].

ـ **الباب السّابع:** جاء تحت عنوان "في مجي الأموال من وجوه الحلال" تناول المغيلي في هذا الباب مصادر الأول والجبايات والضراب وطرق تحصيلها، ونهي المغيلي من قبول السلطان للهدايا فإنها شر كل بلية[1].

---

[1] المغيلي، **تاج الدين**، المصدر السابق، ص ص 6 – 7.

[2] نفسه، ص 40

[3] نفسه، ص 41

ـ **الباب الثامن:** جاء تحت عنوان، في "مصارف أموال الله" تناول الشّيخ في هذا الباب، مصاريف الزكاة، وأموال بيت المال وفيما تصرف، مثل قوله: "**وبناء المساجد، وفك الأسرى، وقضاء الديون، ومؤونة تزويج العزاب...**"[2]

المطلب الرابع: الإمام محمد بن عبد الكريم التواتي التمنطيطي

-مولده ونشأته العلمية:

هو الشّيخ عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون بن عمرو بن محمد بن عمر المريني واختصارًا باسم محمد عبد الكريم، ويلقب بعالم توات كما ذكر لنا أبو سالم العياشي (ت1090هـ) في رحلته حين التقى بابن الشّيخ محمد، فقال: " **...ونزلنا تقرت... وأول من لقينا بعد النزول من طلبتنا، سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي، عالم توات في زمانه سيدي عبد الكريم قاض توات، وبلده بتمنطيط...**" [3]، ولد الشّيخ عبد الكريم بتمنطيط عام 944هـ، وبها كانت نشأته.

نهل الشّيخ مبادئ العلوم الشّرعية الأولى في طفولته على يد والده الشّيخ أبو عبد الله محمد بن أبي محمد (ت1008هـ)، الذي كان من التّجار الكبار إلى البلاد السّودانية وبها توفي[4]، كما تشرّب العلم على يد الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن سليمان بن موسى القومي البازي(د.ت) لازمه وأخذ عنه رجز ابن بري شرحا وفهما في قراءة نافع، وبعض من علم الحساب وعلم الفرائض[5] كما أخذ الشّيخ عن العلامة سعيد بن

---

[1] نفسه، ص 41

[2] نفسه، ص 53.

[3] أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 120.

[4] عبد الرحمان هدي، **غاية الأمل في إعراب الجمل للشيخ محمد عبد الكريم بن أمحمد التواتي (ت 1042هـ)** دراسة وتحقيق، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص: تحقيق المخطوطات اللغوية والأدبية، كلية الآداب واللغات، الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2016/2015، ص 24.

[5] الرحلة في طلب العلم، المرجع السّابق، ص 04.

إبراهيم الجزائري، وهو من العلماء الذين استوطنوا بني عباس من واد السّاورة [1]، وخلال رحلت الشّيخ عبد الكريم التمنطيطي رفقة شيخه الحسن بن أبي يحي الشّريف، فقد أخذ عنه ألفية ابن مالك، ورسالة لأبي زيد القيرواني كما أخذ عنه "**العيون الغامزة على خفايا الرامزة**" على خزرجية من وضع الدماميني (705 -794هـ) والتي اختصرها لرفيقه محمد العربي سماها "النشر الدارِيني في اختصار الدماميني"[2]، ومن قوة ملازمة شيخنا عبد الكريم التمنطيطي لشيخه سعيد قدورة قال له ذات مرة: "إياك إياك أن تقرأ الكبرى لمحمد بن يوسف السنوسي أو تقرأ مختصره على المنطق، أحذرك من ذلك فخذ بنصيحتي، ثم قال: أما الكبرى ففيها من الكلام بقدر هذا الرمل العظيم وأما مختصره فما قرأته على المقري حتى رجعت جبهتي لقفاي، ويكفيك الأخضري في المنطق والعقيدة الصغرى في التوحيد[3].

هذه الملازمة القوية بين التلميذ والشّيخ أتت بثمار يانعة، حتي قال فيه: "**يا أبا محمد أنت سهل الله عليك حيث أصبت الخير مجموعا وأمّا أنا فقد تعبت في جمعه**

[1] واد الساورة هو المكان الذي سماه الرحالة خلال القرن 11هـ/17م وهو من مدينة أكلي إلى توات من المغرب الأوسط، وتنحصر بين منطقة توات في الجنوب ومنطقة جبال القصور في الشمال والمحدد بمعالم طبيعية مثل السفوح الجنوبية الأطلسية شمالا وهضبة درعة غربا وإيقدي وعرق شاش جنوبا، وجاء تسميتها نسبة للوادي الكبير وقيل نسبة للأساور وهي كلمة عربية سيوار ، وهي حلية من الذهب مستديرة كالحلقة تلبس في المعصم للمزيد أنظر: عبد الرحمان بلاغ، **الدور الحضاري للأودية الصحراوية في المغرب الأوسط وادي الساورة خلال النصف الأول من 11هـ/17م**، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، ديسمبر 2015، ص 12؛ مجدوب موساوي، **صورة لمدن الجنوب الغربي الجزائري في الفترة العثمانية من خلال المصادر التاريخية –مدن وادي الساورة أنموذجا–**، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 01، (2021)، ص ص 109-.110

[2] محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية**، المصدر السابق، ص 309.

[3] نفسه، ص 138.

وعييت في محاولته، فما فرغت إلا قرب لقائك"[1]، كما أخذ الشيخ عن العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن سليمان بن موسى البازي الذي لازمه ثلاثة سنوات أخذ عنه الحساب والفرائض وشرحا وفهما لقراءة نافع[2]، كما أجازه الإمام محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1631م)، الذي وصفه بالفقيه الفاضل الأريب، كما أجازه العالم علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري المصري (ت1066هـ) سنة 1028هـ، في كتاب الشفا للقاضي عياض ومختصر خليل للعلامة خليل بن اسحاق، وقد كان شيخنا عبد الكريم التمنطيطي التواتي سفيرا لشيخه قدورة الجزائري إلى بلاد التكرور لملاقاة فقيه بلاد السودان أحمد بابا التنبكتي (ت.1036)[3]

وبفضل مكانة الشّيخ زكاه فقهاء توات لتولي رئاسة المحكمة الشّرعية سنة 1022هـ/1613م[4]، فكانت سيرته محمودة في القضاء، ومع ذلك فقد كره العمل في القضاء، وله كلمة مشهورة في تولي القضاء: "لأن أعمل جزارا أحب إلى من صناعة القضاء والنظر في أمور المسلمين"[5]،

- تراث الشّيخ عبد الكريم التّمنطيطي البكراوي:

---

[1] عبد الكريم بن محمد البكري، **رحلته في طلب العلم**، دراسة وتحقيق، عبد الحميد البكري، دار الغرب للنشر والتوزيع، (ب ت)، ص 51.

[2] عبد الرحمان هدي، المرجع السابق، ص 25.

[3] عبد الرحمان بلاغ، **العلم والعلماء في رحلة عبد الكريم بن محمد البكري التمنطيطي (ت1042هـ/1632م)**، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس، جوان 1017، جامعة بشار، ص 72.

[4] كان تعين الشيخ قاضيا في توات سنة 1020هـ، في حكم الثائر الشيخ ابن أبي المحلي (ت 1022هـ) لما ثار على السعديين سنة 1019هـ، وانتصر عليهم، واستولى على سجلماسة وجاءته الوفود ومنهم الفقيه الجزائري سعيد بن إبراهيم قدورة، وهنا زار الشيخ عبد الكريم مراكش، وأهداه ديوانه الشعري وجزاء من خطبته النثرية التي كان يحرض بها العامة على الملك زيدان، للمزيد أنظر: **عالم توات الشيخ عبد الكريم البكري رحلته في طلب العلم**، ص 37.

[5] عبد الكريم بن محمد البكري، المصدر السابق، ص 45.

إنّ المُتمعّن في التراث الذي خلف الفقيه وعالم توات يدل على رسوخه في العلم، ومطّلع على رحلة الشّيخ أو فهرسته العدد الهائل من العلماء الذين أخذ عنه العلوم بالسّند، والتي منها إجازة أحمد بن محمد المقري التّلمساني (ت1041هـ/1631م)، وإجازة العالم علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري المصري (ت1066هـ) سنة 1028هـ، في كتاب الشفا للقاضي عياض ومختصر خليل[1]،

وأهم مؤلفات الشّيخ هي:

ـ **غاية الأمل في إعراب الجمل** وهو شرح على جمل ابن المجراد[2]

ـ **شقائق النّعمان فيمن جاوز المائة بزمان:** وهو عبارة عن قصيدة على بحر الرجز[3].

ـ **تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز:** وهي رحلة حجية تحدث فيها عن رحلته وأهم الأحكام الفقهية المتعلقة بالحج[4].

ـ **سفينة النجاة بأهل المناجاة:** وهي قصيدة مجربة لقضاء الحوائج

ـ **الرحلة في طلب العلم:** وهو عبارة عن فهرسة ألف الشيخ على طلب من تلامذته، ذكر فيها رحلته في طلب العلم وأسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم طوال حياته العلمية.

---

[1] عبد الرحمن بلاغ، المرجع السابق، ص73.

[2] ابن المجراد هو الفقيه المحدث النحوي الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمران الفزاري، عاش في مدينة سبة ثم انتقل إلى مدينة سلا، توفي الشيخ عام778هـ، أما مؤلفه لامية ابن مجراد فهي مكونة من واحد وسبعين بيتا على بحر الطويل، وهي في الجمل وما يتعلق بها؛ للمزيد أنظر، عبد الرحمن هدي، المرجع السابق، ص 06.

[3] عبد الرحمان هدي، المرجع السابق، ص .34

[4] عبد الرحمن بلاغ، المرجع السابق، ص 73.

ـ **النشر الدارِيني في اختصار الدماميني:** وهو اختصار للعيون الغامزة على الخفايا الرامزة على خزرجية للدماميني (ت827هـ).

ـ **مختصر حاشية اللقاني على ابن حاجب:** اختصره بأمر من شيخه سعيد قدورة الجزائري.

ـ **حضور الفرج في اختصار الأرج:** أو كشف الحرج بتعجيل الفرج لخصه الشّيخ مـــــــــــن كتـــــــــــاب «**الأرج للسّـــــــــــــــــــــــــــيوطي**"[1]

[1] عبد الرحمن هدي، المرجع السّابق، ص 35.

الفصل الثالث

مساهمة علماء مالكية المغرب الأوسط في الحركة العلمية والثقافية في بلاد السّودان الغربي

المبحث الأول:

المذهب المالكي في بلاد السّودان الغربي - الدخول والانتشار والتثبيت

المبحث الثاني

: الاسهامات العلمية والثقافية لعلماء المغرب الأوسط في بلاد السّودان الغربي

المبحث الثالث:

ازدهار الحركة العلمية والثقافية في بلاد السّودان الغربي (تأثير وتأثر)

المبحث الأول: المذهب المالكي في بلاد السّودان الغربي (الدخول – التطور – التثبيت)

يعتبر مذهب الإمام مالك –رضي الله عنه– من أهم المذاهب الفقهية التي حظيت بقبول العامة والخاصة في السودان الغربي؛ لما يتمتع به من خصائص ومميزات فريدة لا تتوفر في غيره، وقد أخذ ينتشر منذ أواسط القرن الثاني الهجري في العالم الإسلامي عامة والغرب الإسلامي خاصة، واستمر في الانتشار بعد القرن الثاني الهجري إلى أن وصل إلى السودان الغربي مع منتصف القرن الخامس الهجري بسيطرة المرابطين على المنطقة، وتوطدت أركانه ودعائمه فيها، وبذلك غلب مذهب مالك على الحجاز والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان، لتأتي مرحلة نضوج وتكوين المدرسة الفقهية السودانية التي غعتمدت كثير على تراث المغرب الإسلامي.

المطلب الأول: دخول المذهب المالكي وتطوره في بلاد السّودان الغربي

لقد أسلفنا سابقًا إلى أن بداية دخول الإسلام إلى منطقة السّودان الغربي كان خلال العلاقات الحضارية بين حواضر شمال الصّحراء الكبرى، والمتمثلة في بلاد المغرب الإسلامي، بعد القرن الثاني للهجرة ازداد نشاط التجارة وتوسع التّجار المسلمون في مختلف المراكز التجارية السّودانية، وتوغلوا في دواخل إفريقيا، وكانت نتيجة هذا النّشاط التّجاري أن ازداد انتشار الإسلام، ووصول الفرق الإسلامية المتعددة إلى بلاد السّودان الغربي.

تشير المصادر التّاريخية التي كتبت عن تلك الفترة، أنّ أولى المذاهب التي وصلت إلى بلاد السّودان الغربي، كان المذهب الإباضي، فخلال القرون الأولى الهجرية سيطرت الجماعات الإباضية والصّفرية على الطّرق التّجارية التي تربط المغرب الإسلامي مع بلاد السّودان الغربي والأوسط، فالرّحالة الجغرافي ابن حوقل يصف لنا التّجارة من سجلماسة إلى حواضر السّودان، بتجارة الرّائجة، وفي المغرب

الأوسط المُمثل في الكيان السّياسي وهي الدّولة الرّستمية التي لها علاقات تجارية وسياسية متينة مع ممالك السّودان الغربي[1]،

نحن نعلم حقيقة الصّراع الذي كان بين أهل السّنة والجماعة والمذاهب المختلفة، وهذا ما يفسر الفتوى التي جاءت في رسالة أبي زيد القيرواني (ت386هـ/966م)، بأنّ أرض السّودان الغربي أرض عدو ولا يمكن التّعامل مع أهلها، محاولين ضرب المصالح الاقتصادية والتجارية للجماعات الإباضية[2] ، و هو ما تُؤكده المصادر الإباضية، فقد أورد لنا المؤرخ الشماخي أنّ زوال المذهب الإباضي كان بسبب نشاط المخالفين[3]، وكان يقصد بهم المالكين خاصّة بعد حركة المرابطين، هذا النّشاط في حقيقته لم يكن صراع بالمعنى الحقيقي، وإنّما كان صراعًا سلميًا متعايش، إذْ أن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن العداوة بين الإباضية والمالكية في بلاد السودان الغربي، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية المالكية عن حروب بين الطرفين.

ثم إنّ الرّحالة الجغرافي الشّريف الإدريسي يعطي لنا وصفًا دقيقًا لظاهرة التّعايش السّلمي فهو يذكر، أنّ الإباضية تجار من ورجلان يتجولون في السّودان إلى غانة وهم وهبية إباضية[4]، فهم يتجولون بكل أريحية في سلم وأمان، ومن هنا نستشف أنّ كلا الطرفين كان يطمح في توسيع دائرة مذهبه بالتجارة والتقرب من السلاطين بغية اعتناق مذهبهم وبتالي سيادة المذهب بقوة السياسية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن المذهب المالكي كذلك وصل إلى بلاد السودان الغربي خلال

---

[1] حول موضوع علاقات الحضرية بين الدولة الرستمية وممالك السودان الغربي؛ **أنظر:** جودت عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007، وأنظر الفصل الأول.

[2] مسودي خالدي، **المذاهب الإسلامية في ممالك السودان الغربي**، العدد:01، السنة 2019، المجلد 33، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، ص 683.

[3] الشماخي، **كتاب السير**، المصدر السابق، ص 157.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ص 296.

القرون الأولى الهجرية، فقد جاء في نوازل الونشريسي، نازلة[1] أفتى فيها الفقيه القيرواني أبو الحسن القابسي (324هـ/1021م)[2]، التي تعطي لنا دليلا على اكتساح الفقهاء المالكية بلاد السّودان الغربي مبكرا، وهناك دليلٌ ثان يفيدنا في هذا الطرح وهو فتوى تدور حول نزاع بشأن ميراث تاجر من إفريقية توفي في بلاد السودان الغربي دون أن يترك وصية، من هذه الإشارات توضح لنا أن المذهب المالكي وصل إلى بلاد السودان الغربي في البداية القرون الهجرية الأولى إلا أنه كان ضعيف الانتشار لأسباب، منها وأهمها سيطرت دولة الرستمية في المغرب الأوسط وجنوب المغرب الأدنى (جبل نفوسة) على مختلف الطرق التجارية، وفي المغرب الأقصى دولة سجلماسة الصفرية التي هي الأخرى استحوذت على طرق إلى بلاد السودان الغربي[3]، وهذا حدا من نشاط التجارة للتجار المالكية إلى بلاد السودان الغربي.

---

[1] نص النازلة: سئل القابسي عمن دفع إلى رجل قرضا ليمضي به إلى ناحية تادمكة وهي بلاد السودان وشهد الشهود، فسافر إلى تادمكة ومنها إلى غانة وأود غست، وتأهل هنالك وولده له، وأقام عشرة سنة من يوم خروجه من البلد أخذ فيه المال، وعلى هذا العامل ديون باع القاضي فيها ماله ليقسمه بين الغرماء فقام من له حق القيام بهذا القرض هل يضرب له مع الغرماء؛ أنظر الونشريسي، ج9، ص 116.

[2] هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بالقابسي، من كبار الجماعة المالكية في حاضرة القيروان خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، كان مشهورا بعلمه الفقه، ومن بين شيوخه الفقيه العلامة محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، اشتهر القابسي في علم الحديث والفقه وعلم الكلام، وله مؤلفات عديدة أوردها ابن فرحون في سبعة عشر عنوانا، وانتهت إليه الرئاسة المذهب المالكي في القيروان؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص 111.

[3] بن الحاج ميلود، **العلاقات التجارية ما بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي (160-962هـ/776-1554م)**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 1، العدد1 يناير 2020، ص 198.

1-دور قبائل صنهاجة[1] (المرابطون) في نشر المذهب المالكي في بلاد السّودان الغربي

بدأ انتشار المذهب المالكي بقوة في بلاد السودان الغربي منذ القرن الخامس الهجري مع ظهور حركة المرابطين[2] الإصلاحية، فالدعوة الإصلاحية التي قادها عبد الله بن ياسين (ت451هـ/1059م))، بإنشاء الربطات مع الزعيم السياسي يحي ابن إبراهيم الجدالي (ت1048م)، فقد تلقى هذا الشيخ الفقه المالكي على يد شيخ المذهب المالكي بالقيروان أبا عمران الفاسي (ت430هـ/1039م)[3]، وخلال الرحلة

---

[1] ينتسب **الصنهاجيين** إلى ولد "**صنهاج**"، وهي كلمة أصلها "**صناك**" بالصاد المشملة والكاف القريبة من الجيم، فلما عربها العرب زادت الهاء بين النون والألف فصارت الكلمة "**صنهاج**" ثم أضافوا لها تاء الجمع فتحولت إلى صنهاجة، ولصنهاجة بطون عديدة حيث تعتبر أكبر القبائل البربرية عددا وانتشارا، وفي هذا يقول ابن خلدون: "لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن من بطون...حتى زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر"، وهي تنقسم إلى قسمين كبيرين: صنهاجة الشمال وأهم بطونها بالمغرب الأوسط **(تلكاتة، مزغنة، بجاية، مليانة، بطيوة، ونوغة، صنهاجة)**، القسم الثاني صنهاجة الجنوب وهي التي استوطنت الصحراء وهم الذين يعرفون بالملثمين؛ للمزيد أنظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ...، المصدر السابق، ج6، ص152؛ مبارم ميلي، المرجع السابق، ج2، ص215؛ أبي العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج2، 362.

[2] المرابطون: وهي قبائل **لمتونه ومسوفة وجدالة**، وقد اتخذوا اللثام شعارا لهم يميزهم عن باقي قبائل المغرب، ويعتقدون الفم سوءة تستوجب الستر كالعورة، فلا يتركون اللثام ليلا ولا نهارا أو في حال من الأحوال، بل إنهم لا يعرفون بعضهم البعض إلا باللثام، ويذكر ابن خلكان أن اتخاذهم اللثام كان سنة لهم يتوارثونها خلفا عن السلف...؛ **للمزيد أنظر**: عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408، ص29؛ البكري، المصدر السابق، ص 170 ؛ ابن حوقل، **صورة الأرض**، المصدر السابق، ص 99؛ مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**..، المصدر السابق، ص 28 .

[3] أبا عمران الفاسي، هو الفقيه المالكي أبو عمران بن عيسى بن أبي الحاج الغفجومي المعروف بأبي عمران الفاسي، ولد العلامة في مدينة فاس سنة 356هـ/976م، وتوفي بالقيروان سنة 430هـ/1039م، يعد الشيخ من أعلام المذهب المالكي، والعقل المدبر لقيام الدولة

الحجية ليحي بن ابراهيم الجدالي سنة (427هـ/1035م) وطلب من الشيخ أن يرسل معه تلميذا يعلم القوم في الصحراء الدين الإسلامي الصحيح[1]، وبعد أن آلت رئاسة القبائل الصنهاجة إلى قبيلة أكدالة في عهد يحي ابن إبراهيم لجدالي،

في سنة425هـ[2]، ذهب إلى الحج[3]، و في طريق عودته مرّ بمدينة القيروان التي كانت العاصمة العلمية في المغرب الإسلامي، وحضر مجلس الفقيه أبي عمران الفاسي (شيخ المذهب المالكي آنذاك)، وأعجب الشيخ بالأمير يحي لما لمسه فيه من حب للخير وحرصه على العلم الصحيح، فسأله عن بلاده ومن فيها من الخلق وعما ينتحلون من مذاهب، فأخبره الأمير يحي بأنه" **ليس منهم من يقرأ القرآن ويدرسهم العلم، ويفقههم في دينهم ويدعوهم إلى العمل بالكتاب**"[4]، و بعد أن رفض تلامذة الشيخ أبا عمران الفاسي المهمة، أرسلهُ إلى الفقيه وجاج (وكاك) بن زللو اللمطي (ت 445هـ/1054م)[5]، لينتدب له أحد تلامذته إلى الصحراء ،

المرابطين؛ للمزيد أنظر: قاض عياض، **ترتيب المدارك** المصدر السابق، ج2، ص 280؛ ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار أفريقية** وتونس، المصدر السابق، ص 101؛ الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة علماء القيروان**، المصدر السابق، ص 34؛ مجموعة من المصنفين، **أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي**، دار الأمان للنشر والتوزيع،2010، الرباط، المملكة المغربية، ص 26 وما بعدها.

[1] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 122.

[2] ابن العذارى، المصدر السابق، ج1، ص 275.

[3] محمد علي الصلابي، **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، 2017، ص ص 15، 16.

[4] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 123.

[5] هو الشيخ محمد وكّاكْ بن زلُو بن أبي جمعة، وأصله من قبيلة "إداو سملالة، من أهل السوس بالأطلس الصغير، كما يسميه بعض المؤرخين بوجاج بقلب الكاف إلى جيم، ولقب وكاك الذي يشتهر به، معناه الفقيه العليم بالقرآن الكريم والفقه، أخذ العلم عن أبي عمران، ودرس في فاس وهنالك أدرك الفقيه أبي زيد القيرواني، توفي الشيخ سنة 445هـ/1054م، للمزيد أنظر؛ محمد المختار السوسي، **المعسول**، المرجع السابق، ج11، ص38، ابن الزيات

ليعلّم صنهاجة الصّحراء أمور دينهم، فكان: عبد الله بن ياسين، وقد لقي قبولاً في بداية أمره، ليضيقوا به ذرعًا بعد ذلك ، فقرّر أن يرحل إلى السّودان، فأشار إليه الأمير يحي أن يذهب إلى مكان ناء عن القوم[1]، نزل الفقيه عبد الله بن ياسين في منحنى نهر "**النيجر**" على مقربة من تنبكتو[2]، أو كما يُسمّى بالجزيرة[3] وأسّس فيه رباطه حتى اجتمعت حوله ألف رجل[4]، ويُشير البكري أنّ الفقيه عبد ابن ياسين خرج مستخفيًا من بين قبائل كدالة لما ضاقوا به ذرعًا، وتوجّه شمالاً إلى شيخه وكاك بن زللو، فأرسل هذا الأخير رسالة يذكر فيها كدالة لما ظهر منهم في بداية الأمر من قبول واستحسان لتعاليم الدين وتقدير أهله وعاتبهم على فعلهم، ووعدهم بالقتال لأنّهم خارجون عن الجماعة، وبعد عودته بدأ ابن ياسين في قتالهم حتى استولى على الصحراء[5].

يقول المؤرخون أنّ الأفارقة من أهل غرب إفريقيا أن الإسلام وصل إلى حوض النهر السنغالي بُعَيد وصوله إلى الشمال الإفريقي بزمن يسير، ومؤرخو شمال وغرب إفريقيا الإسلاميون لم يختلفوا في أن عبد الله ابن ياسين مؤسس حركة المرابطين كان قد التجأ إلى جزيرة في السنغال بعد أن رفضه البربر الذين كانوا أصلا سبب مجيئه إلى اقليم الغرب الأقصى من شمال إفريقية لدعوتهم ولتعليمهم

يوسف ابن يحي التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق، عمر علي، مكتبة الثقافة الدينية، 2007، المغرب، ص73.

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408، ص 68.

[2] محمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، القاهرة، 1964، ص 302.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 70.

[4] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 125.

[5] نفسه، ص126؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص375.

أمور دينهم وتثقيفهم أصول شريعة هذا الدين[1]، اغتنم الزعيم اللمتوني أبو بكر بن عمر (480هـ/1087م)، من سفره من المغرب ومر بأغمات وريكه فاصطحب منها أربعة علماء هم: الامام أبوبكر محمد بن حسن الحضرمي (ت489هـ) دفين آزوكي[2]، وإبراهيم الأموي، وعبد الرحمن بن أبي بكر الركاز جد تركز وعبد الله جد الزينبيين[3]، حيث أنهم قاموا بتأسيس عدد من الأربطة والمدارس لتعليم أهل الصحراء ودعوتهم للإسلام السني الصحيح، من هذه المدراس المبتدأ يمكن القول إن النواة الأول للمدرسة الفقهية المالكية في بلاد السودان الغربي هي هذه الربطات التي رأسها رباط عبد الله ابن ياسين.

لم يمر إلاّ وقت قصير حتى عمّ الإسلام السّني[4] معظم المناطق التي دخلت تحت سيطرة المرابطين، وباتت مدن ولاته وأودغست واوزكي وتشيت وودان وشنقيط و وتينكي مراكز كبرى لدراسات الفقهية[5]، يتحدث البكري عن مدينة أودغست باعتبارها مدينة ضخمة و كبيرة آهلة بها جامع ومساجد عديدة آهلة في جميعها

---

[1] عمر محمد صالح الفلاني، **الثقافة العربية والإسلامية في غرب إفريقيا**، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2015، جدة، ص 58.

[2] عاش هذا الفقيه خلال القرن 5هـ، وتوفي سنة 489 ودفن بأزوكي 7 كلم من أطار، كان من أشهر علماء المرابطين، جاء به أبو بكر بن عمر من المغرب إلى صحراء الملثمين، له تآليف قيمة منها: كتاب التحبير في الأصول، كتاب الإشارة في تدبير الإمارة، كتاب أرجوزة الكبري في الاعتقاد، أرجوزة الصغرى في الاعتقاد، رسالة في السياسة وآداب الإمارة؛ أنظر؛ محمد عبد الله ولد المصطف، **من أبرز علماء شنقيط**، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، إدارة الثقافة والفنون، د ط، 2013، ص 5

[3] خليل النحوي، **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، مكتبة المنتدى الإسلامي، تونس 1987، ص 65.

[4] المقصود بالإسلام السني، هو ذلك الاسلام الصحيح الذي لا تشوبه عقائد الوثنية او ديانات أخرى؛ **للمزيد أنظر**: محمد شقرون، **الإسلام واحد ومتعدد (الإسلام الأسود)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2007، بيروت، ص 32 وما بعدها.

[5] ولد سالم حماه الله، **الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى**: دراسات ومراجعات، دار الكتب العلمي، 2010، ص 45.

بالمعلمين للقرآن الكريم[1]، ويشير أحمد بن طوير الجنّة أنّ مدينة "ودان" أصلاً تأسّست لتكون مركزًا من مراكز العلم، وأشار أنّ فيها أربعين بيتًا لكل بيت عالم ضليع[2]، كما أنّ الرّحالة ابن بطّوطة حين مرّ على ولاته سنة 753هـ/ 1352م شاهد كثرة مدارس العلم وطلبة[3].

أسفرت الدعوة الإسلامية المالكية في ربوع السّودان الغربي، إلى دخول شّعوب السّودان الغربي تحت الدّعوة المالكية، مثل شعب التكرور الذي عمل على متابعتها ونشرها، وهم بدورهم كوّنوا دعاة لنشر الدّعوة المرابطية السّنية أو الإسلام الصّحيح بين القبائل المجاورة من الولوف والماندنجو والفلوبي، ونشروا المدارس الإسلامية في السّودان الغربي، واستعانوا بالدّعاة من المرابطين في بلاطهم لتعليمهم الشّريعة والقراءة والكتابة، حتى أنّهم قلدوهم في ملابسهم[4]، وبإسلام شعب التكرور، عملت الدّولة المرابطية من ربط وتمتين الوحدة السّياسية والمذهبية بين الشّمال والجنوب[5] وخاصّة بإحكام السّيطرة على المنافذ التجارية والحواضر الصّحراوية خاصة أودغشت[6] وسجلماسة، وبالتّالي التّحكم في التّجارة الصحراوية[1]،

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص 355.

[2] الطالب أحمد بن طوير الجنة، **الرحلة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1982، ص 45.

[3] ابن بطوطة، المصدر السّابق، ص 661.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص 150.

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، **أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الإسلامي، 1991، بيروت، ص 34.

[6] أودغشت مدينة ضاربة في التاريخ، وهي بين وادي عامر بين جبلين، وتقع جنوب مدينة سجلماسة مسيرة خمسة عشر يوما، وهي مدينة كبيرة آهلة بالسكان؛ للمزيد أنظر: البكري، المصدر السابق، ص 355، الياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله)، **معجم البلدان**، دار الصادر، بيروت، 1957، ج1، ص ص 277-287.

نتج عن هذا التّوحد واستتباب الأمن داخل الدولة، وعبر الطّرق التّجارية من أقصى شمال القارة إلى مناطق الذهب بالسّودان، «**فكانت أيّامهم أيام دعة، ورفاهية، ورخاء متصل، وعافية وأمن**"[2]، لقد مثلت طبيعة المذهب المالكي الأداة الفاعلة لتمكّن الصّنهاجيين من الصّحراء وبين القبائل الصنهاجية، وحتى في السّودان الغربي، فطبيعة المذهب المالكي الذي هو بعيد كلّ البُعد عن أصحاب الكلام والمنطق، فهو يقوم على النّص والنّقل وعلى الأثر والرّواية، ولعلّها من أهمّ الخصائص التي جعلت المذهب المالكي يلقى قبولا واسعا في أهل الصحراء والسودان الغربي[3].

المطلب الثاني: دور ملوك السّودان الغربي في نشر وتثبيت المذهب المالكي

1-سلاطين مملكة مالي الإسلامية

تبدأ مرحلة الذيوع والانتشار للمذهب المالكي في بلاد السّودان الغربي بظهور مملكة مالي الإسلامية، التي قامت كقوة بعد انهيار مملكة غانة عام (600هـ/1203م) على يد قبائل الصّوصو، أصبحت مملكة مالي قبلة للتّجارة وخاصّة بعد اتّساع رقعتها الجغرافية واستتباب الأمن، ومن الوافدين إليها الفقهاء المالكية الذين دخلوا في الحياة السّياسية[4]،

جاء زمن الملك منسى موسى (712هـ/1337م)، عصر ازدهار المذهب المالكي، فمن خلال رحلته إلى الحج عام (724هـ/1324م)، مرّ على مصر ودخل على سلطان مصر النّاصر بن قلاوون (693هـ/1341م)، وطُلب منه أن

---

[1] بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ترجمة، الهادي أولقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، نبغازي، ليبيا، 1988، ص 135.

[2] ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 167.

[3] المصطفى يكبر، **المذهب المالكي في الصحراء والسودان الغربي**، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الأول، العدد الثالث، ص 180.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 1895.

يقبل الأرض في حضرة سلطان مصر فرفض وقال: "أنا مالكي المذهب لا أسجد لغير الله"[1]، وحرص على ملاقاة الفقهاء المالكية في مصر ودعم الصّلة بينه وبينهم، ومنهم القاضي المالكي فقيه المذهب وقت إذن، شرف الدّين أبو الرّوح عيسى الزّواوي (ت743هـ/1347م)، الذي انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في الديار المصرية[2]، ولم يفُته لقاؤه بالعالم محمد بن أحمد تغلب المصري المعروف بكشغندي[3]، وقد طلب منه أن يؤلّف له بعض شّروحات الطّليطلي[4]

كما اشترى أملاكًا وقفية لأهل التكرور في مصرّ مساعدة لهم على طلب العلم والتّفقه في مذهب مالك، كما أغدق الكثير من المال للأزهر الشّريف، وأسّس رواقًا فيه لطلبة العلم من أهل السودان[5]، ومن الذين استقدهم الفقيه أبو عبد الله الكومي الغدامسي اللّيبي ، الذي قال في رحلته مع الملك منسا موسى "**كنا نواكبه أنا وأبو اسحاق الطوجني دون وزرائه ووجوه قومه نأخذ بأطراف الأحاديث**"[6]،

هذا يدل على الصّفة المميزة لدى سلاطين السودان الغربي، إذ أن لتقريب العلماء و الفقهاء له دورٌ كبيرٌ في التّأثير على الحكام، من خلال التّمكين للمذهب

---

[1] السعدي، مصر السّابق، ص 7.

[2] ابن فرحون، **الديباج**، المصدر السابق، ص 283، سحر عنتر، المرجع السابق، ص 70؛ سفيان عابد، **مملكة مالي في عهد الملك منسي موسى (1312-1337)**، مجلة الدراسات الإفريقية بالجزائر، مجلد 3، العدد7، ماي2019، جامعة الجزائر 2 أبو قاسم سعد الله، ص 163.

[3] التنبكتي، **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص 47.

[4] حسن حلمي أبو الفضل، **السياسة الخارجية لمملكة مالي الإسلامية (597، 886هـ/1484،1200م)**، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2009، ص 80.

[5] الباز السيد أحمد، **الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي (مالي وصنغي) القرن (7/10هـ) (13/16م)** الدورية الإفريقية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ص ص 183، 184.

[6] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 311.

المالكي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السّياسية، فالرّحلة الحجية التي قادها الملك منسا موسى تُعد من أهمّ عوامل تثبيت المذهب المالكي، فمن خلالها جلب معه الفقهاء وأمّهات الكتب الدّينية خاصّة في الفقه المالكي، لتنشيط الحركة الفقهية والتعليمية، وأحضر معه المهندس المعماري أبا إسحاق إبراهيم، المعروف في بلاد الأندلس بالطويجني[1]، ومن عظيم أعماله بناء مسجد غاو، والمسجد الجامع بتمبكتو[2]، ولقد نتج عن هذا التواصل الرّوحي والعلمي بعد الرحلة الحجية، تمهيد طريق نحو بلاد المشرق الإسلامي، فقد سافر الكثير من علماء الماليين المالكيين لطلب العلم والتفقه في مصر، نذكر منهم:

العالم فاتح بن عثمان الأسمر التّكروري (ت795هـ/1395م)، وقد سُمي مسجد في مصر باسمه في دمياط[3]، وانتقل إلى مصر العالم الجليل راشد بن عبد الله التكروري (ت 766هـ/1364م)[4]، كما قدم إلى مصر العالم عبد العزيز التكروري[5]، قد استغل حكام مملكة مالي تلك العلاقة الودية في تنشيط الحركة العلمية، وتدعيم المذهب المالكي من خلال إرساليات الطلبة إلى حواضر الشّمال مثل إرسالهم إلى جامع القرويين[6].

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السّاحلي، ويلقب بالطويجني، ولد بغرناطة (الأندلس)، كان أديبا ومهندسا معماريا بارعا موهوبا، سكن مدينة تنبكت، توفي بها سنة 748هـ/1346م، للمزيد أنظر، سحر عنتر، المرجع السّابق، ص 72.

[2] الفانوس عمار سالم، **دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الإفريقي، رسالة ماجستير كلية الفنون**، جامعة بغداد، 2002، ص 179.

[3] المهدي رزق الله أحمد، **الحركة التجارة في الإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار ولآثارها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، 1998م، ص 729.

[4] نفسه، ص 729.

[5] السعدي، المصدر السّابق، ص 182.

[6] السعدي، المصدر السّابق، ص57.

مع هذا الذيوع للمذهب المالكي ظهرت معه حركة واسعة في بناء المدن الجديد الاسلامية و المساجد والمعاهد، التي هي بدورها ساعدت في استقطاب العلماء والفقهاء من أقاصي البلاد الإسلامية، يصف لنا حسن الوزان هذا المشهد فيقول: " **و لمملكة مالي مساجد كبيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد**"[1] ،

يفيد الرّحالة المغربي ابن بطوطة حول حركة الاستقطاب التي شهدتها مملكة مالي قائلا: " **وكنت كتبت قبل ذلك لجماعة البيضان، وكبيرهم محمد ابن الفقيه الجزولي من قبيلة جزولة و شمس الدين بن نقويش المصري...فوصلت إلى مدينة مالي حضرة ملك مالي...ووصلت إلى المحلة البيضان**"[2]، هذا القول لرحالة ابن بطوطة يفيدنا بمدى نشاط الحركة الفقهية في مملكة مالي، وخاصّة بعد توافد العدد الكبير من علماء المغرب الإسلامي أو من المشرق، حتى كان لهم أحياء خاصّة بهم ومسجد خاص، وخلال رحلته لقرية زاغري، وهي قرية يسكنها تجار السودان، ويسمون ونجراته، ويسكن معهم جماعة من البيضان الذين يتمذهبون على مذهب الإباضية، يسمون "**صغنغو**"،

أمّا الذين يتمذهبون على مذهب مالك من البيض يسمون بـ "نورى"[3]، ابن بطوطة نقل لنا هذا وهو دليل على التّعايش المذهبي الذي كان في مملكة مالي الإسلامية، فكُتب الرّحلة أو غيرها لم تنقل لنا أي صراع مذهبي في بلاد السّودان الغربي.

2-دور سلاطين الأساكي في خدمة المذهب المالكي

بعد مملكة مالي الإسلامية ودورها في خدمة المذهب المالكي، جاء الدور على مملكة سنغاي، وخاصّة خلال حكم أسرة "**الأساكي**"، فخلال حكم السّلطان

[1] حسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 539.

[2] ابن بطوطة، المصدر السّابق، ص 679

[3] نفسه، ص 665.

أسكيا محمد الكبير (898هـ/1582م)، الذي اشتهر بالورع والتقوى كما كان مراعيًا لحرمة الدين ملتزمًا باتّباع السّنة الصّحيحة، ونشر الإسلام السّني وجعله دينًا ودنيا، كما كان له اهتمام كبير وشغف فائق النظر بالفقهاء ومؤلفات الفقهية، ويأخذ برأيهم في جميع شؤونه[1]، "**كان يسأل العلماء عن سنة رسول صلى الله عليه وسلم ويمشي على أقوالهم في أمور الدين والدنيا**"[2].

تمثلت الرّحلة الحجية للأسكيا محمد عام (902هـ/1498م)، أثر بالغ الأهمية في تدعيم المذهب المالكي، إذ يصف الوفراني الأسكيا محمد بعد رجوعه من الحج قائلا: "...**فرجع إلى السودان فنصر السنة وأحيا طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال لسيرة العجم فصلحت الأحوال...**"[3]، كما قام بمحاربة القبائل الوثنية[4]، وقد أصطحب معه الأسكيا من الحج الفقيه الصالح "**مور صالح جو**" الذي كان له سفيرًا إلى دولة الموشى الوثنية، التي دعاه الفقيه المالكي إلى الإسلام فرفض ملكها[5]، ومن مظاهر تقريب فقهاء المالكية كان يستقبل الفقهاء القادمين من الحج، كما فعل مع الفقيه القاضي أبي البركات عند رجوعه من الحج عام (924هـ/1518م) كما قرب الأسكيا محمد الشّيخ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909/1509م)، وقد ألف الشّيخ المغيلي قوانيين وتشريعات مستمدة من المذهب المالكي[6].

---

[1] سحر عنتر محمد، المرجع السابق، ص 90.

[2] محمود كعت، المصدر السابق، ص ص 11-12.

[3] الوفراني (محمد الصغير بن الحاج عبد الله)، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، ط2، مكتبة الطالب، الرباط، ص 90.

[4] قام الأسكيا الحاج محمد في توسيع مملكته فأخضع مسينا وديارا وبلاد الموشي، وغزا أغاديس وبلاد الآير، أما جني فخضعت له طواعية، وفي سنة 1513 غزا بلاد التكرور واستولى علة منجم الذهب (غالام)؛ للمزيد أنظر، نور الدين شعباني، **محاضرات...**، المرجع السابق، ص 71.

[5] السّعدي، المصدر السّابق، ص 84.

[6] سحر عنتر، المرجع السّابق، ص 93.

سار الأسكيا داوود (913هـ/1582م)، مسيرة والده في حب العلم وأهله، حتى أنّ المصادر تذكر أنّه كان فقيهًا عالمًا حافظا للأحكام، فقد قرأ كتاب "**الرسالة**" لأبي زيد القيرواني، على يد أحد الفقهاء، وفي عهده انتشرت كتب المذهب المالكي بقوة نظرًا للأرضية الفقهية التي وضعها الأسكيا الحاج محمد الكبير، ومن حبّهم للفقهاء المالكية، هو ما كان شائعًا في العالم الإسلامي مثل طلب من الفقهاء الأتقياء تولية خطة القضاء ، فقد طلب الأسكيا داوود من الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر (ت976هـ/1568م) أن يتوسط له ويقنع كل من الفقيه محمد بغيغ وأخيه الفقيه أحمد بغبغ (ت 978هـ/1570م) أن يتولى أحدهما قضاء مدينة جيني[1]، وتذكر المصادر كثرة عطائه للقاضي المالكي العاقب (ت991هـ/1583م) فأعطاه مائة من الذهب وطلب منه أن يقسمها بينه وبين أهله وذريته وبين من يستحق[2].

من عظيم ما يذكر في حق هذا الخليفة الأسكيا داوود في تعظيمه للفقهاء المالكية أنّه كان شديد الاحتفاء بهم، ومن ذلك خروجه لاستقبال القاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو، حيث أكرمه كرما يليق بالعلماء[3]، وفي عهد الأسكيا إسحاق (1588م-1591م)) عرض خطة القضاء على الفقيه عثمان درم ليتولى خطة القضاء، وقد تولاها على مضض[4]، كما أصدر الأسكيا داوود مرسوم بتعيين الفقيه العاقب بن القاضي محمود بن عمر قاضيًا على تنبكتو بعد وفاة أخيه القاضي محمد بن محمود بن عمر سنة 973هـ، وعين الفقيه محمد جغيت (ت ق10هـ) خطيبًا لجامع مدينة غاو، وبعد تعين الفقيه محمود بن جابر سنة974هـ[5]، كما عُرف عن الأساكي حبهم للفقهاء المالكية، وهذا ما زاد في هجرة هؤلاء الفقهاء

---

[1] محمود كعت، المصدر السّابق، ص59،

[2] نفسه، ص ص 295، 296.

[3] سحر عنتر، المرجع السّابق، ص 205.

[4] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 90.

[5] التنبكتي، **نيل الإبتهاج**، المصدر السّابق، ج2، ص 111.

إلى بلاد السودان الغربي، ومن أشهر فقهاء الغرب الإسلامي الذي كان له دورٌ كبيرٌ في بلاد السّودان الغربي، الإمام عبد الكريم المغيلي التّلمساني، تظهر تأثيرات المغيلي جليّة في كثير من المجالات منها السّياسية والثقافية والاجتماعية[1].

في أواخر القرن العاشر وصل بلاد شنقيط أحمد الذّهبي قادمًا من تلمسان، وهو شريف من سلالة عبد الله التلمساني الذي ذكره الزّرهوني وكنون أنّه من أشياخ ابن عاصم، مرّ في طريقه إلى شنقيط بمراكش حيث لقي السّلطان مولاي إسماعيل (.1672-1727م)، ثم أقام في شنقيط فترة يُعلّم النّاس الفقه، وهو أوّل من درّس بها مختصر خليل وترك بها ولدين وعاد إلى مراكش وبها توفي، وانتشرت سلالته في موريتانيا[2]

المطلب الثالث: دور الفقهاء في تثبيت وخدمة المذهب

1-الفقهاء السّودانيين

بعد الدّور الذي لعبه ملوك السّودان الغربي في خدمة المذهب المالكي وانتشاره، أي وكأنّهم وضعوا الأرضية القوية للمذهب المالكي في التّثبيت، لتأتي بعده مرحلة قويّة وهي مرحلة الانتشار الواسع عن طريق الفقهاء وتآليف العلمية والدّروس وتوليهم خطة القضاء.

تميّز دور الفقهاء المالكين السّودانيين في ذيوع وانتشار المذهب من خلال توليهم المناصب العلمية وخاصّة المناصب التي لها علاقة مباشرة مع السّلطة الحاكمة، والتي لها الدّور الكبير في رسم سياسة الدّولة المذهبية، فكما هو معروف أنّ القضاء في بلاد السّودان الغربي يفتى بالمذهب المالكي، وقد كان تأثير فقهاء المالكية منهم السّودانيين والغير السّودانيين.

[1] للمزيد أنظر الفصل الثّالث.

[2] خليل النحوي، المرجع السّابق، ص 73.

كان للفقهاء دورٌ كبيرٌ في تثبيت المذهب المالكي في بلاد السّودان الغربي على عدّة مستويات، فعلى المستوى السّياسي كان لتدخلهم في السّلطة السّياسية وتمكنهم من وظيفة القضاء التي لها دور في نشر المذهب المالكي، بالإضافة إلى مناصب أخرى مثل؛ التدريس والفتوى الإمامة والخطابة.

-**القضاء:** تميز القضاء في العالم الإسلامي بأنّه السّلطة الأول في البلاد، فهو حكم الله عزّوجل في الأرض والسّلطان حاكم البلد نفسه يستمد الشّرعية من القضاة، كما أنّ القضاء حقّ من حقوق السلطان[1]، و كان القضاء المنصب الثاني بعد السّلطان وفي بعض الحالات المنصب الأول في البلاد، يتمّ تعين القاضي من طرف السلطان الحاكم الأعلى في البلد، ففي عهد الأسقيين كان الأسقيا يعين قاضي القضاة مثل ما حدث مع الفقيه محمود بن أبي بكر بغيغ عندما أجبره الأسكيا إسحاق على تولي منصب القضاء رغم رفضه للمنصب[2]، وعند شغور منصب القضاء في مدينة تنبكت بعد وفاة القاضي العاقب، أكره الأسقيا الحاج القاضي أبا حفص عمر بن محمود أقيت على تولي منصب القضاء[3].

كانت مهمّة القاضي في غاية الأهمية فمن خلال حكمهم بمذب مالك تعزز هذا المذهب وفرضوه على السّلطان، فالقاضي هو النّائب السّلطان في تنفيذ الأحكام الشّرعية، يفصل في كلّ الأمور الدّينية والدّنيوية، فيحكم في قضايا أحوال النّاس

---

[1] لعماري مرزوقلال، **الحياة الثقافية في مملكة سنغاي على عهد الأسقيين (899 – 1000هـ/ 1493 – 1591م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2009-2010، ص 67.

[2] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 134؛ أمطير سعد غيث، المرجع السّابق، ص 344.

[3] السّعدي، المصدر السّابق، ص 118.

مثل تسجيل المحررين من العيد والعتقاء وتقسيم التركات[1] وتوثيق العقود كقضايا الطّلاق والزّواج والميراث والدّيون والقروض والتّجارة والعقارات[2].

بالإضافة إلى ذلك فقد كان القاضي وليُ المساكين والفقراء والضعفاء يأخذ لهم الحق ويشرف على أرزاقهم فالأسقيا داوود كان: "...**يرسل للقاضي العاقب بن محمود كل عام أربعة آلاف صنية (صينية) ليقسمها على مساكين تنبكت...**"[3]، كما كان القاضي يجمع مع القاء وضيفة المحتسب من خلال إشرافه على مراقبة شؤون المدينة[4]، وله صلاحية تعين القضاة في المدن والأئمة والخطباء[5]، ولعلّ أكبر وظيفة كانت للقاضي والتي هي كانت من أسباب تثبيت المذهب المالكي وانتشاره هو إشرافه على العملية التّعلمية، فهم من كان يشرف بنفسه على تعين المدرسين الفقهاء المالكيين في المنطقة، ويبني المدارس ويحصي الطلبة ويشرف على بناء المساجد والمدارس القرآنية[6].

-**التّدريس:** يُعد التّدريس من بين العوامل التي نشرت المذهب المالكي وثبتته في البلاد السّودانية الغربية، فقد سار المدرسون على نفس طريق بلاد المغرب الإسلامي في تدريس المقررات على مختلف المراحل التّعلمية مثل مختصر خليل، موطأ الإمام مالك رضي الله عنه، التّسهيل لابن مالك، أصول السّبكي بشرح المحلي، ألفية العراقي، تلخيص المفتاح بشرح السّعد، عقائد الإمام السّنوسي[7]

[1] لعماري مرزقلال، المرجع السّابق، ص 71.

[2] عبد القادر زبادية، المرجع السّابق، ص 75؛ مبروك الدالي، المرجع السّابق، ص 136.

[3] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 115.

[4] عبد القادر زبادية، المرجع السّابق، ص 75.

[5] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 124؛ عبد القادر زبادية، المرجع السّابق، ص 77.

[6] مطير سعد غيث، المرجع السّابق، ص 337؛ عبد القادر زبادية، المرجع السّابق، ص 76.

[7] التّنبكتي، **نيل الابتهاج...**، المصدر السّابق ج 2، ص600.

ورسالة أبي زيد القيرواني، ورجز المغيلي والشّفا للقاضي عياض[1] ونوازل الونشريسي[2].

-**الإمامة:** يُعتبر منصب الإمامة من أهمّ المناصب التي تولّاها علماء السّودان الغربي، ومهمة الإمام هي إمامة المصلين في الجامع يوميًا، وهو المنصب الذي من خلاله يرشح إلى منصب القاضي[3]، وبتأكيد أنّ من شروط الإمام هو العلم بمذهب مالك، وفي الاستوغرافية السّودانية يُكثر ذكر الإمام مثل: الإمام أند غمحمد الكبير[4]، الإمام أند غمحمد ابن الفقيه المختار النّحوي[5]، والإمام محمد بن أبي بكر كداد الفلاني[6].

2-دور فقهاء بلاد المغاربة

بعد مرحلة دور ملوك السودان الغربي في خدمة المذهب المالكي، يأتي يدور الفقهاء المالكية، في بداية كان أغلب الفقهاء من بلاد المغرب الإسلامي كان لهم الفضل في نشر المذهب المالكي عن طريق التأليف والتدريس والتجارة، ولقد أشار صاحب كتاب الفتاش إلى وجود عدد كبير من العلماء والفقهاء ذوي الأصول المغربية، قائلا: " فاعلم أن "شى" و"أسكي محمد" و"مور" هو "كار" جد أهل "موركير" وفقهاؤها كلّهم من أهل واحد، جميع من يلقب بـ "مي" و"كهيدع" ومنيك" و"ميهو" و"ميكغ" و"سيفر" و"ميتاحي" و"ميعي" و"ميور" و"شرع" واسم بلدهم "يد" وكل

---

[1] السّعدي، المصدر السّابق، ص ص 45-46.

[2] أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج**، المصدر السابق، ج2، ص 240.

[3] عبد الرحمن محمد ميغا، **دور علماء السودان الغربي في خدمة المذهب المالكي ونشره**، مجلة علماء الأفارق، المرجع السّابق، ص 263.

[4] عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص 148.

[5] نفسه، ص207.

[6] نفسه، ص 253.

من كان في هذا الإقليم أصلهم من المغرب من وعكري"[1]، ويضيف الأرواني بابير في كتابه "السعادة الأبدية" أنّه قد وجد بتنبكت وحدها مقبرة تضم حوالي خمسين شخصية تواتية جلّهم من حفظة المذهب المالكي[2]، كان دور هؤلاء الفقهاء من المغاربة في تثبيت المذهب المالكي وتوسيع دائرة الانتشار من خلال التعليم وتولي خطة القضاء، كما رحل كثير من الفقهاء السودانيين إلى حواضر العلم سواء في المشرق الإسلامي أو المغرب الإسلامي لطلب العلم والفقه .

كما لعب الإنتاج العلمي المالكي لعلماء المغرب الإسلامي دورًا كبيرًا في تثبيت المذهب في بلاد السودان الغربي، فمصادر التراث الفقهي المالكي الذي انتشر في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الأولى الهجرية كان له حضور قوي، وكيف وهو أساس الفقه المالكي، وقد تعدّدت سبل وصول أمّهات كتب الفقه المالكي إلى بلاد السّودان الغربي عن طريق الرّحلة العلمية أو الحجية، وعبر القوافل التجارية، التي كانت تجوب الصّحراء الكبرى على متنها علماء وفقهاء وطلبة علم ،مهنتهم التّجارة أو بيع الكتب ونسخها، ومن كتب التّراث الفقهي لمالكية المغرب الاسلامي نذكر:

-مدونة الإمام أبو سعيد عبد السّلام سحنون بن سعيد بن حبيب التّنوخي:
هي أصل علم المالكيين، وهي بَعد موطأ مالك[3]، قال عنها سحنون: "**إنّما المدونة**

---

[1] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 48؛ الأمين محمد عوض الله، **العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي والسنغاي**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، ص 179.

[2] الأرواني (مولاي أحمد بابير)، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تحقيق، الهادي مبروك الدالي، تقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، دار الكتاب الوطنية، 2001، بنغازي، ليبيا ص 123.

[3] أبي الوليد محمد بن أحمد رشد القرطبي، **المقدمات الممهدات-لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات**، تحقيق: محمد حجي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص ص 44-45.

من العلم بمنزلة أم القرآن تجزئ في الصلاة عن غيرها، ولا يجزئ غيرها عنها"[1]، فقد كان الفقيه أحمد بن عمر بن محمد أقيت يدرّسها لطلابه[2]، واشتهر الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت بقراءتها في مجالسه[3].

-**المعيار المعرب للونشريسي (ت914هـ/1508م):** لقد حضي هذا المؤلف "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**" لمؤلفه فقيه بلاد المغرب أبي العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي التّلمساني بمكانة رفيعة، فكان لهذا المؤلف دورٌ كبيرٌ في بلاد السّودان الغربي فقد سمع أحمد بابا التنبكتي المعيار من شيخه محمد بغبغ، حيث قال: "**سمعت بلفظه جامع المعيار للونشريسي كاملا وهو مجلد كبير**"[4]، لتنبكتي عمل عليه تمثل في ترتيب موضوعاته وأبوابه إلا أن هذا المؤلف في حكم المفقود[5]، كما ذكر السّعدي حضور هذا الكتاب بين طلبة الفقه قائلاً: "**فوجده ابنه عمر المنتبه وحده ساعتئذ فوق سطح يطالع كتاب المعيار للونشريسي في ليلة مقمرة..**"[6]

-**رسالة أبي زيد القيرواني:** تُعد "**الرّسالة**" للفقيه أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م) للملق بـ "**مالك الصغير**" من أشهر المؤلفات الفقيه انتشارًا، وهذا راجعٌ لسهولتها، وبساطة الأحكام رغم صغر حجمها إلا أنّها احتوت على أربعة آلاف مسألة مأخوذة من الأحاديث الصّحيحة[7]، وقد أكرم الله عزّ وجلّ هذا التّأليف

---

[1] قاضي عياض، ترتيب المدارك، المصدر السّابق، ج3، ص 300.

[2] عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص158.

[3] نفسه، ص 159.

[4] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص602.

[5] عبد الرحمان محمد ميغا، **الحركة الفقهية**، المرجع السّابق، ص 147، طاهر خالد، المرجع السّابق، ص 274.

[6] عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص238.

[7] أحمد بن محمد البرنسي الفاسي (الزروق)، **شرح زروق على متن الرسالة**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص25.

حيث انتشر انتشارًا واسعًا، وفي هذا يقول الدّباغ: "...**انتشرت الرسالة في سائر بلاد المسلمين، حتى بلغت العراق واليمن والحجاز والشام ومصر وبلاد النوبة وصقلية وجميع بلاد إفريقية والأندلس والمغرب وبلاد السودان، وتنافس النّاس في اقتنائها حتى كتبت من ذهب...**"[1]، وقد ذكر السّعدي أهمية هذا المؤلف في مناهج التدريس في تنبكت، وأنّها أكثر الكتب التي يقرأها الفقيه محمود كعت، وقرأها مخلوف البلبالي على الفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت[2]، كما درسها الفقيه أحمد بابا التنبكتي على الفقيه محمد بغيغُ، وأحمد بن محمد بن سعيد سبط الفيه محمود بن عمر فقد حضر على جده المذكور "**الرسالة**"[3].

-**مختصر خليل بن إسحاق الجندي المصري المالكي:** يُعد هذا المؤلف المبارك من أشهر المؤلفات المالكية، فقد كثر عليه الشّروحات والحواشي وتعليقات والتقريرات في كل زمان ومكان، وفي هذا يقول أحمد بابا التّنبكتي: "**ولقد وضع الله سبحانه وتعالى القبول على مختصره وتوضيحه من زمنه إلى الآن، فعكف عليها النّاس شرقًا وغربًا حتى لقد آل الحال في هذه البلاد المغربية مراكش وفاس وغيرهما، فقلّ أنْ ترى أحدا يعتني بابن الحاجب فضلا عن المدونة بل قصارا هم الرسالة وخليل**"[4]، فقد عكف الفقيه أحمد بابا على شرحه وتقريبه للعامّة ولطلبه العلم[5]، ومن الذين عكفوا على شرحه الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت، وعنه انتشر إقراء خليل وقيد تقاييد وشرحها في سفرين[6]، ومنهم الفقيه صالح بن أند عمر المعروف "بصالح تكن" ألف شرحا على مختصر خليل[7]، أما أحمد بن محمد بن

---

[1] الدباغ، المصدر السّابق، ص 100.

[2] عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص160.

[3] نفسه، ص ص 173-175.

[4] أحمد بابا التّنبكتي، **نيل الابتهاج**، المصدر السّابق، ص .171

[5] نفسه، ص 171.

[6] عبد الرحمان السعدي، المصدر السّابق، ص ص171-172.

[7] البرتلي الولاتي، المصدر السّابق، ص 277، عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص 159-160.

سعيد درس مختصر خليل عن جده، وقرأ عليه الفقيهان أحمد ومحمد متن خليل، وله حاشية على مختصر خليل اعتمد فيه على البيان والتحصيل[1]، كما انتشرت المختصرات الفقهية للمؤلف مثل "**فتح الجليل في حل جواهر درر ألفاظ الشيخ خليل**" و "**جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر**"، وهاذين المختصرين لنا لهما منزلة خاصة في بلاد السودان الغربي[2] .

-**مختصر جمع الجوامع لعبد الوهاب بن علي تاج الدين السّبكي:** هو زبدة ما في شرحه على مختصر بن حاجب والمناهج مع الزيادات وبلاغة الاختصار، وهو في أصول الفقه والأحكام الشّرعية[3]، كان للمؤلف حضور قوي في المناهج الدراسية، وممن قرأه الفقيه محمد بغيغُ وأخو على والد أحمد بابا التنبكتي[4]، كما ذكر السعدي أنّ الفقيه أبو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن مختار أنّه لمّا تولى الفقيه محمد بن محمد كري الإقراء في مسجد سنكري قرأ عنه جمع الجوامع[5].

أ-نماذج من الفقهاء المغاربة ودورهم في نشر المذهب المالكي

-**عبد الرحمان بن محمد بن أحمد الطسّاني (ت960هـ/1553م)**، اشتهر الشّيخ بالتاجوري نسبة إلى تاجوراء من مدن طرابلس ويلقب كذلك بالعالم الميقاني[6]،

---

[1] نفسه، ص ص 173-174.

[2] عبد الحمان محمد ميغا، **الحركة الفقهية**، المرجع السّابق، ص147.

[3] طاهر خالد، المرجع السّابق، ص 380.

[4] أحمد بابا التنبكتي، النيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص601.

[5] عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص351.

[6] سبب تسميته بهذا هو مناظرة وقعت بينه وبين مفتي فاس العلامة محمود بن عبد الرحمن البسقيلني، وسببها هو اختلافهم في تحديد قبلة جامع فاس، وقد ألف التاجوري رسالة سماها: "**تنبيه الغافلين عن القبلة الصحابة والتابعين**"؛ للمزيد أنظر: امير غيث، الثقافة العربية الإسلامية وتأثيرها في السودان الغربي دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2015، ص331.

له رحلة إلى بلاد السّودان الغربي، تولّى في مدينة تنبكت التدريس الفقه، ثمّ رحل إلى مكّة المكرمة، وهناك لم ينسى بلاد السّودان فقد عكف على تدريس الطلبة السّودانيين مثل: أسد بن محمود بغيغ (ت987هـ/1570م)، وشقيقه الفقيه محمد بن محمود بغبغ (630هـ/1593م)[1].

-**محمد بن بدر بن محمود الفزاني (1037هـ/1628م)**، من فقهاء طرابلس رحل إلى بلاد السودان الغربي واستقر بتنبكت يدرس ويفقه الناس، قال عنه السعدي: "**وفي يوم الأربعاء وقت العصر السّابع والعشرين من رمضان توفي الأخ المحب الفاضل النافع الفقيه محمد بن بدر بن محمود الفراني**"[2]

-**الفقيه عبد القادر بن يوسف الفاسي (ت1091هـ/1680م)**، سليل الأسرة الفاسية المعروفة بالعلم والثقافة، وهو حفيد العلامة أبي المحاسن يوسف الفاسي (كان حيا سنة 1005هـ)، أشتهر الشيخ عبد القادر الفاسي بعلمه الغزير وورعه، سافر إلى بلاد السّودان الغربي حيث اعتلى منابر تنبكت وتربع على مجالسها للتعليم، تخرج عليه كثير من فقهاء العصر نذكر منهم الفقيه أبا بكر محمد بن محمد[3].

-**الفقيه أحمد بن الشيخ محمد الرقادي الكنتي (ت1063هـ/1653)**، هو الفقيه أحمد بن الشيخ محمد الشهير بالرقاد ابن الشيخ أحمد المعروف "**بالفيرم**" اشتهر الشيخ بنبوغه منذ الصغر، أسس الشيخ زاويته الشهيرة بتوات، وكان له نشاط واسع بالسودان الغربي من خلال تأسيس مدرسة وزاوية يتم فيها تدريس العلوم الشّرعية بحاضرة تنبكت[4]

---

[1] السّعدي، المصدر السّابق، ص 119.

[2] نفسه، ص 245.

[3] أمطير غيث، **الثقافة الإسلامية...**، المرجع السّابق، ص ص 135 – 136.

[4] سالم بوتدارة، **الرحلات العلمية التواتية نحو بلاد الساحل الافريقي وإسهاماتها العلمية**، مجلة آفاق الفكرية، مجلد 4، عدد خاص، 2018، ص 77.

-**سيدي يحي التّادلي (ت866هـ)**، ينتسب الشّيخ يحي التّادلي إلى عائلة علم وصلاح الشّرفاء الحنيين، قدم إلى تنبكت في أوائل دولة الطوارق على عهد حاكمها "كيْ محمد نضْ" الذي رحب بالشّيخ وجعله إمامًا للمسجد الذي كان يحمل اسم أحد العلماء المغاربة[1]، قدم التادلي الكثير لبلاد السودان الغربي فقد تخرج على يديه الكثير من العلماء مثل: الفقيه الصّالح عمر بن محمد أقيت الصّنهاجي جد أسرة أل أقيت العلمية الشّهيرة، والعالم القاضي أندغ محمد الكبير وولده المختار النّحوي[2].

المبحث الثاني: الإسهامات العلمية لعلماء المغرب الأوسط في بلاد السّودان الغربي

المطلب الأول: العلوم الشّرعية

1-في العقيدة الأشعرية

أصبحت بلاد المغرب الإسلامي حاضنة العقيدة الأشعرية، والتي لا تنفك عن المذهب المالكي وفي هذا يقول الإمام السّبكي: "...**وهؤلاء الحنفية والشّافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة، في العقائد يد واحدة، كلهم على أهل السنة والجماعة، يدنون الله تعالى بطريقة شيخ أبي الحسن الأشعري[3] رحمه الله، لا**

---

[1] عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص 50.

[2] البرتلي الولاتي، المصدر السّابق، ص ص 217-218، عبد الرحمان السعدي، المصدر السّابق، ص29.

[3] أبي الحسن الأشعري: هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري وكنيته أبو الحسن، ذكر الشهرستاني وابن عساكر والبغدادي أنه ينتسب إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، أحد الحكمين في موقعة صفين.

ولد أبو الحسن الأشعري سنة260هـ وقيل 270هـ، قال عنه ابن عساكر: "**وهو بصري، سكن بغداد إلى أن توفي بها سنة324هـ، تتلمذ على يد مشايخ العصر منهم أبي علي** الجبائي(ت303هـ) شيخ المعتزلة، وهنا أثرت المعتزلة في الشيخ إلا أنّ هذا لم يدم طويلاً حتى

يحيد عنها إلا رعاع من حنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية، فلم نر مالكيا إلا أشعري العقيدة"[1]، وعلى غرار المالكية في بلاد المغرب الإسلامي وغيرها كان مالكية بلاد السّودان الغربي تمشي في نفس الخط الفكري الأشعري، الذي كانت عليه بلاد المغرب الإسلامي في ثلاثية المكوّنة لهويّة المغرب الإسلامي، وهي "**المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية وطريقة الجنيد السّالك في التّصوف**"[2].

إنّ عدم تنصيص كتب التّاريخ على أشعريّة المجتمع السّوداني الغربي يرجع إلى بداهة هذا الأمر، فكلّ من هو مالكي المذهب يرتبط مباشرة بالعقيدة الأشعريّة وطريقة الجنيد السّالك[3]، إذ لم يعرف المجتمع السّوداني منذ القرن الثّامن الهجري غير عقيدة أبي الحسن الأشعري[4] بفهم علماء المغرب الإسلامي، وخاصّة ثورة التّجديد التي قادها الإمام محمد بن يوسف السّنوسي في علم العقيدة، إلا أنّه لا يمكن أن نتغافل عن الدّور الرّيادي الذي لعبته دولة المرابطين في تصحيحها للعقيدة

انفصل أبو الحسن عن الفكر الاعتزال، فألّف عدّة كتب في الرد عليهم منها: "**العُمدة**"، "**الردّ على المجسمة**"، **اللّمع في الرّد على أهل الزيغ والبدع**"، "**الإنابة عن أصول الدّيانة**"، "**مقالات الملحدين**"؛ للمزيد أنظر: هادي بن أحمد علي طالبي، أبو الحسين الأشعري بين المعتزلة والسلف، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية لنيل درجة الماجستير في العقيدة، كلية الشريعة بمكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1979م، ص 10 وما بعدها

[1] تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق، محمد علي نجار وآخرون، دار الكتاب العربي، منشورات جماعة الأزهر للنشر والتأليف، مصر، 1948، ص 75.

[2] مقدمة فتح الشكور، ص ص 10-11

[3] أبي محمد عبد الواحد بن عاشر، **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين (متن ابن عاشر)**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ص 05.

[4] عبد الرحمن محمد ميكا، **العقيدة الأشعرية في السودان الغربي**، العدد 2 السنة الأولى، 2020، مجلة العلماء الأفارقة، مجلة علمية تصدر عن مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، المملكة المغربية، ص 133.

السّلفية السّنية، التي تصب في بوتقة العقيدة الأشعريّة، و ينطلق الأستاذ الخليل النّحوي من أن بداية وصول العقيدة الأشعرية للبلاد السّودانية، هو مع وصول الإمام عبد الله بن ياسين، فهو قد أخذها عن شيخه وجاج بن زلو اللّمطي، (وهو أخذها عن الفقيه أبي عمران الفاسي (ت430هـ)، الذي أخذها هو بدوره عن مؤسّسها الحقيقي الإمام أبي بكر الباقلاني (ت403هـ)، فهذه البدايات الأولى التي ظهرت فيها العقيدة الأشعرية في صحراء بلاد السّودان الغربي[1]، وهكذا جعلوا للأشعريّة سندٌ متّصل السّلسلة فهيّ: عن عبد الله بن ياسين عن وجاج بن زلو عن أبي عمران الفاسي عن الإمام أبي بكر الباقلاني[2] عن أبي عبد الله بن مجاهد الطّائي صاحب الأشعري[3]، وهناك سند ثانٍ للأشعريّة في بلاد السّودان الغربي الذي هو عن طريق الإمام القاضي أبي بكر محمد بن الحسين الحضرمي المعرُوف بالمرادي القروي (ت489هـ)، فقد درس الشّيخ على يد علماء القيروان، ودخل الأندلس مرّات عديد، حتى أصبح من العلماء الجهابذة، وصار له تلاميذ ينقلون عنه بالأسانيد علومًا كثيرةً من بينها العقيدة، وفي هذا يقول التّادلي: "وكان المرادي أوّل من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى، فنزل أغمات وريكة، فلما توجّه أبو بكر بن عمر إلى الصّحراء حمله وولاه القضاء، فمات بأزكي من صحراء

---

[1] الشّيخ الطيب بن عمر بن الحسين، **السّلفية وأعلامها في موريتانيا**، دار بن حزم، بيروت، 1995، ص 230.

[2] هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني (ت403هـ)، عالم وفقيه ومتكلم على طريق أبي الحسن الأشعري، قال عنه القاض عياض: "هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته؛ للمزيد أنظر، جودي سلام الدين النشا، الإمام أبو بكر الباقلاني وآراءه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1989م، ص وما بعدها.

[3] محمد الداه أحمد، **القادرية في موريتانيا عرض ونقد**، ج1، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 113.

المغرب سنة تسع وثمانين وأربعمائة للهجرة فخلفه أبو الحجاج[1] في الاعتقادات، وكان آخر أئمّة المغرب فيما أخذ عن شيخه المرادي"[2]، ومن تأليفه نذكر: "**أرجوزة الكبرى في الاعتقاد**"، **الأرجوزة الصغرى في الاعتقاد**"، رسالة في السّياسة والإمارة، "**الإشارة في تدبير الإمارة**"[3]، وإذا كان هذا القول القائل بوصول العقيدة الأشعرية إلى حواضر السّودان الغربي، في وقت مبكر مع عبد الله بن ياسين كما وصل إليهم الفقه المالكي، فإنّ بعض الباحثين كالدّكتور الطّيب بن عمر بن الحسين، يرى أنّ ابن ياسين ليس أشعريًا خلافًا لما ذكر البعض، بل إنّ الانتشار الحقيقي للفكر الأشعري في بلاد السّودان الغربي إنّما كان بعد ظهور علماء أشاعرة في بلاد المغرب الإسلامي، وعلى رأسهم العلامة محمد بن يوسف السّنوسي، وفي هذا الصدد يقول الدكتور الطيب بن عمر: "**لقد كان لظهور محمد بن يوسف السّنوسي (ت895هـ) أثر بارز على ظهور الأشعرية في بلاد شنقيط، فقد اعتنوا بمؤلفاته في العقيد الأشعرية عناية خاصّة، فكانوا يستقصون في دراستها فيستوعبونها حفظًا وفهمًا ثم يقومون بنظمها وشرحها بعد ذلك**"[4]،[5]

---

[1] هو يوسف بن موسى الكلبي الضّرير (ت520هـ)، المتكلم النّحوي كان من زهاد وأهلها وكان لباسه الخشن من الصوف، وكان يختلف من مراكش إلى أغمات، قال عنه القاضي عياض: "كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار أهل العلم، قرأت عليه أرجوزته (الصغرى) في الاعتقاد، **للمزيد أنظر**؛ محمد الداه أحمد، المرجع السابق، ص ص 110-111.

[2] ابن الزيات التادلي، المصدر السّابق، ص 105-106.

[3] محمد الداه أحمد، المرجع السّابق، ص 114.

[4] نفسه، 230.

[5] مجموعة من المؤلفين، **من أبرز علماء شنقيط**، وزارة الثّقافة والشّباب والرّياضة، (د م ط)، 2013، ص05.

أصبحت مؤلفات الإمام محمد بن يوسف السّنوسي في العقيدة تجوب العالم الإسلامي، ومنها بلاد السّودان الغربي التي عكف فقهاءها وعلماءها على تدريس وشرح هذه المتون والمنظومات، حتى بعضهم قال: "**ويمضي سنين عديدة في إتقان تآليف الإمام السنوسي حتى لا يبقى عليه منطوق ولا مفهوم لبصير عندهم مؤمنا حقيقة، وإلا فإنه إذا كان لا يقدر على معرفة أنواع الصفات وتعينها بالألفاظ المتداولة عندهم فهو عرضة للكفر**"[1] وخير دليل هو وجود كمّ هائلٍ من المخطوطات في علم العقيدة تعود أثرها للإمام محمد بن السّنوسي الجزائري في مكتبات وخزائن بلاد السّودان الغربي.

-**امتدادات الفكر العقدي للإمام السّنوسي:** من بين العلماء والفقهاء الرّبانيين من أهل السّودان الغربي الذين اعتنوا عناية كبيرة بتراث العقدي لعلماء وفقهاء المغرب الأوسط نذكر ما جادت به كتب التاريخ.

-**محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التّنبكتي(ت1002هـ/1593م)**، حيث كان يدرّس العقيدتان الصّغرى والكبرى للإمام السّنوسي، وقد ذكره التّنبكتي في نيل الابتهاج بقوله: "...**شيخنا وبركتنا، الفقيه العالم المتفنن الصالح العابد النّاسك المفتي... لازمته أكثر من عشر سنين، فقرأت عليه بالفضي مختصر خليل وفرعي ابن حاجب، قراءة بحث وحقيق وتحرير، ختمتها عليه، أمّا خليل فمرارًا عديدة... وحضرت عليه التوضيح كذلك لم يفتني... وختمت عليه تلخيص المفتاح مرتين وبعض الثالث بمختصر السعد، وصغرى السنوسي مع شرح الجزرية، وحضرت عليه الكبرى وشرحها**"[2]. ولشيخ تأليف في العقيدة تحت مُسمى

---

[1] محمد ين سيدي محمد مولاي، **التّفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**، دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الإمام مالك، (د م)، 2008، ص 50.

[2] التّنبكتي، **نيل الابتهاج**...، ج 2، ص600.

«**منظومة في التّوحيد**"، وله تأليف تحت عنوان "**اللّطائف الأنسة على نظم العقائد السنوسية**"[1]كما له "**نظم صغرى السّنوسي**"[2]، جاءت في سبعة ورقات، الذي يبتدأ أوله بـ: "**بسم الله الرحمن الرحيم صل الله على سيدنا محمد نبيه وآلة وصحبه وسلم تسليما، قال الشيخ الفقيه المحقق المدقق النحوي الأصولي، أو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بغيغ تغمده الله، آمين، خطبة النظم...**"

يَحمدُ ربّه بخير الأحمـــد الونكري محمد بن أحمــد

مصليا على الرسول دائمــا وآله وصــحبه غمائمـــا

وبعدها عقدا من العقائــد نظمته خيرا من القلائـــد

نظمت فيه دررا نشـــــيره صغرى إمامنا بها شهيـــرة

شيخ الهدى إمامنا السنوسي الخاشع المخبت القــدوس

فالله نسأل القبول منـــــا ونفع حافظ وتال منـــــا

فالامتناع للعقول للعدم هو الوجوب كالامتناع ذي القدم

والاستحالة امتناع للوجـود عقلا فلا تـبادرن بالجحــود

---

[1] توجد منه نسخة بمكتبة الغازي خسرو بك بسراييفو تحم اسم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بغبغ الونكري السوداني التنبكتي (ت1020هـ/1611م)، تحت رقم 713، مجموعة 3357/1، وعدد أوراقها 17 ورقة، للمزيد أنظر: عبد القادر قوبع، أحمد بن مسعود، المرجع السّابق، ص 9.

[2] مؤسّسة محمد السّادس للعلماء الأفارقة، **مخطوطات في العقيدة الأشعرية بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية**، سعيد المغناوي، 09:05، 2021/08/15.

وآخرها:

فَمِنْ عَذَابِ رَبنا يَقينَـــــا يَا سَـامِع الدّعاءِ قُلْ آمِينَـــا

وَصَلينَ يَاربنَا وسَلّمَـا عَلَى رَسُولِ الله المُصطَفَى مُكرَّمَـــا

مَا ذَكَر ذكرُه وغَفَـــــــلا عَنْ ذِكْرِه غَافِلا وأَهْمَـــــــلَا

والأنْبياءُ وَالمُرسَلِينَ جَمْـعَا والطَّاهِرينَ آلِ كلّ أَجمَـــــعَا

وعَنْ جَمِيعِ صَحْبِهِمْ رِضْوانُ وتَابِعيهم وَلَهُمْ إِحْسَـــــانُ

وَالحَمْدُ للهِ عَلَى مَـــا أَولَى وَهُو حَسْبُنَا وَنِعْـمَ المَـــوْلَى

وللفقيه أحمد بابا التّنبكتي (ت1036هـ) شرح على الصّغرى للسّنوسي وشرح على البُرهانية.

- العلامة أعمر الولي بن الشّيخ محمد عبد الله (1004هـ/1070هـ) الولاتي عالم جليل وشيخ محضرة له نظم في التّوحيد[1]، وقصيدة في علم الكلام، ومقدمة في الفقه، وللشّيخ مراسلات مع الشّاب الشّاطر، وقد أخذ عنه العلامة محمد المختار بن بالعمش العلوي [2]، وقد ذكر لنا الفقيه محمد بن أبي بكر بن هاشم الغلاوي (ت1069هـ)، في إحدى فتاويه من أنّ أحد علماء المنطقة المتقدمين عليه في الزّمان من قبيلة أولاد ادليم ويسمى محمد عبد الله (ت995هـ)، قد شرح صُغرى

[1] لا نعلم إن كان هذا النظم على عقائد السّنوسي، لكن الاحتمال الكبير يكون نظمها على قواعد ومنطلقات السّنوسي.

[2] سيد محمد بن محمد عبد الله ولد بزيد، **معجم مؤلفين في القطر الشنقيطي**، (د س)،(د م) ، ص 15.

السّنوسي، وهذا الشّيخ كان ضليعًا في فن التّوحيد والعقائد راسخ القدم في تفريعاته، فقد رجّح القول بتعلق السّمع والبصر بالموجودات والمعدومات، ناقلاً ذلك عن بعض المتصوفة خلافًا لجمهور أهلّ السّنة والجماعة القائل بتعليقهما بالموجودات لا بالمعدومات[1].

ومن الفقهاء الذين لهم نظمٌ على عقائد السّنوسي، الفقيه الحاج ولد آغبدي (ولد 1065هـ)، وهو متبحر فريد بالمدونة والأمهات [2] ، ومن الفقهاء الغير السّودانيين الذين تأثروا بمؤلفات الإمام السّنوسي بشكل كبير، وكانت كتبهم محلٌ دراسة وتحقيق من طرف السّودانيين، نذكر على سبيل الإفادة الفقيه أبي عبد الله محمد الصّالح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي بكر بن سليم الأوجلي [3] الملقب بـ "**البلّيم**"، كان حيًا سنة (1092هـ)[4] ، وذلك حسب ما جاء في واجهة نسخة من "**شرح سبْك الجواهر في استخراج ما تضمنه قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله"** من عقائد، بعناية نزار حماد ي[5] ، الذي قال في مقدمتها أنّ الإمام الأوجلي قد نظم القضايا الإيمانية التي تضمنها قول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في قصيدة

---

[1] يحي البراء، **العلاقات الفكرية والروحية بين بلاد شنقيط والجزائر**، .http://www.almawqi.com

[2] مجموعة من المؤلفين، **من أبرز علماء شنقيط**، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، موريتانيا، د ت، ص 6.

[3] نسبة لـ "أوْجَلة" وهي مدينة ليبية تبعد حولي 400 كلم إلى الجنوب من العاصمة.

[4] يذكر الأستاذ سعيد المغناوي أن الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي بكر بن سليم الأوجلي الملقب بالبيلم، ورد في مخطوطات أنه توفي سنة1260هـ/1844م، لكن الراجع هو كما قال إنّه كان حيا سنة 1092هـ/1681.

[5] سعيد المغناوي، **التعريف بالمخطوطات الإفريقية (مخطوطات في العقيدة الأشعرية بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية بالنيجر)** مجلة علماء الأفارقة، العدد الثاني، السنة الأولى، 2020، مؤسّسة محمد السّادس، المملكة المغربية، ص 434.

لطيفة، حيث أنّه أشار إلى تسميتها بـ "**سبك الجواهر**" ثم شرحها شرحًا نفيسًا [1] ، وكما تقدّم أنّ الإمام السّنوسي قد عالج في شرحه للعقيدة الصّغرى (ذات البراهين)، قضايا الاعتقادية الشّرعية التي يجب على المسلم الإيمان بها، ونلاحظ أنّ الإمام الأوجلي قد أكثر النّقل عن السّنوسي في شرحه لمنظومته (سبك الجواهر) ومن ذلك قوله: "**إنّه بعد معرفتك اللّفظ بمعناها، وإكثارك من ذكرها وعدم الملل من فكرها، فحينئذ تنتظم في دائرة الأولياء الثقات، الذين سلكوا سبل النجاة في الدنيا والآخرة، وذلك بما يتفجر لك من كنز هذه الكلمة الشّريفة من بالأسرار الرّبانية والعجائب الرّوحانية، ما يحلي الله به بطنك من المعارف والأوصاف المحمودة فمنها الاختصاص بالزهد، ومنها التوكل ومنها الحياء، ومنها الغنى ومنها الفقر، ومنها الإثار على نفسه بما لا يذمه الشرع إلى غير ذلك مما ذكره الشيخ السّنوسي في شرحه من العجائب والكرامات، والله سبحانه أعلم** "[2] ،

للشّيخ العديد من المؤلفات في علم العقائد، ظهر جليًا فيها تأثير السّنوسي منها، شرح عقيدة الأوجلي وهي على منظومة المُسمّاة بـ "**دليل القائد لكشف أسرار صفات الواحد**، قال في مقدمتها: "**فقد تكرر عليّ السّؤال من إخوان كرام في أن أضع على منظومتي المُسماة بـ دليل القائد لكشف أسرار صفات الواحد، تعليقًا يبين مقصدها، ويتم فوائدها...ثم أجبتهم لما عسى أن يكون سببا لنجاتي...وسميته بـ "المزيد العائد على دليل القائد**"[3] ، ومن شراح عاقد السّنوسي

---

[1] محمد صالح بن عبد الرحمن بن سليم الأوجلي، **شرح السبك الجواهر في استخراج ما تضمنه قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" من العقائد**، بعناي نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس، ص 99.

[2] نفسه، ص 95.

[3] سعيد المغناوي، المرجع السّابق، ص 435

نذكر محمد بن أحمد بن عمر المعقلي الحساني الدّيلمي (كان حيًّا 1048هـ/1639م)[1].

-الامتدادات العقدية للإمام المقرّي في بلاد السّودان الغربي:

من فقهاء الذين اهتموا بمؤلفات الإمام المقري التّلمساني نذكر: العلامة ابن الأعمش (ت1695م)، حيث أنّه شرح منظومة المقري وسمّاها بـ "**فتوحات ذي الرّحمة والمنّه في شرح إضاءة الدّجنة**"، والدّليل أنّ ابن الأعمش في شرحه اعتمد مؤلفات الإمام السّنوسي، وكان يصفه بالشّيخ، يقول الشّارح: "...**معتمدا فيه على عقائد الإمام الولي الصالح الزاهد أبي عبد الله محمد بن يوسف رضي الله عنه، وهو المعبر عنه بالشّيخ في هذا الشّرح، إذ عليه المعول في غالب النّصوص، وربّما أوردت كلام عصريه الإمام أبي العباس ابن زكري رحمه الله حيث يكون للمطلوب كالفصوص...**"[2] وقد أخذ ابن الأعمش السّند من شيخه أبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد البو حسني الشّنقيطي، الذي زار الحرمين الشّريفين.

-الامتدادات العقدية للإمام أحمد بن عبد الله الزّواوي الجزائري: من أحسن ما ألف في علم الكلام والعقيدة الأشعريّة، تتكون هذه المنظومة من 400 بيت، ولها أسماء منها، "اللاّمية" و "**الجزائرية في عقائد الإيمانية**"، شرحها الإمام السّنوسي

[1] الطاهر خالد، **الثقافة الدينية المغربية وأثرها على أفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 16و17 الميلاديين**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2020/2019. ص333.

[2] يحي ولد سيدي أحمد، **العقائد التلمسانية بأقلام أفريقية**، ج6، دار المعرفة، ص 5، نقلاً عن: عبد القادر قويبع، المرجع السّابق، ص 8.

عالم العقائد من طلب من صاحبها، كما جاء في مقدمة كتاب "**منهج السّديد في شرح كفاية المريد**"[1].

وممّن درّسها في بلاد السّودان الغربي الفقيه محمد بغيغُ، وكان أحمد بابا من جملة ما ختمه على يده[2].

-جدول رقم (1): المخطوطات العقدية لعلماء الجزائر المحفوظة في خزائن بلاد السودان الغربي[3]

عنوان المخطوط	المؤلِّف	مكان وُجوه
العقيدة السّنوسية وشرحها	**محمد بن يوسف السّنوسي**	**مكتبة ماما حيدرة مالي**
العقيدة السّنوسي	**محمد بن يوسف السّنوسي**	**مكتبة ماما حيدرة مالي"**
مكتوب في التّوحيد	**أبوبكر بن موسى بن إبراهيم**	**مكتبة ماما حيدرة مالي**
واسطة السّلوك إذا بينت كيفية السّلوك[4]	**موسى الثاني بن يوسف بن يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن زيان التلمساني (791هـ/1389م)**	**مكتبة ماما حيدرة**

[1] محمد بن يوسف السّنوسي، **المنهج السّديد في شرح كفاية المريد -شرح المنظومة المُسمّاة بالجزائرية-**، تحقيق محمد المرزوقي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1994، ص21.

[2] أحمد بابا التّنبكتي، نيل الابتهاج، ص 602، عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص175.

[3] أحمد أبا الصافي جعفري، **المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 32 وما بعدها.

[4] وردت هكذا في ص 64.

الجوهرة	شعيب بن الحسن أبو مدين التلمساني (589هـ/1193م)	مكتبة ماما حيدرة مالي
قصيدة الجوهرة	أبو مدين التّلمساني	مكتبة ماما حيدرة مالي

عقيدة السّنوسي	الإمام السّنوسي	مكتبة ماما حيدرة
عقيدة السّنوسي	الإمام السّنوسي	مكتبة ماما حيدرة مالي
العقيدة الصّغرى	الإمام السّنوسي	مكتبة ماما حيدرة
وسط الوسطى ج/1	الإمام السّنوسي	مكتبة ماما حيدرة
المنظومة الجزائرية	أحمد بن عبد الله أبو العباس(884هـ/1479م)	مكتبة ماما حيدرة
أم البراهين	محمد بن يوسف السّنوسي	مكتبة ماما حيدرة
شرح العقيدة السّنوسية	الإمام السّنوسي	مكتبة ماما حيدرة

-الجدول رقم(2): منظومات العقائد الجزائرية المحفوظة في مكتبات غانا[1]

عنوان المخطوط	المؤلِّف	مكان وُجودها
إضاءة الدّجنة في عقائد أهل السّنة	أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي المقري التّلمساني (1041هـ/1631م)	غانا

[1] أحمد أبو الصّافر جعفري، المرجع السّابق، ص 83 وما بعدها.

أم البراهين في العقائد، العقيدة الصّغرى	محمد بن يوسف السّنوسي	غانا
محصل المقاصد ممّا به تعتبر العقائد	أحمد بن محمد بن زكري المانوي التّلمساني (899هـ/ 1494م)	غانا
قصيدة الجوهرة	أبو مدين التّلمساني(594هـ/1197م)	غانا

-جدول رقم (4): يوضّح مؤلّفات العقائد الجزائرية في نيجيريا (دار الوثائق)[1]:

[1] تأسّست دار الوثائق القومية النّيجيرية بكادونا في سنة 1957م، حيث تضمّ هذه المجموعة 1652 مخطوطًا في شتّى الميادين العلمية الإسلامية، للمزيد أنظر، أحمد أبا الصافي جعفري، المرجع السّابق، ص 91 وما بعدها.

عنوان المخطوط	المؤلِّف	مكان وُجوده
إضاءة الدّجنة في عقائد أهل السّنة	أحمد بن محمد المقرّي التّلمساني (1041هـ/1631م)	دار الوثائق
أمّ البراهين	محمد بن يوسف السّنوسي (892هـ/1486م)	دار الوثائق
العقيدة الوسطى	محمد بن يوسف السّنوسي	دار الوثائق
العقيدة الكبرى	محمد بن يوسف السّنوسي	دار الوثائق
كتاب التّوحيد	محمد بن يوسف السّنوسي	دار الوثائق

-الجدول رقم (5): يوضّح مؤلفات علم العقائد بمكتبة جامعة إبدان نيجيريا[1]

عنوان المخطوط	المؤلِّف	مكان وجودها
عقيدة أهل التّوحيد المخرجة بفضل الله تعالى من الظّلمات الجهل ورقبة التّقليد	محمد بن يوسف التّلمساني (892هـ/1487م)	نيجيريا

[1] أحمد أبو الصّافي جعفري، المرجع السّابق، ص 96.

-الجدول رقم (6): يوضّح مخطوطات العقائد الجزائرية في خزائن شنقيط وودان (موريتانيا)[1]

عنوان المخطوط	المؤلّف	مكان وُجودها
شرح الكبرى للسّنوسي	محمد بن يوسف السّنوسي	موريتانيا
نظم في التّوحيد	أحمد بن عبد الله الجزائري (844هـ/1480م)	موريتانيا
الجزائرية في العقائد الإيمانية	أحمد بن عبد الله الجزائري الزّواوي (ت884هـ)	موريتانيا
حاشية ابن خدّة على عقيدة السّنوسي	عبد القادر بن خدّة (1006هـ/1598م)	موريتانيا
شرح إضاءة الدّجنة في اعتقاد أهل السّنة	الشّارح مجهول	موريتانيا
لعقيدة المرشدة	أحمد بن عبد الله، أبو العبّاس الجزائري (884هـ)	موريتانيا
حواشي المنجور على كبرى السّنوسي	أحمد بن علي بن عبد الرّحمن، أو العبّاس (ت995هـ)	موريتانيتا

[1] أحمد ولد محمد يحي، فهرست مخطوطات شنقيط وودان، تحقيق، أولرخ يربسثول، مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلامي، لندن، 1417هـ/1997، ص 60 ما بعدها.

2-في الفقه المالكي

كما أسلفنا سابقًا أنّ المذهب المالكي أصبح السّمة الرّسمية لبلاد السّودان الغربي منذ دولة المرابطين إلى قيام دولة مالي وسنغاي، اللّتان وطنت المذهب بين العامّة، وقد كان للفقهاء المغاربة دورٌ كبيرٌ في ربط الفقهي بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السّودان الغربي من خلال الرّحلات العلمية والتّجارية، ومن أشهر الفقهاء المدرسة المغرب أوسطية، الذين كان لهم الفضل في لإثراء المدرسة المالكية السودانية بالدراسات الفقهية العلامة الإمام المغيلي التلمساني من خلال مجملة من المؤلفات التي أدخلها معه في حواضر بلاد السودان الغربي مثل:

-حاشية على مختصر خليل سمّاها "إكليل مغني البيب"

-قطعة على البيوع سمّاها "**مفتاح الكنوز وإيضاح السّبيل في بيوع آجال خليل**" -"**مختصر تلخيص المفتاح" وشرحه**[1].

ومن أشهر الفقهاء الشّراح متن خليل: الشّيخ محمد بن أبي بكر الحاجي الوداني كان حي سنة 933هـ.

-جدول رقم (6): يوضّح أهم المخطوطات الفقهية لعلماء المغرب الأوسط في خزائن السّودان الغربي

[1] التّنبكتي، نيل الابتهاج ... المصدر السّابق، ص 71.

اسم المخطوط	المؤلِّف	مكان وُجوده
كتاب في الفقه	محمد بن أحمد بن على الشّريف التّلمساني (ت771هـ)	المكتبة العمرية
تنبيه من لا يدري وإيضاح على شرح مختصر الأخضري	محمد عبد الكريم بن محمد بن أبي بكر التّواتي	تنبكتو (مالي)
أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي	الإمام عبد الكريم المغيلي	تنبكتو (مالي)
مصباح الأرواح وميزان الأرياح لمن خصّ بحقيقة السّلاح في الكفاح	الإمام عبد الكريم المغيلي	تنبكتو(مالي)
قصيدة هدية المسكين	عبد الرحمن التّلمساني الرّازي أبوزيد	تنبكتو(مالي)
مختصر الأخضري في العبادات	عبد الرحمن الأخضري البنطيوسي (983هـ/1575م)	تنبكتو(مالي)
المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من الفاض.	محمد بن علي بن أبي الشريف الحسني التّلمساني (917هـ/1511م)	غانا
إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك	أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن على الونشريسي التّلمساني (914هـ/1508م)	غانا
كتاب في فقه العبادات	عبد الرحمن الأخضري (983هـ/1575م)	المكتبة العمرية (سيغو
وشي المعاصم في شرح	أحمد بن عبد الله التّلمساني	موريتانيا

تحفة ابن عاصم		
المنهج الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق	**أبي العباس أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي (ت914هـ/1508م)**	**المكتبة العمرية(سيغو)**

3-اللّغة العربية وآدابها

لعب فقهاء وعلماء بلاد المغرب الوسيط دورًا كبيرًا في ترسيخ اللّغة العربيّة وآدابها، وهذا من خلال تنقلاتهم إلى بلاد السّودان الغربي، فكما هو معلوم أنّ تجارة المخطوطات كانت رائجة بين المنطقتين، وكانت تدُرّ أموالاً طائلة على أصحابها، ومن هذه المخطوطات التي وصلت إلى السّودان الغربي في الأدب العربي نذكر أهمّها:

-في النّحو

-مخطوطة "المفاتيح المرزوقيّة بحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجيّة" للعلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التّلمساني المالكي (ت842هـ)[1]، وكتاب شرح لقصيدة مكونة من ست وتسعين بيتًا لأبي الحسن علي بن محمد الخزرجي، حيث تطرّق فيها لعلم العروض والقافية بصفة عامّة، متناولاً أبحر الشّعرية، والقوافي[2]، وقد درج الشّارح إلى تبسيط الأبيات لأقصى درجة ممكنة،

[1] نفسه، ص 89.

[2] مجاهدي صباح، **المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية**، تحقيق ودراسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم، كلية الآداب واللغات، قسم اللّغة العربية، جامعة أحمد بن بلة (1) وهران، 2015، ص 86.

بحيث اعتمد على شرحه بالأبيات الشّعرية والأمثلة، وشرح المبهم منها ليفهمها الخاص والعام[1].

-**مخطوط** "**العوامل في النّحو العربي**" قيل إنّه للمغيلي لكن أجمع الدّارسون وأهل الاختصاص أنّ هذا المخطوط هو للإمام الرّجراجي (كان حيًّا في أوساط القرن 7هـ)، وقد ترجم التّنبكتي لهذا العلم فلقال: " **صاحب مناهج التحصيل في شرح المدونة، الشّيخ الإمام الفقيه الحافظ الفروعي...كان ماهرًا في العربية والأصلين**"[2]

-**قصيدة** "**أيا طالب الإعراب**" تحتوي هذه القصيدة على قضايا الحروف في النّحو العربي، نشرها الألوري ونسبها إلى الشّيخ عبد بن فودي، وفي مدينة برنو نسبوها إلى عبد الله بن محمد البرناوي، ولكن الأرجح أنّ القصيدة ممّا حمله الإمام عبد الكريم المغيلي التّلمساني إلى نيجيريا[3]

-في الشّعر

-**مخطوطة** "**روضة السّلوان**" لإبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى الفجيجي التّلمساني (كان حيا 920هـ)[4] من علماء القرن التّاسع والعاشر الهجريين، تلقى العلم بفجيج، وفاس، وتلمسان، ومصر، والحجاز، بعد عودته من الرّحلة العلمية لم يعجبه الاستقرار بفجيج، فانتهى به المطاف إلى السّودان الغربي، وهناك توفي سنة (954هـ)

---

[1] وزار سليمان، **ابن مرزوق الحفيد وكتابه المفاتيح المرزوقية لحل أقفال واستخراج خبايا الخزرجية**، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، المجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020، ص 556.

[2] أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج**، المصدر السّابق، ج1، ص 316.

[3] عبد الغني أبمبولا عبد السّلام، المرجع السّابق، ص 17.

[4] جامعة شنقيط العصرية، **دليل نوادر المخطوطات في مدينة شنقيط، التصنيف والتوضيح** والسّحب في الإيسيسكو، الرّباط، 2014، ص 87.

له منظومتان، منظومة في الصّيد ومنظومة في الفقه سمّاها "**مفيدة الولدان**"، وأمّا منظومته في علم الصّيد فقد سمّاها بـ "**روضة السّلوان**" هي منظومة في علم الصيد بالصّقر تقع في مائتي بيت وأربعة عشر، وقد شرح القصيدة ابن أخيه أبو قاسم بن محمد بن عبد الجبار سنو 986هـ، ويستهل أبو إسحاق إبراهيم الفجيجي مطولته ببيان منافع الصيد في عشرين بيتًا ويتلوها بصفات الصّائد في أثنى عشر بيتًا، ومنها العفة والنزاهة وعدم الاختلاط بأهل اللّؤم والغيبة، فلا سوء ولا هتك هيبة، ويصف الصّقر بمثل قوله:[1]

طويل ثلاث لا كطول بغائها جناح وعنق ثمّ طالت أصابع

رحيب ثلاث وهي ماهي كفّه وما بين منكبيه والصدر واسع

عظيم ثلاث: رأسه ثم فخذه ومنسره لجزر ما هو صـارع

قد أوصله هو بنفسه ونعتقد أيضًا أن كثير من العلوم التي أخذها بالحواضر الشّمال قد بثها في السّودان الغربي

-**قصيدة "أيام راكب الوجناء"**: قيل إنّها تنتسب إلى الفقيه عبد الله بن إسماعيل القسنطيني، ولقد أتّى بها المغيلي في جملة المخطوطات التي أوصلها بنفسه لبلاد السّودان الغربي.[2]

-**قصيدة "الله لي عدّة"**: قيلت هذه القصيدة في الزهد، ويرى بعض الباحثين أنّها للسّلطان محمد بيلّو، وقيل إنّها للإمام المغيلي التّلمساني التي أتّى بها إلى بلاد السّودان الغربي[3]

[1] شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ج10، دار المعارف، 1990م، مصر، ص 89.

[2] عبد الغني أمبمولا عبد السّلام، المرجع السّابق، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 17.

-**قصيدة "تمر اليلى"**: هي من أشهر القصّائد التي لها تأثير في المجتمع السّوداني يحفظها الكبير والصغير وزهي من قصائد العلامة عبد الرّحمن الثّعالبي[1]

4-علم المنطق

اهتمّ علماء بلاد السّودان الغربي بعلم المنطق ولعلّ المؤلفات علماء المغرب الأوسط حظيت بالاهتمام كبير في المقررات الدّراسية ومجالس العلم، فقد ذكر لنا أحمد بابا التّنبكتي في "**نيل الابتهاج**" و"**كفاية المحتاج**" أنّ منظومة الإمام المغيلي أو رجز المغيلي في المنطق قد حظيت بالاهتمام كبير[2]، فقد كان الفقيه والعلامّة أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت كان يدرسها لطلبته وله شروحات في المنطق يقول التنبكتي: "وشرح الجمل في المنطق ومقدمة فيه ومنظومة سمّاها منح الوهاب وثلاثة شروح عليها، وقد شرح والدي بشرح حسن استوفى فيه"[3]، كما أن لشيخ على حسب ما ذكر الزركلي في جملة مصنفات الإمام المغيلي شرحًا على المنظومات في المنطق بعنوان: "**إمناح الأحباب في منح الوهاب**"[4]،

يذكر الأستاذ محمد شايب شريف مخطوطة في مكتبة جامعة سعود "إمناح الأحباب من منح الوهاب" وهو لشيخ أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، يقول في مقدمته: "... **هذا وقد دعاني من يجب على إسعافه ولا يسعني خلافه إلى أن أشرح له منح الوهاب في رد الفكر لصواب للشيخ العلامة الفهيم سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى سنة تسع من القرن العاشر، واعتذرت له بأن ناظمه شرحه بثلاثة من الشروح كل منها في غاية البيان والوضوح وسميته إمناح**

[1] نفسه، ص 17.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص 142.

[3] نفسه، ص 578.

[4] الزركلي، الأعلام، المصدر السّابق ج6، ص216.

الأحباب من منح الوهاب"[1]، كما اعتنى الفقيه أحمد بن أحمد والد الشّيخ أحمد بابا التنبكتي (ت991هـ): "...كان رحمه الله فقيها علامة ذكيًا داركًا محصلا متفننًا محدثًا أصوليًا، بيانيًا منطقيًا مشاركًا في الفنون العلم..."[2]، ولا ننسى الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد (ت976هـ): "كان محدثا أصوليًا بيانيًا منطقيًا"[3]،

-جدول رقم (7): يوضّح المخطوطات في علم المنطق لعلماء المغرب الأوسط في الخزائن السّودانية[4]

عنوان المخطوط	المؤلف	مكان وجوده
السّلم المنورق في علم المنطق	**عبد الرحمن بن محمد الأخضري (ت943هـ)**	**مركز أحمد بابا التّنبكتي (مالي)**
شرح السّلم المنورق في علم المنطق	**سعيد ابن إبراهيم الجزائري المعروف بقدورة (ت166هـ)**	**مركز أحمد بابا التّنبكتي (مالي)**
شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصّواب	**محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ/1503م)**	**مركز أحمد بابا التنبكتي (مالي)**

[1] محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مختصران في الفرائض للعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي**، تحقيق: محمد الشايب شريف، مؤسّسة البلاغ للنّشر والدّراسات والبحوث، الجزائر، 2013، ص ص 37، 28.

[2] التّنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص ص 141-142؛ الكفاية المحتاج، المصدر السّابق، ص ص 137، 139؛ السّعدي، المصدر السّابق، ص ص 42-43، البرتلي، المصدر السّابق، ص ص 29-30.

[3] نفسه، ص ص 142-143.

[4] أنظر، أحمد أبو الصّافي جفري، مخطوطات، المرجع السّابق، ص 213

منظومة في المنطق	محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)	مركز أحمد بابا التنبكتي
شرح على منح الوهاب في رد الفكر إلى الصّواب	عبد الكريم المغيلي (909هـ)	مكتبة ماما حيدرة، مالي

4-في التّصوف الإسلامي

-جذور التّصوف في بلاد السّودان الغربي وتطوره

شكّل المغرب الإسلامي بتبنيه المذهب المالكي وعقيدة أبي الحسن الأشعري، وطريقة الجنيد السّالك في التّصوف هويته التي تعرف في العالم الإسلامي هذه الثلاثية نجدها حاضرة في بلاد السّودان الغربي، فقد كانت قنوات التّواصل بين المنطقتين تُفرغُ كلّ ما هو مغربي إسلامي في بلاد السّودان الغربي، ومنها الطّرق الصّوفية، حيث لعب المغرب الأوسط دورًا رياديًا في التّفاعل بين المنطقين.

إنْ قلنا أنّ التّصوف قد شقّ طريقه إلى بلاد السّودان الغربي منذ القرون الأولى الهجرية كان من بلاد المغرب الأوسط، ربّما قد يكون قولنا هذا شريد، فالدّراسات الأكاديمية التي تناولت العلاقات الرّوحية بين بلاد المغرب عمومًا وإفريقيا جنوب الصّحراء لا تتحدث عن التّصوف إلا مع نهاية القرون الوسطى وبداية القرون الحديثة ممثلةً في الطّريقة القادرية والتّيجانية وفروعهم.

إنّ أوّل اتّصال بشكلٍ رسميّ بين المغرب الأوسط وإفريقيا جنوب الصّحراء كان في زمن الدّولة الرّستمية، من خلال توافد العلماء التّجار الإباضين على بلاد السّودان الغربي للتّجارة ونشر الإسلام، وكما هو معروف أنّ الزّهد أوّل مراتب التّصوف الذي عرفت بين العلماء والصّلحاء، خاصّة خلال القرون الأولى

الهجرية[1]، هذا الزّهد الذي كان السّمة البارزة لدى فقهاء الإباضية وأئمتهم، وقد حرصوا على تثبيت الزّهد كأحد الدّعائم الأساسية لإنجاح الدّعوة الخارجية، ممّا يوضّح التّلازم بين ظاهرة الزّهد وتكوين دولة مركزية بالمغرب الأوسط[2].

من القرائن التي تعكس ذلك ما نلتمسه في الإستوغرافية الإباضية فقد جاء بين ثناياها الكثير من عبارات الزّهد والورع والنّسك والصّلاح، ودعوته مستجابة، وسرد لكراماتهم، إذن فالمذهب الإباضي كان له الأسبقية في الدّخول لمنظومة التّصوف العملي[3].

جاء في كتاب "**أخبار الأئمة الرّستميين**" لابن الصّغير المالكي (كان حيا خلال ق3هـ) عن زهد الأئمة حكام الدولة بدأ من مؤسسها عبد الرحمن بن رستم، وعن الامام أبي يقضان محمد بن الأفلح (241-281هـ/855-894م)، من زهده وورعه وأنّه كان يجلس بالمسجد على وسادة من أدم الأرض[4]، وروى الوسياني عنهم قائلا: «**فإنهم كانوا أعلم بالله وبحدود الله، وأخوف وأوجل وأشرف وأفضل، وأتقى قلوبا، وأتقى جيوبا، وأزكى أعمالا، وأصدق أقوالا، وأصوب نيات، وأطيب طويّات، وأصفى وأوفى خلْقا، وأنجح وأرجع خُلقا، وأبرّ وأدرّ يدا -رحمهم الله- وليست الدنيا من أعمالهم ولا الهوينا من أحوالهم**"[5]، وحتى أن الوسياني نفسه يذكر أن الغرض من سرد سير الأئمة والأولياء والصالحين[6]، هو الوقوف على كراماتهم

---

[1] الطاهر بونابي، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 2.

[2] الطاهر بونابي، **الحركة الصوفية...**، المرجع السابق، ص 23

[3] علال بن عمر، **حركة الزهد ومنظومة التصوف عند إباضية المغرب (بين الإرث التاريخي والتأثيرات المحلية) من مطلع القرن الثاني للهجرة إلى سقوط تاهرت 296هـ/909م**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد06، العدد02، جامعة الوادي، ص 56

[4] ابن الصغير، أخبار الأئمة، المصدر السابق، ص ص85-98.

[5] الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص521.

[6] الوسياني، المصدر السّابق، ج2، ص 521.

وأيامهم وإنجازاتهم، وكأنه يريد القول حتى يتبرك بهم، وهذا الدرجيني يستهل في مقدمته قائلا: "**فهؤلاء أشياخنا وقادتنا وأئمتنا وساداتنا جعلهم الله أعلاما للهدى... وتأتي بعده بمناقب الصالحين**"[1] .

هذا المنحى الزهدي الذي طبع الأئمة الحكام ومن يدرون في فلكهم الحياة الثقافية والفكرية بتاهرت وورجلان خلال النصف الثاني من القرن الثالث هجري بطابع الزهد المشفوع بالكرامات والخوارق التي كانت السمة الغالبة على علماء وفقهاء المذاهب[2]،

كان لسقوط الدولة الرّستمية على يد الشّيعة الإسماعلية الفاطمية سنة 296هـ/909م، وتفرقهم في الحواضر الصّحراوية مثل ورجلان، ليشهد بعد ذلك قرن الخامس الهجري/ 11م، حركةً قويّة في الزهد والتّصوف خاصّة في كلّ من ورجلان ووادي ريغ وميزاب وسوف، فضلاً على الجماعات الزّهدية التي كانت تخترق الصحراء المغرب الأوسط بين الحواضر السّالفة الذكر[3]، وبعضها كانت تتخطى حدود الصّحراء نحوي إفريقيا بحثًا عن الثّراء بالتّجارة مع بلاد السّودان[4].

من الشّخصيات التي كانت على علم بالتّصوف نذكر العلامّة أبو يعقوب الورجلاني (ت570هـ/1174م)، الذي له رحلة إلى بلاد السّودان الغربي حتى خط الإستواء[5]

---

[1] الدرجيني، المصدر السّابق، ج1، ص 11.

[2] الطّاهر بونابي، الحركة الصّوفية...، المرجع السّابق، ص 23

[3] نفسه، ص24.

[4] عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ط1، دار الشروق، 1403هـ/1993، بيروت، ص 314.

[5] دليلة خبزي، **الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، كلية أصول الدين، الخروبة جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 36.

إذن فهناك اتّصال روحي بين الفقهاء التّجار الإباضية والمجتمع السّوداني، فالمصادر التّاريخية لا تمدنا خلال القرون الأولى الهجرية بالزّهد والتّصوف في المجتمع السّوداني إلاّ أنّ هذا التّواصل لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أنْ لا يترك أثرًا، ولو بالجزء اليسير، هذا التّحقيب الأولي لحضور الزّهد والتّصوف في بلاد السّودان الغربي، مع مرور الوقت تطور بفعل ازدهار الحركة التّجارية التي كانت تزدهر يومًا بعد يوم بين حواضر بلاد المغرب الإسلامي وحواضر الصّحراء الكبرى.

فكما هو معلوم أنّ معظم التّجار كانوا من أهل العلم والعرفان، فقد ذكرت لنا المصادر عن تلك الشّركة التي كانت تنشُطُ بين حواضر شمال وجنوب الصّحراء الكبرى، وهي "**شركة آل مقرّي**" فمهّدوا طريق الصّحراء بحفر الآبار وتأمين التّجارة، واتّخذوا طبل الرّحيل، حيث اقتسموا الطّريق فيما بينهم[1]، وبيت القصيد في هذا أنّ المقرّي يصفهم بالأشياخ، فقد كانوا من الفقهاء العاملين من ورثة والأحفاد الفقيه الولي الصّالح سيدي عبد الرّحمن المقري، تلميذ الولي الصّالح سيدي أبي مدين شعيب، حيث قال المقري الحفيد قائلاً: "**وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً بعد أن كانت لمن قبله مزاراً، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرى، صاحب أبي مدين، الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم من قبول وتبين. وهو أبي الخامس فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن. وكان هذا الشيخ عروي الصّلاة، حتى أنّه ربّما امتحن بغير شيء فلم يؤنس منه التفات، ولا استشعر منه شعور. ويقال إن هذا الحضور ممّا أدركه من مقامات شيخه أبي مدين**"[2]، أمّا عن التأثير الصّوفي من طرف الأشياخ فقد كان عن طريق المعاملات التّجارية والصّداقة بين الطّرفين، وخاصّة تجارة الكتب المخطوطة ومن بينها كتب

[1] المقري، المصدر السّابق، ج5، ص ص 205-206.

[2] لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج2، تحقيق عبد الله عنان، 1974، القاهرة، ص 435

الرقائق والأوراد خاصّة التي تتناول الصّلاة على النّبي محمد –صل الله عليه وسلم–.

–الإمام محمد بن عبد الكريم بن محمدالمغيلي التّلمساني (ت 940هـ/1533م) ودوره في رسم الطّريقة القادرية في بلاد السّودان الغربي

لقد عرفت الطّريقة القادرية[1] الانتشار والذّيوع في بلاد السّودان الغربي بفعل جاذبية دعاتها الذين حملوا مشاق الدّعوة إلى الإسلام الصّحيح في بلاد السودان، من أمثال الشّيخ عبد الكريم المغلي التّلمساني (ت940هـ/1533م)، الذي جال في كبريات مدن السّودان الغربي، ولعب أدوارًا دعويّة وسياسية وإصلاحية، ويرجع سّند هذه الطّريقة إلى عالم الجزائر الإمام عبد الحمن الثّعالبي حيث أخذها في عام 897هـ–1492م، و كما أسلفنا سابقًا أنّ المغيلي توجّه إلى بلاد السّودان الغربي بعد قضية يهود توات، تاركًا وراءه زاويته التي ورثت من الشّيخ علمه وشجاعته ووقوفه في وجه اليهود.

[1] تنتسب الطريقة القادرية إلى مؤسّسها الشّيخ عبد القادر الجيلاني المولود في مدينة جيلان العراقية عام 740هـ، وجاء إلى بغداد عاصمة العباسيين سنة 488هـ، تتلمذ في الفقه الحنبلي، وعلى مشايخ كثر، فقد أخذ القرآن الكريم على يد أبو الفداء علي بن عقيل الحنبلي والشّيخ محفوظ الحنبلي، وعن الشّيخ حماد الدّباس الملقب بأبي الخير الأدب والسّلوك، وأخذ عن الولي أبي سعيد المبارك وألبسه الخرقة الصّوفية وهي لباس التّبرك ورمز الولاية والسّند نحو زعم الطّريقة، من أشهر مؤلفات الشيخ نذكر: كتاب فتوح الغيب وهو عبارة عن مقالات وخطب للمريدين، وكتاب الغنية لطالبي الحق وهو في الحقوق والآداب الشرعية، وكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني وهو في الوعظ والتربية والسّلوك، وكتاب سر الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار، **للمزيد أنظر**: الطيب النوري، الرسالة النورية في الطريقة القادرية، دار الكتب العلمية للنشر، 2007، لبنان، عبد الجليل ساقني، الصديق تياقة، **الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر**، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجل9 العدد18، سنة 2019، جامعة 10 أوت 1955، سكيكدة، ص 157 وما بعدها.

يجمع المؤرّخون أنّ أوّل مكان نزل فيه الشّيخ الإمام المغيلي كان مدينة "**أصير**" أو بلاد "أهر"، حيث أقام مدّة في مدينة أقدز، بنى فيها زاوية ومسجدًا سمّاه مسجد الكرامة وأسلم أميرها على يديه[1]، ومنها توجه إلى تكدا من بلاد الهوسا، وبنَى مسجدًا بقرية إتاتول شمال شرق أغاديسن، ومنها إلى "كشن" و"**كانو**" ناشرًا العلم والتّصوف، وفيها كانت له حضوة عند السّلطان يعقوب رمنفا (1463-1499م)، الذي كان يحضر مجالسه، وقد ألف الشيخ مؤلفين عظيمين في السياسة الشرعية بطلب من "رنفا" يعقوب (تاج الدين فيما يجب على الملوك والسّلاطين)[2].

بعدها توجه الشّيخ إلى كاتسينا في شمال نيجيريا، حيث تولّى بها الإمامة والإفتاء، ومنها توجّه الشّيخ إلى مملكة السّنغاي، واجتمع بسلطانها محمد الحاج الكبير وهناك كانت له محاورات في السّياسة الشّرعية وتدابير الحكم، وقد أجاب المغيلي على كلّ الأسئلة الموجهة له، وعليها قام الأسقية محمد الكبير بمجموعة من الإصلاحات السّياسية والاجتماعية والثقافية[3]، خلف المغيلي أثارًا عميقة في بلاد السّودان الغربي، إذ كان له دورٌ هام في نشر دعائم الإسلام بأصول مغربية القائم على أساس الجمع بين مبادئ العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتّصوف السّني على طريقة الجنيد السّالك بسنده القادري[4]، وعن دخول القادرية لبلاد السّودان

---

[1] ابن مريم، **البستان**... المصدر السّابق، ص 254؛ مراد جدي، **رحلة التّصوف المغربي إلى بلاد السّودان الغربي ما بين القرنيين 5-10هـ/11-16م، السّيرورة التاريخية والفعالية الاجتماعية الثقافية**، ضمن كتاب "**المغرب وإفريقيا جنوب الصّحراء**، منشورات المندوبية السّامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، (د ت)، المغرب، ص 15.

[2] محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسّلاطين، تحقيق، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، 1994.

[3] محمد العربي، **بداية الحكم المغربي في بلاد السودان الغربي**، مؤسّسة الخليج، الكويت، 1982، ج1، ص ص 514، 1515.

[4] محاضرة «**شوارق الأنوار المحمدية على الإمام المغيلي**»، الأستاذ الطاهر أبو قاسم برايك، ضمن الملتقى السّادس لدروس المحمدية «**العلم والتزكية في الحضارة الإسلامية**» الخميس

الغربي يقول توماس أرنولد: " **ودخلت القادرية في إفريقيا الغربية في القرن 15م على أيدي مهاجرين من توات... واتخذوا من ولاته أول مركز لطريقتهم، ولكن أحفادهم طردوا منها فلجأوا إلى تنبكتو**"[1].

من بين تلامذة الشّيخ الإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني، الذين حملوا الإرث القادري الشّيخ سيدي عمر الشّيخ بن الشّيخ أحمد البكاي (ت....)، وتلقى العلوم الأولى على يد والده الشّيخ أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي، من علماء وأولياء القرن 10هـ، صحب الشّيخ عمر الإمام المغيلي مدّة ثلاثين سنة، وسافر معه إلى الحج، وأنّ أوّل لقاء بينهما تمّ عندما كان المغيلي داخلاً إلى بلاد التكرور والمغرب الأقصى مقبلا من بلاد الهوصا[2].

يصف الباحث الدكتور عبد الودود ولد عبد الله (ددود)، الدّور الرّسالي الذي قام به سيدي عمر الشّيخ بعد وفاة شيخه الإمام المغيلي بـ "**امتصاص ثمرة المغيلي**"، وذلك تعليقًا على رواية تاريخية تقول إنّه "لمّا أدرك المغيلي الموت قال لبنيه ومريديه قولته المشهورة، وهي إحدى علامات الاستخلاف عند المتصوفة: "من كان منكم ملتمسًا مني نفعًا، فليلتمسه من هذا، فإنّه احتوى على جميع ما عندي، وامتصّني كما يمتص الأكلُ التمرة ويلقي بالنواة[3]

18رمضان 1432–الموافق لـ 18 أوت 2011م، تاريخ رؤيته 25، 12، 2022، ساعة12:00.

[1] توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ص 277.

[2] القادرية ص 148.

[3] سيدي عمر شيخنا، **مؤسّسة التّصوف في غرب إفريقيا الطرقية السّياق التاريخي والأجندة الإصلاح**، مركز الجزيرة للدراسات، 12 أغسطس2019، https://studies.aljazeera.net/

بالنواة"[1]، كما تتلمذ على شيخ عماء آخرون كان لهم الفضل في نشر التّصوف نذكر منهم:

-محمد بن أحمد بن أبي محمد التّازختي (ت936هـ/1529م)

-العاقب بن عبد الله الأصنمي المسوفي (كان حيا 950هـ/1543م)

-إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (ت954هـ/1547م)

-محمد بن عبد الجبار الفيجيجي (ت 956هـ/1549م)[2]

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان للمغيلي دورٌ بارزٌ من خلال مؤلفاته، التي ألّفها أو شرحها أو بعض المخطوطات التي أتى بها من بلاد المغرب الإسلامي، كان لها تأثير واضحٌ في الحياة الثقافية الصّوفية في المنطقة، وهنا نتوقف عند أهمّ مؤلفاته في التّصوف نوردها ونورد بعض المخطوطات التي كان لها تأثير: عمل اليوم واللّيلة، وكتاب "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، ومفتاح الكنوز، وهدية المسترشدين ونصيحة المهتدين[3].

---

[1] ولد عبد الله، عبد الودود، **تحولات التّصوف عبر الصّحراء من زاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية**، الأدب المقاوم في القارة الإفريقية، أعمال ملتقى عيون الأدب العربي النسخة التاسعة، **دور الشيخ سيدي المختار الكنتي**، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، المغرب، أبريل/ نيسان/ 2018م، ص 326.

[2] مراد جدي، المرجع السّابق، ص 16.

[3] إدريس بن خويا، فاطمة برماتي، الشّيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من المهد إلى اللحد، مجلة الذاكرة، العدد السابع، ماي 2016، ص 19.

- **الشّكل رقم (1): يوضّح سند السّلسلة الكنتية القادريّة**[1]

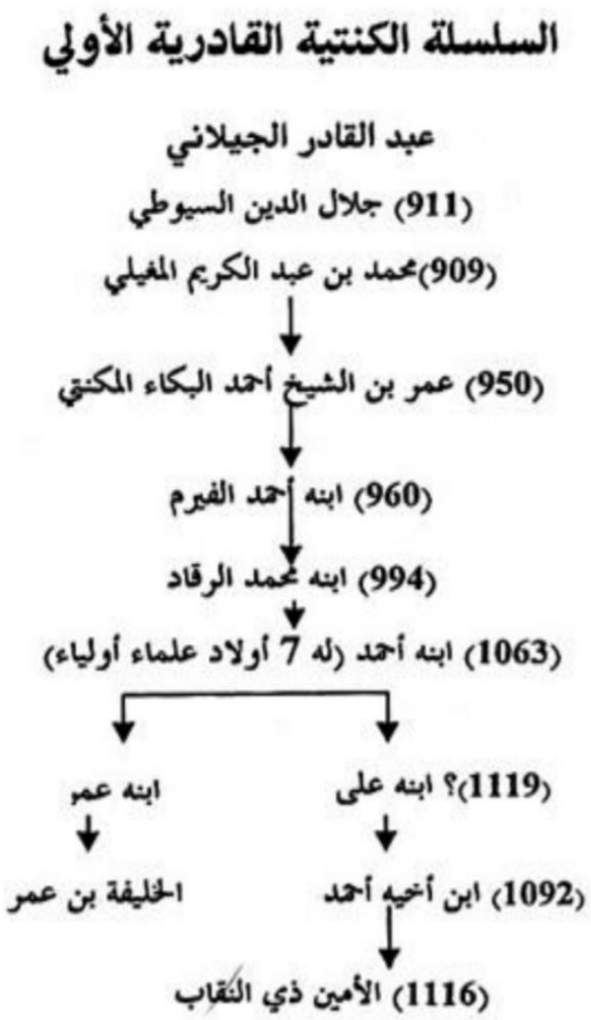

[1] خالد محمد، **الطّريقة القادرية من إقليم توات إلى بلاد السّودان**، مجلة الفكر المتوسطي، المجلد 10/ العدد 02، 2012، ص 89.

-الشّكل رقم (2): يوضّح سند الإمام المغيلي في الطّريقة القادرية[1]

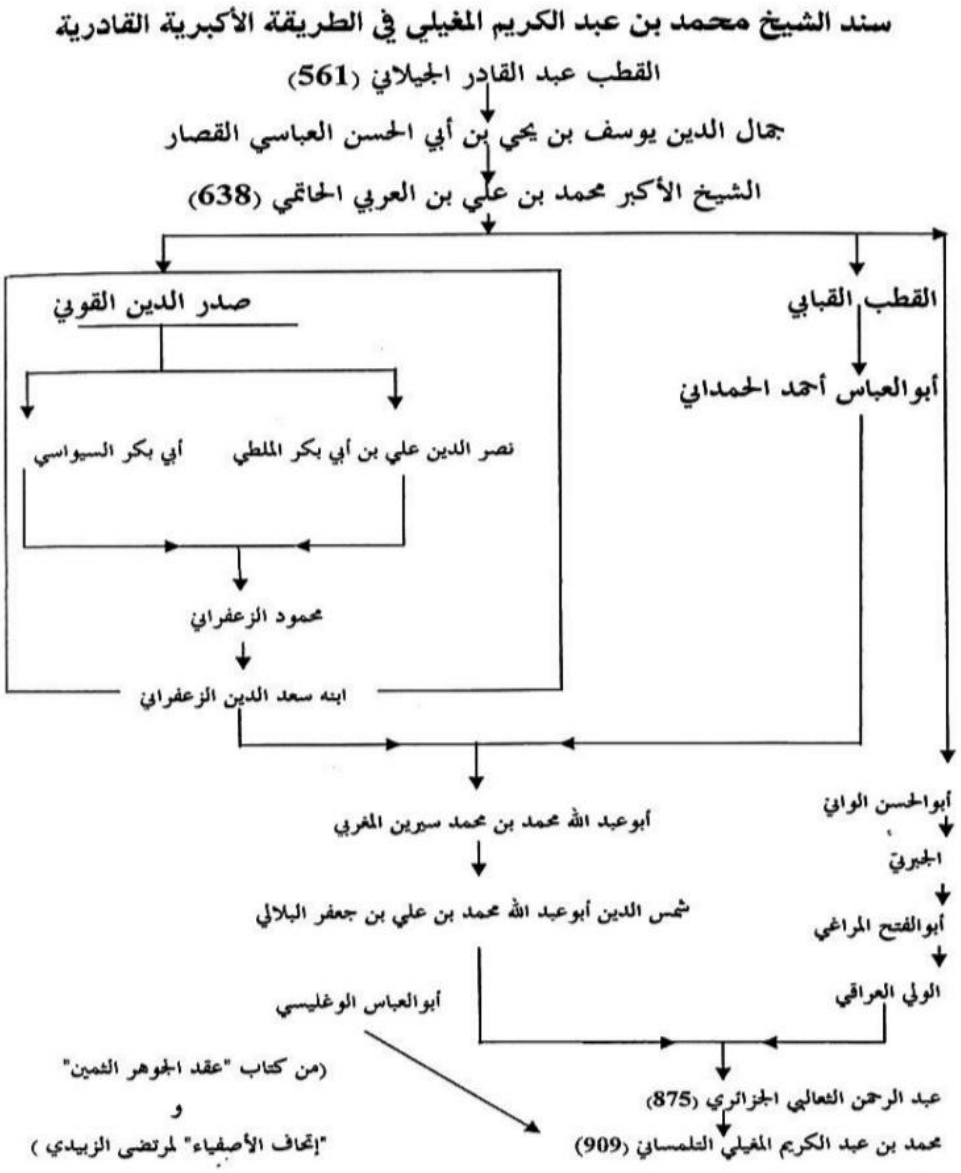

- 87 -

[1] خالد محمد، المرجع السّابق، ص 87.

-مؤلفات التّصوف لعلماء المغرب الأوسط ودورها في ازدهار المدرسة الصّوفية السّودانية

أ-قصيدة الميمية للمغيلي[1]: تعتبر ميمية "بشراك ياقلب" من أشهر القصائد الشّعرية المديحية التي لها بعد روحي وصوفي وكان لها تأثير على الحالة النّفسية للمتصوفة في بلاد السودان الغربي وغيرها من بلاد المغرب الإسلامي، جاءت القصيدة في ثلاثة وعشرون بيتا وبين تسعة وعشرون بيتًا كحد أقصى، وبحرها البسيط وحرف الميم رويا لها، كما نظمها الشيخ على وزن البردة للبصري في مدح النبي-صلى الله عليه وسلّم-.

يذكر الشّيخ المؤرخ الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن الشّيخ سيد المختار الكنتي الشّنقيطي قطب القادرية الأبرز في موريتانيا (1270هـ/1845م) في مصنفه: «**الطّرائف والتلائد من كرامات الشّيخين الوالد والوالدة**» أنّ الإمام سيدي عبد الكريم المغيلي حج رفقة الشيخ سيدي عمر الشيخ (ت958هـ) أو(960هـ)[2] وهو جدُ صاحب كتاب «**الطرائف والتلائد**»[3]، أن الإمام المغيلي بعد زيارته لمصر

---

[1] هناك من نسب هذه القصيدة للقاضي عياض (ت544هـ)، ومنهم الأستاذ شاقور عبد السّلام في أطروحته المعنونة بـ: "**القاضي عياض الأديب**"، والسقاط عبد الجواد من خلال مقاله "**أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي**" ركز فيه على الأمداح الشّعرية في العهد المرابطي على يد القاضي عياض، وكذلك الأستاذ عيناق محمد في تحقيقه **لديوان القاضي عياض**، وفي مقال لـ بن يشو الجيلالي عنوانه "**شعر التوسل عند القاضي عياض دراسة لغوية؛ للمزيد أنظر**، أحمد جعفري، **مخطوط قصيدة "بشراك يا قلب" بين القاض عياض والإمام المغيلي من النّاضم؟ لماذا؟ وكيف؟**، مجلة رفوف، المجلد 09، العدد02 جويلية 2021، ص38 وما بعدها.

[2] عبد الكريم بن مجدوب، **تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، موسوعة أعلام المغرب**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج2، ص939.

[3] قال صاحب: الطرائف والتلائد..." قال شيخنا في "الإرشاد" معرفًا به: "**ومن الأولياء المشهورين بالعلم والولاية جدنا سيدي عمر الملقب بالشيخ...حجَ ورجع إلى المغرب، فجال في بلاد التكرور فلقي بها الشيخ الجليل القطب الكامل سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، وقد أقبل من بلاد الهوص، يريد التكرور والمغرب الأقصى، برسم دعوى النّاس إلى**

وملاقاته للإمام السّيوطي وما جرا بينهما من مباحثات ومناقشات علمية، توجّها إلى البقاع المقدسة فلمّا أشرفا على المدينة المشّرفة –على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام– ارتجل قصيدته العجيبة التي مطلعها:

بُشْراكَ يَا قَلبُ هَذَا سَيّدُ الأمِمِ وَهَذِهِ حَضرَةُ المُختَارِ فِي الحَـــرَمِ

وَهَذِهِ الرّوضَةُ الغَرّاءُ طَاهِرَة وَهَذِهِ القُبّةُ الخَضرَاءُ كَـــالعَلَـــمِ

فلمّا وافى الرّوضة المقدّسة ليدخلها هم الوكلاء بمنعه فقال المغيلي:

يَا سَيّدي يَا رَسَولَ الله خُذْ بِيدِي فَالعبدُ ضَيفٌ وضَيفُ اللهِ لَمْ يُضمِ

يَا سَيّدي يَا رَسولَ الله خُذْ بِيدِي يَامَنْ لَقَـــــا صَده أَمن مِن النّقمِ

يَا أَكْرَمَ الخَلقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ يَا أَفْضَلَ النَاس فِي ذَاتٍ وَفِي شِيمِ

فاهتزّت عند ذلك الرّوضة الشّريفة وانفتح بابها وفرّ الوكلاء لعظم ما رأوه، فدخل الرّوضة الشّريفة فمكث فيها ساعة، فأقبل النّاس عليه فجعل يقول: لست هنا لكم فلا تشغلوني عمّا أنا بصدده، فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالرّوضة الشّريفة، فإنّها عين الرّحمة ومنبع الحكمة وأصل الهداية[1].

ب–**قصيدة "تمُـرّ اللّيـالي"**، وهي لشيخ الإمام عبد الرحمن الثّعالبي (ت1471م)، يبلغ عدد أبيات هذه القصيدة 12 بيتًا، نظمها الثّعالبي لأغراض الوعظ والإرشاد والنّصيحة، وقيل إن الإمام المغيلي هو من أتى بها مع مجموعة

الإسلام...ثم تفاوضا في علم الباطن فأربى له من جميع ما بين يديه، ولازمه برسم الصحبة ثلاثين سنة؛ للمزيد أنظر: عبد الرّحمان حمادو الكتبي، حجّة سيدي المغيلي وقصيدته الميمية، مجلة العصر، ص 48.

[1] عبد الرحمان حمادو الكتبي، المرجع السّابق، ص 48.

من المخطوطات وهي من القصائد التي يحفظها المريدين في بلاد السّودان الغربي[1].

مطلعها:

تَمُرّ اللّيالي بِنفسِي وَمَالِي فَيَا قَومِ مَالِي عَن المَوتِ مَالِي

نَهَارِيْ جِدالٌ وَلَيْلِي انْجِدالُ وَحَولِي رِجَالٌ عَلَى كثل الحَالِ

يَبْغُونَ رشدًا صَحيحًا بغيّ فَبؤسًا وسُحقًا لَهُمْ مِنْ رِجَالِ

قَطعْت لَعُمري بِسَاعَاتِ عُمري بِزيد وَعَمر قيل وقَالِ

وقد ختمها الشّيخ بـ:

فَأَنْتَ الرّجاءُ ومِنْكَ الدّعَاءُ وَمِنْكَ العَطَاءُ فَهِبْ لِي سُؤَالِي

هذه القصيدة تتمحور حول معاتبة النّفس ومحاسبتها قبل الموت، وقد كره الشّيخ أن تبقى النّفس في لهو مستمر غافل عن الآخرة، كما حذر من الصحبة الغافلة التي لا تعين على طاعة الله عز وجلّ، والقصيدة جمعت بين الخوف والرجاء ومنها البيت الذي فيه:

أَرَى ذَنْبِي فَيَشْتَدُ كَرْبِي وَلَكِنْ رَبِّي عَظِيم النَّوالِ

بلا شك أنّ مثل هذه القصائد كان لها وقع في بلاد السّودان الغربي، فقد كانت هذه القصيدة ينشدنها النّساء عند التّرحم والتّعزية، ويستعملها الوّعاظ في مجالسهم وفي دعوتهم النّاس لترك ملهيات الدّنيا والزهد فيها، ولا تنفك هذه القصيدة

[1] عبد الغني أبمبولا عبد السّلام، **إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية-مخطوطة العوامل في النّحو العربي للجرجاني نموذجًا** -مجلة رفوف مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، العدد السّادس، مارس 2015، ص 17.

عن خطب يوم الجمعة والعيدين عند الابتهال لله عز وجلّ، وقد كان لها وقعٌ رقيق النّفس على الحركة العلمية والتأليف إذ لها قصائد منسوجة على منوالها، إلا أن الفترة الدراسة لا تسمح بذكرها.

للعلامة محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الأصل القسنطيني قرارًا (ت963هـ)[1]، وكتاب عبارة شرح أرجوزة شيخه أحمد زروق[2]، والتي هي نظم لرسالة الإمام عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت412هـ)، ومما يزيد في انتشار هذه الأرجوزة وتمكنها من قلوب المحبين والمريدين، هو أن الشيخ نظمها كلها بالروضة المشرفة في المسجد النبوي أثناء حجته سنة 888هـ، وهو ما يعطي الأرجوزة نفحة روحية، وقيمة صوفية.

ب-مظاهر التّصوف في بلاد السّودان الغربي:

-التّصوف عند فئة العلماء والصّلحاء

[1] محمد بن علي الخرّوبي الطرابلسي الأصل القسنطيني القرار، فقيه ومحدث وصوفي، وهو من أشهر تلامذة العلامة القطي أحمد زروق صاحب المدرسة الزروقية بتكران (مصراتة)، كما تتلمذ على تلامذة العالم عبد الرحمن الثعالبي وحمد بن يوسف السنوسي، وهو صاحب حظوة عند العثمانيين، لأنه خدم الوجود العثماني في بلاد المغرب العربي ، وخصوصا الجزائر خدمة جليلة، وقد تولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر، من أشهر مؤلفاته، النبذة الشريفة في كلام عند أصول الطريقة، الأنس في شرح عيوب النفس، شرح الصلاة المشيشية، الحكم الصغرى، وقد ذكر المؤرخ أبو قاسم سعد الله أن مكوثه في الجزائر مدة ثلاثين سنة، وهذا بنا وفاة أحمد بن يوسف الملياني الذي التقى به الخروبي وتناقش معه، وقد كانت وفاته سنة 963هـ، للمزيد أنظر؛ أبو قاسم سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 499، محمد بن علي الخروبي، **شرح عيوب النفس**، تحقيق الأستاذ محمد الطيب إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ص 08 (مقدمة المحقق).

[2] كما انتشرت حكم ابن عطاء الله بشرح أحمد زروق عناية كبيرة في البرامج الدراسية في المدرسة الصوفية السودانية كمقرر تعليمي وكمنهاج، ومنها ما تلقاه أحمد بابا التنبكتي عن شيخه محمد بغيغ، للمزيد أنظر؛ كفايت المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص239.

أصبح التّصوف السّمة البارزة على العالم الإسلامي نهاية القرون الوسطى وبداية العصور الحديثة، فلا يمكن أن نمرّ على صفحات الكتب إلا ونجد "**الفقيه الولي الصّالح**"،[1] ولعلّ هذا التأثير في المنظومة المجتمعية لبلاد السّودان الغربي هو نفسه التأثير الحاصل في بلاد المغرب الإسلامي، وكنتيجة الحتمية تأثر أهل بلاد السّودان الغربي بظاهرة التّصوف، وأصبح السّمة البارزة في الحياة الاجتماعية والثقافية[2].

ومن الممارسات التي خلفتها ظاهرة التّصوف في بلاد السّودان الغربي، وهي نفسها التي شهدها المغرب الإسلامي نهاية القرون الوسطى، وهي الاعتقاد الزائد في الشّيخ، وظاهرة "**البركة**" والاعتقاد في الأولياء والصّالحين، وتلمّسُ الشّفاء على أيديهم وعند عتبات قبورهم[3]، وقد عدد لنا محمود كعت العديد من القبور التي تقصد للعلاج والتّداوي وطلب البركة[4]، وقد حدث على الفقيه سيدي يحي التادلسي (ت866هـ: " ...الفقيه الإمام الولي السّالك العارف الرّباني، القدوة المكاشف القطب الغوث"[5]، إنّ هذه الأوصاف الصوفية لها دلالة حول الحالة الاجتماعية السّائدة في السّودان الغربي، وهذا يدل على أنّ بلاد السّودان الغربي تأثر تأثرًا كبيرًا بالطّابع الصّوفي المغربي، وسيظهر التأثير الكبير الذي سيظهر واضحًا في الإنتاج العلمي الصّوفي مع بداية العصر الحديث، مثل دور الفقيه والعالم سيدي المختار الصّغير بن سيدي محمد الكنتي (1790هـ/1846م) ولعلّ الجدول التالي يوضّح الصّورة حيث تظهر جليا النزعة الصّوفية عند كتاب بلاد السّودان الغربي.

---

[1] عن أوصاف أنظر المطلب الثالث من المبحث الثالث الفصل الثالث.

[2] الطاهر خالد، **الثقافة الدينية المغربية وأثرها على إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 16 و17**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث نظام (ل.م.د)، تخصص تاريخ لإفريقيا جنوب الصحراء، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2020/2019، ص 243.

[3] محمود كعت، المصدر السّابق، ص ص 150، 151.

[4] حسين بوبيدي، **التّحولات الاجتماعية...**، المرجع السّابق، ص 374.

[5] السّعدي، المصدر السّابق، ص ص 50، 51.

-جدول رقم (8): يوضّح أوصاف متصوفة السّودان الغربي في الإستوغرافية السّودانية:

العالم المتصوف	أوصافه في المصادر	المصدر
أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت تنكبتي	"كان خيرًا صيّتًا ورعًا زاهدًا أواهًا وليًا مباركًا معروفًا بالصّلاح...له تواليف في التّصوف..."	تاريخ السّودان ص 41
مسر بوب الزغراني	"عالمًا فاضلاً خيّرًا صالحًا عابدًا "	تاريخ السّودان 186
أبو زيدعبدالرّحمان بن محمود بن عمر بن محمد أقيت	الشّيخ الصّالح الولي النّاصح العارف	تاريخ السّودان ص194
عثمان دوم	"قبره معروف يستجاب الدّعاء عنده مجرب اتفاقًا لا يرد الدّعوات...رأيته بعيني ودعوت الله عنده بدعوات استجاب الله لي "	تاريخ الفتاش ص 151
محمد بغيغ بن محمود	جربته أنا بنفسي ورأيت الإجابة ولله الحمد	تاريخ الفتاش 151
أبو عبد الله محمد البكري	"السيد الولي الصالح ..."	تاريخ السّودان ص151
أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى عريان الرأس	من عباد الله الصّالحين زاهدًا سخيًا الولي المكاشفة صاحب الكرامات	تاريخ السّودان ص186 فتح الشكور، ص 111
محمد ساقوا الونكري	كان فقيهًا عابدًا صالحًا وليا سكن جني	تاريخ السّودان ص 14
القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ	"والد العالمين الفاضلين الصّالحين محمد بغيغ وأحمد بغيغ..."	تاريخ السّودان ص 19

الفقيه محمد الكابري	العالم الفاضل الولي ذي الكرامات والعجائب لا يقدم عليه في الصلاح إلا أصحاب رسول صل الله عليه وسلم	تاريخ السّودان ص 27
الفقيه أحمد بن أندغ محمد	العالم الفطن الزكي الكبير العالم بكل فنون العلم الفقه النّحو والأشعار.	تاريخ السّودان ص 30
بابكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد اقيت	العالم الزاهد المتصدق المنفق على الأيتام	
عبد الله البلبالي	ومن كرماته وبركاته	تاريخ السّودان ص194 فتح الشكور ص282
أبي القاسم التواتي	كان ذا كرامات وبركات يطعم الطعام وأكثر طعامه للمداحين لشدّة حبه لمح النبي صلى الله عليه وسلم وموضع المدح قريب من داره	تاريخ السّودان ص 202-203 تفتح الشكور ص132
أبو زيد عبد الرحمان ابن سيدي ولي الله تعالى الفقيه القاضي محمود بن عمر	الولي الصّالح المتبرك به	تاريخ السّودان ص348
الشّيخ سيدي أحمد البكاي (10هـ)	الولي العارف بالله تعالى المتبرك به ...يزوره الشّرفاء والأولياء والصّالحون، ويأتون بالفتوحات وينحرون عند قبره ويتصدقون به على الفقراء والمساكين	فتح الشكور، ص31

-جدول رقم (9): يوضّح مخطوطات علماء المغرب الأوسط في علم التّصوف في بلاد السّودان الغربي[1]:

عنوان المخطوط	المؤلف	مكان وجوده
شمس القلوب ومعاملة المحب مع المحبوب	عبد الرّحمن بن يوسف بن عبد الرّحمن البجائي (ت599هـ)	المكتبة العمرية (سيغو)
العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي	المكتبة العمرية(سيغو)
النفحات القدسية (سينية بن باديس)	الحسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني (ت787هـ)	المكتبة العمرية(سيغو)
عمل اليوم والليلة	محمد بن عبد الكريم المغيلي	المكتبة العمرية(سيغو)
شرح كتاب الأنس في تنبيه على عيوب بالنفس لزروق	محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري (ت963هـ)	المكتبة العمرية(سيغو)
قصيدة الجوهرة	أبو مدين الأندلسي التلمساني 594)	المكتبة العمرية(سيغو)
مقتطفات من كتاب مسلك سائق للسعادة	عمر بن قدورة الجزائري	مكتبة ماما حيدرة مالي

المبحث الثالث: الحركة العلمية والثقافية في بلاد السّودان الغربي

المطلب الأول: المدارس والتدريس في بلاد السّودان الغربي

1-مراحل التّعليم

-مرحلة التعليم الأساسي (الكتاتيب): في هذه المرحلة يتبقى الولد مبادئ العلوم الشّرعية من حفظ للقرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة[1]، وبادئ الحساب

[1] أحمد أبو الصّافي جعفري، المرجع السّابق، ص وما بعدها.

وبعض المتون العلمية في الآداب والحكمة والفقه[2]، وقد تحدث محمود كعت عن الكتاتيب في حاضرة تنبكت قائلاً: "**وفيها المدارس معلمي الصبيان الذين يقرؤون القرآن مائة وخمسين أو ثمانين مكتبا علة ما ذكره الشّيخ محمد أحمد...**"[3]، وإلى جانب تنبكت لا تقل عنها حاضرة غاو في عدد الكتاتيب فقد ازدهرت ازدهارًا كبيرًا، وهذا يدل على اهتمام المجتمع السّوداني في تنشأت الرّعيل الأول نشأة إسلامية صحيحة[4]، وذكرت لنا المصادر السّودانية أن من أشهر الكتاتيب، مكتب الفقيه أبو قاسم التّواتي، الذي يقع قبالة المسجد الجامع في تنبكتو لاصقًا به[5].

-**مرحلة التعليم المتوسط:** بعد أن يتمكن الطالب من حفظ القرآن الكريم، ويتقن القراءة والكتابة جيدًا، ينتقل إلى مرحلة تحصيل العلوم الشّرعية مثل الفقه المالكي من خلال تدرج في شرح المتون، وتلقي علوم الحديث والتّفسير، والسّيرة النّبوية[6]

-**مرحلة تعليم العالي:** تتميز الدّراسة في هذه المرحلة بالتعمق في القضايا الأصولية والشّروحات الدقيقة، ودراسة أمهات الكتب وحفضها مع شرحها ودراستها وتأخذ عنها الإجازات في كتاب الفلاني وغيرها[7]، وتتم عمليه المدارسة في هذه

---

[1] هارون المهدي ميغا، **المدارس الإسلامية في غرب إفريقيا مشكلات وحلول**، مجلة الفيصل، العدد 257، مارس، 1998، المملكة العربية السّعودية، ص 26.

[2] مهدي رزق الله أحمد، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية**، ط1، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998، الرياض، ص 284.

[3] محمود كعت، المصدر السّابق، ص219.

[4] عبد الرحمان ميغا، **الحركة الفقهية**، المرجع السّابق، ص 153؛ طاهر خالد، المرجع السّابق، ص 190.

[5] عبد الرحمن السّعدي، المصدر السّابق، ص58.

[6] نفسه، ص16.

[7] عبد القادر زبادية، المرجع السّابق، ص144.

المرحلة في أغلبها في المساجد فهي بمثابة الجامعات في وقتنا هذا، ومن أشهر المساجد التي كانت تؤدي وظيفة تكوين العلماء والفقها والقضاة نذكر من أشهرها:

-**مسجد سنكري:** يعود بنائه إلى السّيدة الفاضلة غلالية كانت من أثرياء تنبكت[1]، وتم بناؤه على مدار قرن من الزمن، ازدهر في عهد الأسقيين، كان جامعة بمفهومنا اليوم تعج بالطلبة العلوم الشّرعية.

-**مسجد سيدي يحي التّادلسي:** من مساجد تنبكت التي لعبت دورًا كبيرًا إرساء العلوم الشّرعية بناه محمد نض حاكم تنبكت من قبل سلطان الطوارق في القرن 9ه/15م، تخليدًا للفقيه المغربي سيدي يحي التادلسي (ت866ه/1586ه)، من الأوائل المدرسين في تنبكت[2].

-**مسجد التّواتيين:** بناه محمد بن علي التّواتي، الذي قدم من توات سنة (920ه/1541م)، مع جماعة من التّواتيين، تولى فيه التّدريس ثلة من الفضلاء والفقهاء العاملين منهم الفقيه محمود بن محمد الزعراني التنبكتي[3].

-**المحضرة:** ظهر هذا النّوع من أماكن العلم في بلاد شنقيط (موريتانيا)، وهي مشتقة من الحضور لإلقاء المحاضرات العلمية[4]، وهي كذلك جامعة شعبية تستقبل كل من يرد إليها، من جميع المُستويات الثقافية، والفئات العمرية[5]، نشأة أول محضرة تعليمية كانت من قبل المصلح عبد الله بن ياسين حولي سنة431ه/1039، يأتي دور هذه المحاضر في بلاد شنقيط خلال العصر الحديث

---

[1] طاهر خالد، المرجع السّابق، ص 195.

[2] عمار هلال، **الطرق الصّوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السّمراء**، منشورات وزارة الثقافة والسّياحة، الجزائر، 1983، ص 77.

[3] مبخوت بودواية، **العلاقات الثقافية والتّجارية...**، المرجع السّابق، ص 196.

[4] مسعد حسين محمد، **وقفات على بلاد شنقيط**، ط2، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، 2019، ص 35.

[5] خليل النحوي، المرجع السّابق، ص 54.

والمعاصر منافسة بذلك مؤسسات علمية عريقة في بلاد المغرب الإسلامي مثل القرويين (المغرب) وتوات (الجزائر).

2-أساليب تلقين العلوم الشّرعية

-**الحفظ:** هي الطريقة السّائدة في العلوم الشّرعية خاصة في القرآن الكريم والحديث، ويضاف إليها حفظ أمهات الكتب الفقه والمتون العلمية[1].

-**أسلوب التلقين أو الترديد:** يطبق هذا الأسلوب على المبتدئين خاصّة في طريقة حفظ القرآن الكريم في اللّوح، إلى جانب ذلك تلقين بعض المتون العلمية بغية حفظها بطريقة سليمة.

-**أسلوب الكتابة:** ذلك هو أسلوب يتماشى مع التلقين أو الترديد لكن يطبق في مرحلة التعليم المتوسط.

-أسلوب العرض على الشّيخ: هذا أسلوب يطبق بكثرة في أخذ الإجازات، حيث يقوم الطالب بقراءة كتاب علة الشّيخ بغية تصحيح ما يقرأه وتقويم ما يحتاج إلى التقويم، فقد ذكر لنا أحمد بابا التّنبكتي في ترجمة شيخه محمد بغيغ: "**ختمت عليه مختصر خليل بقراءتي وقراءة غيري عليه نحو ثمان مرات...وكثيرا من تحفة الأحكام لابن عاصم مع شرحها لابنه كلها بقراءتي**"[2]

-**أسلوب الشّرح:** يطبق هذا الأسلوب خاصّة في مرحلة الدّراسات العليا، حيث يقوم طالب ينوب عن الجماعة بقراءة حديث شريف أو أبيات من متن علمي، ثمّ يقوم الشّيخ بشرح وتقريب الفهم، ويعلق على مواضيع التي تحتاج للتّعليق، ويورد الخلاف في المسألة[3].

---

[1] عبد الرحمن ميغا، **الحركة الفقهية**، المرجع السّابق، ص 355.

[2] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السّابق، ج2، ص239.

[3] عبد الرحمان ميغا، **الحركة الفقهية**، المرجع السّابق ص 157.

-**أسلوب الإجازة:** تُعدّ هذه الطّريقة من أهمّ العوامل التي نشّطت الحركة العلمية والثّقافية في العالم الإسلامي، وخاصّة في تنقل العلماء من مكان لآخر بحثًا عن العلم المتصل بالسّند عن الشّيخ، جاء تعريفها عند الاصطلاحيين بقولهم: "هيّ إذن الشّيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه، وذلك بقوله: أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو ما صحّ عندك من مسموعاتي"[1]، ومن شروطها العلم والثّقة ومجازًا معترف به من أهل العلم [2]، ومن نماذج هذه الطّريقة في بلاد السودان الغربي، أنّه في ترجمة الفقيه محمد بغيغُ: "وأجازني جميع ما يجوز له"[3]، وقال: "...**وقرأت عليه صحيح البخاري نحو النصف وسمعته بقراءته...وسمعت بلفظه المعيار للونشريسي كاملا...**"[4] وإجازة الزموري للمختار النّحوي[5]، وإجازة يحي بن الحطاب لأحمد بابا التّنبكتي مكاتبة "أجازني مكاتبة ثم عمم وكتب إلى بخطه"[6]،

---

[1] صفي الدين الحلبي، **قواعد الأصول ومقاعد الفصول في أصول الفقه**، تحقيق، إلياس قبلان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019، ص 70.

[2] عياض بن موسى اليحصبي، **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص41.

[3] عبد الرحمان السّعدي، المصدر السّابق، ص176.

[4] أحمد بابا التّنبكتي، **كفاية المحتاج**، المصدر السّابق، ج2، ص 240.

[5] نفسه، ص211.

[6] نفسه، ج2، ص240.

-جدول رقم (10): يوضّح التّخصّصات العلمية لعلماء السّودان الغربي

العالم	التّخصص العلمي/ التّوجه العلمي	الصفحة
محمود كعت	الفقه، التّاريخ	الفتاش ص 64
عمر بن محمد أقيت	إمام وقاضي	الفتاش ص 67
محمود إبراهيم بن عبد الرحمان السيوطي	فقيه ومؤذن	الفتاش ص 68
أحمد بن عمر بن محمد أقيت(ت943هـ)	عالم، فقه، محدث، المنطق	كفاية المحتاج، ج1، ص 137
أحمد بن محمد بن سعيد (ت976هـ)	عالم فقيه، مدرس	الكفاية، ج1، ص139
عبد الله بن عمر بن محمد أقيت (ت929)	مدرس، متصوف	الكفاية، ج1، ص255
العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت991هـ)	متصوف	الكفاية، ج1، ص377
محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت937هـ)	فقيه، قاضي، منطقي	الكفاية، ج2، ص234
محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التّنبكتي (ت1002هـ)	فقيه، متصوف، مدرس	الكفاية، ج2، ص237
عبد العزيز التكروري (خلال ق9هـ)	عالم فقيه	الكفاية، ج1، ص276
أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت	مدرس، قاضي، محدث،	الكفاية، ج2، ص281
محمود بن أبي بكر بغيغُ	قاضي، فقيه	تاريخ السودان، ص120

3-المكتبات:

على غرار العالم الإسلامي، انتشرت المكتبات في بلاد السّودان الغربي، مساهمة بذلك في الحركة العلمية والثّقافية، لقد تعدّدت طرق وصول الكتاب إلى بلاد السّودان الغربي من الشّراء، والنّسخ، والمهدات...الخ، وقد أشار لنا حسن الوزّان وفرة المخطوطات والكتب المنسوخة، وأنّها تدر أرباحًا تفوق سائر البضائع السّوق، والتي تأتي من بلاد البربر[1]، وفي حديثنا عن نسخ الكتب، تُعدّ هذه الأخيرة من بين المهن التي امتهنا بعض طلبة العلم، فقد ذكر من الكتب الأوائل التي نسخت مثل: "**كتاب التّهذيب مسائل المدونة للإمام البراذعي**، وكان النّسخ سنة 876هـ، وكتاب "**شرح ابن عبادي لحكم ابن عطاء الله السكندري سنة** (963) ، كما عثر على نسخ من مؤلف "تدبير الإمارة للإمام الحضرمي الفقيه المرابطي.

تميزت مكتبات ودان بوجود نسخ أصيلة من المخطوطات مثل: كتاب "**تصحيح الوجود والنّظائر لأبي هلال العسكري**" تم نسخه في قرطبة سنة 480، و"**البيان والتّحصيل**" لابن رشد، ورسالة في شرح علة ترتيب اقليدس اشكال كتابه في الهندسة لمؤلفه ثابت بن قرة المتوفي سنة 288هـ، ورسائل في شرح كتاب اقليدس لابن جعفر محمد بن الحسن البدادي (ت310هـ)[2].

فعملية نسخ المخطوطات، من بين المظاهر الدّامغة على انتعاش علم المكتبات، وكيف ولا وهي أساس العلمية التّعليمية، وقد ورد في السّعدي أنّ نسخة من قاموس عربي بيعت بثمانين مثقالاً من الذّهب[3]، و يذكر لنا محمود كعت أنّ أوّل من اتّخذ خزائنا للكتب الأسقيا داود، وكان له نسلخ كثيرون وكان يهادي بها العلماء[4]، وهذا دليل كذلك على ما سبق مكانة العلماء في أعين الحكام، أما إذا

[1] حسن الوزّان، المصدر السّابق، ص 167.

[2] أحمد ولد محمد يحي، المرجع السّابق، ص 11.

[3] عبد الرحمن السعدي، المصدر السّابق، ص 297.

[4] محمود كعت، المصدر السّابق، ص 135.

جئنا لنحرر المكتبات فبتأكيد يكون العلماء في الطليعة، ومن أشهرها المكتبة التي كانت تملكها أسرة آل آقيت[1]، وعلى رأسها القاضي أحمد بن أحمد بن عمر، فقد كان مهتما بجمع الكتب النادرة والثمينة، وكانت هذه المكتبة مفتوحة لطلبة العلم ولكل من يريد المعرفة العلمية سموحا بإعارتها، وقد ورثها أحفاده بلغت سبع مئة مجلد[2].

وقد عرف عن الإمام أحمد بابا التّنبكتي حبه لجمع الكتب، حيث أنّه يذكر أنّه أقلّ عشيرته كتبًا، وقد نهبت ستة عشر مائة مجلد خلال محنته التي أنزلها عليه القائد محمود بن زرقون قائد الجيش السّعدي[3]، وقد أشار العلامة المختار السّوسي صاحب المعسول في حديثه عن الحركة العلمية في عهد السّعديين، رأى مخطوط لمحمد الحضيكي صاحب الطّبقات يتضمن معلومات عن مكتبات السّعديين في بلاد السّودان، وقال: "**بأنّ السّعديين بعد أن تسلموا مقاليد المغرب والصّحراء والسّودان صرفوا عنايتهم لجمع الكتب العلمية من أقاصي السّودان إلى أقاصي المشرق**"[4]، وأسرة "**كعت**" كذلك لها باع في وشُهرة في جمع الكتب، فقد توارثت

[1] يرجع أصل أسرة آل أقيت إلى قبائل مسوفة لصنهاجية، والتّسمية إلى جدهم الأول محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي المسوفي الشهير بأقيت، الذي وصل إلى منطقة ماسنة قادما من الشمال واستقر بها فترة من الزمن ثم سافر إلى ولاته ثم بعدها إلى تنبكتو، استقر مع أبنائه الثلاثة عمر، وأحمد، ومحمود، وتزامن ذلك مع الحركة العلمية النّشيطة في تنبكتو خلال القرن الثّامن الهجري، وخلالها تمكن سني عي من مداهمة تنبكتو ومحنة العلماء فيها، فر عمر إلى ولاته وهناك كانت له ذرية منهم عبد الله، وأحمد ، ومحمود، وهم الرعيل الأول الذي يتصدر المشد العلمي والثقافي في تنبكتو، **للمزيد أنظر**؛ السّعدي المصدر السّابق، ص 155 وما بعدها، محمود كعت، الصدر السّابق، ص 43،

[2] أحمد بابا التنبكتي، الكفاية، المرجع السّابق، ص13.

[3] الوفراني محمد الصغير، المصدر السّابق، ص258.

[4] محمد المختار السّوسي، **المعسول**، ج11، مطبعة النجاح، 1963، الدار البيضاء، المغرب، ص336.

مكتبة جدها ألفع كعت الجد، ومنها تمكن صاحبنا محمود من اكتساب تلك الثقافة الإسلامية الكبيرة[1].

كما اشتهرت مكتبات في حواضر عديدة من بلاد السّودان الغربي منها ولاته، مثل مكتبة أهل سيدي عثمان من فرع المحاجيب، وقد أشرف عليها القاضي أحمد الوالي المحجوبي الولاتي (ت1095هـ)، كما أنّ الأسرة المحاجيب[2] اشتهرت بالعلم والصّلاح والولاية، كما كانت بمدينة تشيت مكتبة الفقيه أبي بكر بن الأمين المسلمي التيشيتي (ت11هـ)[3]، الذي خلف مكتبة كبيرة عامرة بالكتب النّادرة، وقد ذكر أنّ ابنته عائشة اشترت شرح ابن حجر العسقلاني لصيح البخاري بقيمة سبعين حقا من الإبل ذهبا وأوقفتها على مكتبة أبيها للعامة من طلبة العلم[4].

المطلب الثاني: حركة التأليف في بلاد السّودان الغربي

تعتبر حركة التّأليف في بلاد السّودان الغربي في المجال العلوم النقلية جديرة بالاهتمام، فالعلوم الشّرعية التي ميزت الحركة لها صلة وثيقة بالعالم الإسلامي فهم يشتركون في أصل المنبع، وبالمغرب الإسلامي الصّلة القويّة بحكم القرب والمذهب الواحد والعقيدة الواحدة، ويظهر ذلك من خلال الاعتماد على التراث الفقهي المغربي في العملية التعليمة مثل المقررات (مختصر خليل...الخ) والتأليف مثل شروحات والحواشي والتعليقات.

---

[1] أبو بكر إسماعيل ميغا، المرجع السّابق، ص 235.

[2] يرجع أصل أسرة المحاجيب إلى مجموع أسرة في شكل اتحاد في مدينة ولاته.

[3] ولد ميابي حماه، **تاريخ تشيت رسائل وأشعار**، المكتبة الوطنية، (د ت)، نواكشوط، موريتانيا، ص 70.

[4] بلفرح عبد الرحمن، المكتبات الخاصة في بلاد السودان الغربي، دراسة وصفية، مجلة الإنسان والمجال، مجلد7، العدد1 جوان2021، ص 149

1-علم القراءات

السّودان الغربي مثلها مثل باقي العالم الإسلامي، فالقرآن الكريم هو مصدر العلوم كلّها الدينية والدنياوية، فكان اهتمام علماء بلاد السّودان الغربي بهذا الكنز الثّمين من خلال حفظه وتجويده وفرضه والعمل به، وممّا يدل على ثراء علم القراءات في بلاد السّودان الغربي هو الكم الهائل من المؤلفات الأولى في علم القراءات من علماء المشارقة والمغاربة، التي كان لها وزن في سيرورة درس القراءات.

من أشهرها نذكر: "**تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع في أصل مقرئ الامام نافع**" ليحي بن سعيد الكرامي السّملالي (ت793هـ)، وكتاب «**تحصيل المنافع على الدرر اللوامع**" لعلي بن محمد اليعربي أبو الحسن المعرف بابن فرحون (ت746هـ)، وكتاب "**النشر في القراءات العشر**" لمؤله محمد بن محمد أبو الخير المعروف بابا الجزري (ت733هـ)، وكتاب "**تبصرة المبتدئ وتذكرة للماهر المجود** (مؤلف مجهول)[1]، وبتأكيد أن لهذه المؤلفات دور كبير في التكوين القاعدي لبروز ثلة من علماء السودان الغربي في هذا العلم تأليفا وأداءا.

و من جملة العلماء الفقهاء الذين برزوا في هذا المجال نذكر الفقيه المقرئ سيد ابن عبد المولى الجلالي، **المقرئ الفقيه إبراهيم الزلفي (ت922هـ)** من مشاهير المقرئين في مدرسة أبي قاسم التواتي، أخذ عنه جمله من قراء السودانيين منهم: الفقيه عمران السعدي يقول فيه السعدي: "...**السيد الفاضل الصالح الخيّر الزاهد المقرئ عالم التجويد الفقيه إبراهيم الزلفي وهو أستاذ والدي**"[2]، ومنهم المقرئ عبد الله بن أحمد بري بن أحمد الفقيه أندغ محمد الجد (ت1010هـ) كان

[1] أحمد ولد محمد يحي، **فهرس مخطوطات شنقيط وودان**، مؤسّسة الفرقان لتراث الإسلامي، 1997، لندن، ص 50 وما بعدها.

[2] السّعدي، المصدر السّابق، ص58، البرتلي، المصدر السّابق، ص71

مهتما كثيرا بالقراءات والتوثيق[1]، ولا ننسى الفقيه أحمد بن أبراهيم بن أبي بكر بن القاضي الحاج، روى عنه السعدي ما يفيد حرصه على هذا العلم فقال: "...**وروى عن شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد أخي الفقيه عبد الرحمان أنه قال: لا يحول بين الشيخ أحمد هذا ودرس المصحف إلا قراءة العلم...**"[2]

2-علوم التّفسير:

وهو العلم الذي يتّصل بالقرآن الكريم وهو أصل العلوم، كان التّفسير له منزلة كبيرة في بلاد السّودان الغربي، نتيجة عوامل داخلية وخارجية، ومن هذه العوامل التراث العلمي الذي خلفة فقهاء المغاربة وخصوصا فقهاء المغرب الأوسط، فقد أوصل الفقيه الامام عبد الكريم المغيلي التلمساني مؤلفين عظيمين في علم التفسير، وهما: **(تفسير فاتحة الكتاب)**، و**(البدر المنير في علوم التفسير)**[3]، ومن مؤلفات الأوائل التي وصلت إلى بلاد السودان الغربي نذكر: "**كتاب تصحيح الوجود والنظائر من كتاب الله**" لمؤله الحسن بن عبد الله العسكري (ت395هـ)، وكتاب "**لباب التأويل في معالم التنزيل**" للحسن بن مسعود بن محمد البغوي (ت510هـ)، وكتاب "**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**" لأحمد بن يوسف بن محمد الحلبي الشّافعي المعروف بابن السمين (ت756هـ)، وكتاب «**كتاب في التفسير**" لعبد الرؤوف تاج العارفين بن على المانوي (ت1031هـ)[4].

تتمحور دور المؤلفات الآنفة الذكر في تكوين قاعد لدى فقهاء السّودان الغربي، ولا تكاد تجد درس تفسير دون الإشارة لهذين المؤلفين لأهميتهما في علم التفسير، كما ذكر لنا أحمد بابا التنبكتي أن مصنفات الإمام العبد الرحمن الثعالبي حاضرة في تنبكت ولها وزن في سيرورة الدرس التفسيري قائلا: "...**ورأيت بخط**

[1] نفسه، ص 36، البرتلي، المصدر السّابق، ص39.

[2] السّعدي، المصدر السّابق ص 83.

[3] ابن مريم، المصدر السّابق، ص ص254، 256.

[4] أحمد ولد محمد يحي، المرجع السّابق، ص 50 -55

بعض العلماء الفضلاء أنه بخط الثعالبي بإجازة عدة فيها تأليفه وزاد تحفة الإخوان بالتبرك بإعراب بعض آيات القرآن، والذهب الإبريز في الغريب وأغربها بعض آيات القرآن العزيز...وقد وقفت على هذين الأخيرين ببلدة تنبكت وعلى كثير ما تقدم ذكره" [1]

أمّا إذا جئنا لنحصي من برع في علم التفسير من فقهاء السودانيين فإننا نذكر من مشاهيرهم: الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله التنبكتي فقد كان من كبار المفسرين بسنكوري[2]، وبرع الفقيه المفسر المحدث أحمد بابا التنبكتي في هذا المجال، فقد أخذ عنه الفقيه أحمد بن الحاج محمد فهدي بن أبي فهدي التواتي ثم المراكشي أنه أخذ عنه تفسير ذي الجلالين المحلي والسيوطي في عامين مرتين قراءة وتحقيق وتفهم وتدقيق[3]، والفقيه محمد بن سعيد اليدالي ولد عان 1096هـ، له تأليف "الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز"، في أربع مجلدات[4].

3-علم الحديث:

يأتي علم الحديث في المرتبة الثانية بعد علوم القرآن الكريم، لكونه المصدر الثاني في التشريع الإسلامي، وعلى غرار اهتمام العالم الإسلامي بالحديث النّبوي الشريف، اهتمّ فقهاء السّودان الغربي بهذا العلم، وتسابقوا لأخذه بالسّند الصّحيح المتّصل برسول الله -**صلّ الله عليه وسلم**-، في بداية كانت جلّ المؤلفات التي تتصل بهذا العلم هي مؤلفات مغربية أو مشرقية، نذكر منها: **موطأ الامام مالك**

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، **اللآلئ السندسية في الفضائل السنوسية**، تحقيق: محمود إبراهيم، موفم للنشر، 2011، الجزائر، ص 35.

[2] البرتلي، المصدر السّابق، ص39.

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ص341، والكفاية المحتاج، ج2، المصدر السّابق، ص ص240،237.

[4] مجموعة من المؤلفين، **من أبرز علماء شنقيط**، وزارة الثقافة والشّباب والرياضة، موريتانيا، 2013، ص 7.

(ت179هـ)، وكتاب " **حاشية الشّناوي على مختصر خليل**" لمؤلفه عبد الله بن سعيد الأزدي الأندلسي (ت695هـ)، كتاب "**مشارق الأنوار النّبوية من صحيح الأخبار المصطفوية**" للحسن بن محمد بن الحسين الصاغاني (ت650هـ)، وكتاب "**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**" لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت852هـ)[1].

على سبيل المثال للإمام مغيلي مؤلف عظيم في علم الحديث كان له الأثر الكبير في بلاد السّودان الغربي وهو: "**مفتاح النظم في علم الحديث**"[2]، أمّا إذا جئنا لنحصي فقهاء المنطقة فمن أشهر الفقهاء المحدثين أحمد بابا التّنبكتي الذي له تأليف "**المنهج المبين في شرح حديث أولياء الله المتقين**"، و"**فتح الرب المغيث بشرح ألفاظ الحديث**"[3] فقد كان أحمد بابا التّنبكتي ذا سند عال كما تدل إجازته التي منحها لتلميذه أحمد بن محمد المقري، حيث قال:"...**وأجزته أيضًا يروي عني كتاب الشفا للقاضي عياض...وصحيح مسلم...**"[4].

تدل هذه الاجازة من فقيه سوداني لفقيه مغربي، على تفاعل بين المنطقتين وحركة مثاقفة بين العنصر السّوداني والمغربي، فالفقيه أحمد بابا التّنبكتي كما سنرى له دور كبير في النّهضة العلمية في بلاد المغرب ومنها مؤلفه في تراجم لفقهاء المذهب، وقد ألف الفقيه المحدث محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التّنبكتي (ت1002هـ)، رسالة في الحديث، كما أن للفقيه أحمد بابا التّنبكتي مجموعة من المؤلفات في علم الحديث، وهي كتالي[5]:

---

[1] أحمد ولد محمد يحي، المرجع السّابق، ص 50 وما بعدها.

[2] بن مريم، المصدر السّابق، ص ص256،254.

[3] مخطوط، **فهرسة مخطوطات الإسلامية بدار الوثائق الوطنية ساحل العاج**، رقم الحفظ، MBKAMS/19.

[4] المقري، المصدر السّابق، ص 306، 312.

[5] أورد الباحث الطّاهر خالد في أطروحته أن هذه المؤلفات مطبوعة؛ للمزيد أنظر، طاهر خالد، المرجع السّابق، ص 132.

-استطراد الظّرفاء في شرح حديث الخلفاء الاثنا عشر

-إمتاع الأسماء بما قيل في إجراء ألفاظ رواة الحديث مجرى السّماع

-البدور المُسفرة في شرح حديث الفِطرة

-غاية الأمل في تفضيل النّية على العمل، في شرح حديث "نيّة المؤمن أبلغ من عمله"

-نيل الأمل في تفضيل النّية على العمل

-المنهج المُبين في شرح حديث أولياء الله المُحبّين

-نشر العبير بمعنى آيات الصّلاة على البَشير النّذير

ولا يمكننا أن نغفل عن الفقيه المحدّث محمد بن أحمد التّازختي فقد أخذ رواية الحديث بالسّند من علماء المشرق الاسلامي[1]،

4-علم الفقه والأصول:

كما أسلفنا سابقًا أنّ المذهب المالكي هو السّائد في بلاد السّودان الغربي ، وهذا راجع لعدّة عوامل منها اشتراكه في الحدود المباشرة مع بلاد المغرب الإسلامي والحركة التّجارية المتّصلة بين المنطقتين منذ العصور الإسلامية الأولى من أهم عوامل هذه السّيادة، بالإضافة إلى الرّحلة الحجية والعلمية، ودور السّلاطين وحكام بلاد السّودان، وقد عرف فقهاء بلاد السّودان الغربي المذهب المالكي برعوا فيه من حيث التأليف والشّروحات والمختصرات، فقد أورد لنا أحمد بابا التّنبكتي نصًا يلخص لنا محور العملية التّعليمية الفقهية في بلاد السودان الغربي فقال: "...**لازمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن حاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه، وأما خليل فمرارا عديدة...وحضرته كثيرا في**

[1] التّنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص 587؛ السّعدي، المصدر السّابق، ص39.

المنتقى والمدونة بشرح المحلى ثلاث...وكثيرا من تحفة الأحكام لابن عاصم... وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا..."[1].

وتجدر الإشارة أنّ للمغيلي دور كبير في سيرورة الدّرس الفقهي من خلال مؤلفاته الفقهية نذكر منها: **(مصباح الأرواح في أصول الفلاح)**، وحاشية على متن خليل سماها **(إكليل مغني اللّبيب)**، وقطعة على البيوع سمّاها **(مفتاح الكنوز)**، ومؤلف **(إيضاح السّبيل في بيوع آجال خليل)**، و**(تنبيه الغافلين عن مكر المبلسين بدعوى مقامات العارفين)** و **(مختصر تلخيص المفتاح)** وشرحه[2].

من بين الفقهاء الذين المشاركين في سيرورة الدرس الفقهي من خلال التّدريس والتّأليف، فنذكر منهم: أحمد التازختي صاحب شرح مختصر خليل[3]، والفقيه العاقب الأنصمني الذي قدم إلى بلاد السّودان الغربي من تأليفه: "**الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود**" و" **أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير**"[4]، وألف الفقيه محمود بن عمر أقيت مؤلفا فقهيًا حول مختصر خليل في جزأين[5]، وتجدر الإشارة إلى أن مجال الفقه خاصّة اتّسم بطابع المختصرات وتقييدات حول أمهات كتب الفقه كمتن خليل.

---

[1] التّنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص602؛ **كفاية المحتاج**، المصدر السّابق، ص ص240،239.

[2] نفسه، ص577، نفسه، ص214.

[3] أمطير سعد غيث، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/ السادس عشر والسابع عشر للميلاد**، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ص 245.

[4] التّنبكتي، **نيل الابتهاج**، المصدر السّابق، ص353.

[5] مطير غيث، المرجع السّابق، ص 244.

5-النّوازل والفتاوى:

تُعد النّوازل والفتوى من السّجلات الشّاهدة على فترات زمنية غابرة، وهي مادة مصدرية لدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسّياسية[1] لأيّ مجتمع، وبلاد السّودان الغربي لها حظ في هذا المجال بحكم طبيعة المذهب المالكي الذي انتشرت فيه ظاهرة كتابة الفتاوى والنوازل لتوثق حياتهم المرتبطة ارتباطًا بالتّشريع الإسلامي[2].

من أشهر الفقهاء الذين دوّنوا فتاوى ونوازل بلاد السّودان نذكر: نوازل الطّالب محمد بن مختار بن الأعمش العلوي الشّنقيطي (ت 1036هـ)، وهي باكورة المصنفات الإفتائية، وقد نالت إعجاب جلّ العلماء، وأصبحت مادة أساسيّة في مجالسهم، ولا تكاد تجد طالب أو عالم إلا ويرجع إليها ناقلاً أو متفقًا، قال عنها صاحب الوسيط: "**إنّه أول من جاد من أهل البلاد في تصنيف النّوازل، وكان من ألف فيها ينقلُ عنه**"[3]، وفي الحقيقة أن هذا العلم سيشهد ثورة في التّأليف بعد القرن 11هـ/17م، ومحل دراستنا لا تسمح بذكرها.

هذا وما يزال مجموعة كبيرة من المدونات الإفتائية والنّواز لية في رفوف المكتبات والمراكز حفظ المخطوطات، وقد حاول أحد الباحثين أن يجمع هذه النّوازل في كتاب ضخم كما فعل الإمام الونشريسي، وقد سمّاه: "**نوازل تكرور**"[4]، ولتعم الفائدة الجدول التّالي يضم أهمّ المؤلفات في مجال النوازل والفتاوى المحفوظة في مراكز المخطوطات في غرب إفريقيا.

---

[1] مجموعة مؤلفين، **التّأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يُكتب الإيجابيات الممكنة**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السّياسات، 2017، لبنان، ص 301.

[2] عبد الرحمان محمد ميغا، الحركة الفقهية، المرجع السّابق، ص81.

[3] أحمد بن الأمين الشنقيطي، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، تحقيق، فؤاد السّيد، مطبعة المدني، 1989 ص 578.

[4] نعبد الرحمن ميغا، المرجع السّابق، ص 82.

-جدول رقم (11): يمثل فهرست مخطوطات مركز أحمد بابا لتوثيق البحوث التاريخية بتنبكت[1]

عنوان المخطوط	اسم المؤلف	مكان حفظها
اللّمع في أجوبة المسائل الأربعة	أحمد بابا التنبكتي (1036هـ/1627م)	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في شأن تقسيم التركة	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (1002هـ/1594م)	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في الغصب	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م)	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في شأن من اشترى من سارق	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م)	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في شأن ميراث الزوجين	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م)	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في بعض المسائل الفقهية	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في شأن ماتعة الفراش	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في الناسي	محمد بن محمود بن أبي	مركز أحمد بابا بتنبكت

[1] مجموعة مؤلفين، **فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكت**، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1419هـ/1998م، لندن. ص80 وما بعدها

والعاجز	بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	
فتوى في من في ذمته فوائت	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في المسفرين للحلقة	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في الحرية	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
وثيقة في شأن من خالف القاعدة الشرعية في الفتوى	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في الطلاق	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في أنّ أولاد الزنا يمكن أن يكونوا من أهل الجنة بخلاف من حكم عليهم بأنهم من اهل النار	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التّنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
تنبيه الغافل في فراش الأعراش في أحكام لحوق الولد بالفراش	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
الهداية في جمع ونظم مبطلات الصلاه	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
تبصرة المختار في أن	محمد بن محمود بن أبي بكر	مركز أحمد بابا بتنبكت

سدل اليدين سنة المختار	الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	
فتوى في حكم التيمم	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتولى في نكاح الفاسد	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في الطلاق بثلاث	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في اللقطة	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
نازلتان في تجارة الرقيق	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى فيمن أدرك ركعة واحدة من صلاة الجمعة	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت
فتوى في النكاح	محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت1002هـ/1594م	مركز أحمد بابا بتنبكت

-جدول رقم (12): يمثل مخطوطات النّوازل والفتاوى المحفوظة في مركز نعمة ولاته (موريتانيا)[1]

[1] أحمد ولد محمد يحي، فهرس مخطوطات نعمة وولاته (موريتانيا)، تحقيق، إبراهيم شبوح، مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلامي، لندن، 2003، ص 6 وما بعدها.

عنـــــوان المخطـــــوط (المطبوع)	اسم المؤلف	مكان حفظها
فتوى حول ألواح جزولة	أحمـد بابـا التّنبكتـي (1036هـ/1627م)	موريتانيا
مسائل إلى علماء مصر	أحمـد بابـا التّنبكتـي (1036هـ/1627م)	موريتانيا
جواب عن ثلاثة أسئلة	أحمـد بابـا التّنبكتـي (1036هـ/1627م)	موريتانيا
جواب عن قوانين العرفية	أحمـد بابـا التّنبكتـي (1036هـ/1627م)	موريتانيا
اللّمع في أجوبة المسائل الأربعة	أحمـد بابـا التّنبكتـي (1036هـ/1627م)	موريتانيا

6-اللّغة العربية وآدابها

دخلت اللّغة العربية إلى بلاد السّودان الغربي مع انتشار الإسلام، حيث تظافرت جهود عديدة في توسيع رقعة استخدام اللّغة العربية وإحلالها مكان اللّغات المحلية، فالإسلام هو العامل الأساسي الذي فرض اللّغة، بحكم أنّها لغة فهم التّشريع الإسلامي، ثم تأتي بدرجة الثّانية احتكاك السّودانيون بالمغاربة والمشارقة في رحلاتهم الحجية والتّجارية والعلمية من انتشار اللّغة العربية بقوة، ومع نهاية القرون الوسطى خاصّة في عهد الأسقين تمكنت اللّغة العربيّة من فرض نفسها على باقي اللّغات المحلية وها هي الحركة العلمية وحركة التأليف تدل على أنّ اللّغة العربية قفزت من مستوى لغة التّواصل إلى لغة الحياة الاجتماعية والثّقافية والسّياسية.

شكل نزوح قبائل "**بنو حسان**"[1] و"**بنو معقل**" في المدن الصّحراوية من بلاد السّودان الغربي تحولاً نوعيًا في الثّقافة العربية الإسلامية وخاصّة في اللّغة العربيّة،

[1] قبائل بي حسان العربية يرفعُ نسبها إلى جعفر بن أبي طالب، فهم بنو حسان بن مختار بن محمد بن عقيل بن معقل بن موسى الهداج بن جعفر الأمير بن إبراهيم الاعرابي بن محمد

فقد كانوا سببًا في تعريب المنطقة من حيث لا يدرون ولا يريدون[1]، من خلال اللّهجة الحسانية التي هي أقرب لهجات المغرب العربي إلى الفصحى، ولعلّها من أنقى اللّهجات العربية عمومًا وهذا ما أثبته الدكتور محمد المختار بن أباه في مقدمة كتابه "**الشّعر والشّعراء في موريتانيا**"[2].

-**النّحو**: لا يعلم بالضبط متى دخل علم النّحو إلى بلاد السّودان الغربي، إلاّ أنّ جملة من المؤرخين الشّناقطة لهم فصل المقال في هذا، يرى الأستاذ خليل النّحوي أنّه دخل المنطقة في القرن السّادس الهجري على يد تلميذي القاضي عياض (ت533هـ): الشّريف عبد المؤمن، مؤسّس مدينة "**تشيت**" سنة 536هـ، والحاج عثمان، مؤسّس مدينة ودان سنة 536هـ[3]، حيث يقول: "**فلعلّ تلميذي القاصي عياض...قد جلبا النّحو ضمن ما جلبا من علوم اللّغة**"[4]، ومنهم من يرى أن دخول النحو كان مع قدوم عبد الله بن ياسين (ت450هـ)، والإمام الحضرمي (ت489هـ)، وإبراهيم الأموي (ت520هـ) الذين قدما إليها سنة 465هـ، من أغمات بالمغرب، وكنتيجة وصول العلماء والطبة من الشّمال حيث أحضروا معهم أمهات النّحو العربي مثل متن الأجرومية لابن أجروم الصّنهاجي (723هـ)، ومُلحة الإعراب للحريري البصري (ت516هـ)، وكافية ابن مالك (ت769هـ) وتسهيله، وألفيته في النّحو، ولاميته في التّصريف، وقطر النّدى لابن هشام (ت761هـ)، والبسط والتّعريف بما جهل من التّصريف (منظومة عبد الرحمن المكودي في

الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقد كان لحسان ثلاثة أبناء دليم وودي وحم، فانتشر دليم وأبناؤه وأتباعه وذراريهم في منطقة وادي الذهب وعلى ساحل الأطلسي، وانتشر ودي وقومه في بلاد شنقيط إلى أطراف السودان، وكان حم وقومه في قلب الصحراء من إيكدي إلى نهر نيجر؛ **للمزيد أنظر**: مختار النّحوي، المرجع السّابق، ص ص 33-32.

[1] مختار النحوي، المرجع السّابق، ص 32.

[2] محمد المختار ولد أباه، **الشّعر والشّعراء في موريتانيا**، ط2، دار الأمان، الرباط، ص 16.

[3] يحفظ عمرو إنجيه محمد عبد الله، **النحو العربي ببلاد شنقيط**، ط1، دار الوجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السّعودية، الرّياض، ص 41.

[4] المختار النّحوي، المنارة والرباط، المرجع السّابق، ص206.

التصريف (ت807هـ) وشرح المكودي على ألفية ابن مالك الذين وصلا إلى بلاد السّودان الغربي بواسطة محمد سعيد بن تكدي اليدالي (عاش خلال القرن العاشر)[1]، ثم تطورت الحركة الثقافية بشكل ملحوظ، وازدهرت ازدهارًا كبيرًا في القرن العاشر الهجري، وانتشرت المدراس والمحاضر الشّنقيطية وأقبل النّاس عليها بشغف، فكان لهم في رحابها رهبانية علم، وجهاد ثقافي كبير، وعطاء نثري وشعري[2]، فمن أشهر من ألف في هذا العلم نذكر: الفقيه عبد الله الملقب اند عبد الله بن سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله المحجوبي الولاتي (ت1037هـ)، فهو أول من ألف في النّحو في بلاد السّودان الغربي، شرح متن الأجرومية، قال عنه صاحب فتح الشّكور: "**وكان فقيهًا نحويًا، شرح الآجرومية شرحًا حسنا مختصرا**"[3]، كما ألّف الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن الفقيه المختار التيمبكتي (ت1014هـ) له تآليف عدّة منها: شرح ألفية السّيوطي سمّاها "**المنح الحميدة في شرح الفريدة**"[4]، كما أن الفقيه أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ) ترك عدة تآليف في هذا المجال نذكرها على النّحو التّالي:

-غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة

-الإبداء والإعادة في مساواة الفاعل للمبتدأ

-التّعاليق على مواضيع من خليل ومواضيع من ابن حاجب

-تعليق على أوائل الألفية

-منور الحالك في شرح بيتي ابن مالك

-النكت الزكية بشرح الألفية

---

[1] يحفظ عمرو إنجيه، المرجع السّابق، ص 83.

[2] خليل النّحوي، **منارة ورباط**، المرجع السّابق، ص 11.

[3] فتح الشّكور، المصدر السّابق، ص 283.

[4] نفسه، ص 283.

-الفتوحات القيومة في شرح الأجرومية

-فتح المحي في مسألة حي، وهو شرح لبيت من خلاصة

-المنح الحميدة في شرح الفريدة

-تكملة البجائي على الامية[1]

كما ألّف سيدي أحمد بن اندغ محمد بن أحمد التيمبكتي (ت1045هـ)، فقيه ونحوي ولغوي، له حظ في الأصول والبلاغة، قال صاحب فتح الشّكور: "له شرح حسن على الآجرومية سمّاه: (الفتوح القيّومية)، فيه فوائد مهمّة وفروع وتتمات يتشوف لها العالي الهمّة، يدل على سعة باعه في العربية وكثرة اطلاعه على دقائقها"[2]،

كما أن للفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن مختار التنبكتي (ت1014هـ/1606م)، جملة من التآليف في النحو نذكرها كتالي

-شرح ملفقات شواهد الخزرجية

-قطعة على المقامات الحريري

-حاشية على البجائي

-قصائد في الإمداح[3]

ب-الشّعر: ازدهر الشّعر في السّودان الغربي ازدهارًا ملفتًا لنظر، فقد تعددت أغراض، من الشّعر التعليمي إلى المدح.

---

[1] البرتلي، **فتح الشكور**، ص 72 وما بعدها،

[2] البرتلي، المصدر السابق، ص 77.

[3] نفسه، ص 80

كان في طليعة هؤلاء الشّعراء الفقهاء سيدي يحي التّادلسي له قصيدة من 22 بيتا في رثاء "**القاضي محمد الكابري**" مطلعها:

تذكّر فَفِي التّـــذكَارِ خَيرُ فَـــوائِد وَفِي طَـــيّه وِردُ عَلَى خَير وَارِدِ

أَلَمْ تَرَ سَفَر الحَثّ بِالفَضْل خَصّوا وَسَفَر ذَوي الأفكارِ أَحْظَى بِزائِدِ

تَفِئ لبّ المَرءِ طَـــيّبه الصِّبَـــا فَيَـــلْحَقُ فِتيَانا وَيَقْوَى لِسَـاعِدِ

وللفقيه أحمد بابا التّنبكتي قصيدة في الحنين إلى الوطن قالها في ديار الغربة في مراكش، مطلعها:

أَيَا قَاصِدًا كَاغو فَمُج نَحْو بَلْدتِي وَزَمْزم لَهُم بِاسْمِي وَأَبْلِغْ أَحِبّتِي

سَلامًا عَطِيرًا مِنْ غَرِيبٍ وَشَائِقِ إلى وَطَنِ الأحْبَابِ رَهْطِي وَجِيرَتِي

وَعِنـدَ أَقَـــاربَ هُنَاكَ أَعِـــزّةٌ عَلَى السّادة الأوّل دُفِنْتُ بِغُربَتِي

المطلب الثالث: المثاقفة بين علماء السّودان الغربي وعلماء المغرب الأوسط: (أحمد بابا التّنبكتي نموذجًا)

1-أحمد بابا التّنبكتي (مولده ونشأته العلمية ومحنته)

هو العلامة أحمد بن الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي بن كدالة الصّنهاجي المسوفي الماسني التّكروري التّنبكتي السّوداني، المالكي المشهور بـ "بابا"، ويكنىّ بأبي العبّاس[1]، أمّا مولده فكما يقول هو عن نفسه: " **مولدي كما وجدته بخط والدي ليلة الأحد حادي والعشرين من ذي**

[1] أحمد بابا التّنبكتي، **كفاية المحتاج**، المصدر السّابق، ج2، ص 513؛

حجة ختام عام ثلاثة وستين وتسعمائة هجرية[1] الموافق لـ 26 أكتوبر 1556م[2]، بقرية أروان التي تبعد من تنبكتو بحوالي 300كلم[3]، وقيل بمدينة تنبكت[4].

لقد حضي الفقيه أحمد بابا التنبكتي بتكوين علمي عال المستوى وهذا راجع إلى الأسرة العلمية التي تربى في أحضانها (أسرة آل أقيت)، التي توارثت رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة[5] فقد كان جده أحمد بن عمر بن محمد أقيت من أكابر العلماء في وقته، ووالده أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت كان عالمًا فقيها كون مكتبة من المُصنّفات النّادرة والنّفيسة فأخذ عليه الحديث سماعًا والمنطق والرّسالة تفقها، ومقامات الحريري[6]، فقد درس النّحو على عمّه أبي بكر الشّيخ الصّالح، والتّفسير والحديث والفقه والأصول والبيان والتّصوف على يد الشّيخ بغيغ[7]، كما أخذ بعض العلوم في مكة المكرمة خلال رحلته الحجية[8].

---

[1] نفسه، ص 516.

[2] عبد الرحمان محمد ميكا، **جهود العلماء الأفارقة في خدمة المذهب المالكي أحمد بابا التنبكتي أنموذجا**، مجلة العلماء الأفارقة، السّنة الأولى، شهر صفر 1441هـ الموافق لشهر أكتوبر 2019م، العدد الأولى، مؤسّسة محمد السّادس للعلماء الأفارقة، المغرب، ص 197.

[3] قاسم جاخاتي، **المخطوطات الافريقية المكتوبة باللغة العربية ودورها في التعريف بالتراث الإسلامي في غرب إفريقيا مخطوطات أحمد بابا التنبكتي والشيخ موسى كمرا نموذجًا**، مجلة رفوف، المجلد 1، العدد1، جوان 2013، جامعة أدرار، ص 73.

[4] محمد الأمين ولد أن، محمدان محمد التلميدي، **الحياة العالمة في السّاحل والصّحراء: حياة أحمد بابا التنبكتي نموذجًا**، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 16، العدد 27، جوان 2015، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، ص 526.

[5] أبو العباس الناصري، المصدر السّابق، ج5، ص 129.

[6] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السّابق، ج1، ص ص 137-138.

[7] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السّابق، ص341.

[8] أبو قاسم سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003، بيروت، ص 81.

تعرّض فقهينا أحمد بابا التّنبكتي إلى محنة شديدة خلال الغزو المغربي لمملكة سنغاي سنة 1591هـ، حيث تمّ استصدار مرسوم يقضي بترحيل كلّ من له كلمة مسموعة مخافة أن يكون لهم ثورة على الحكم المغربي، فكان عددهم سبعين عالمًا وفقيهًا ووجيهًا مع أسرهم وأولادهم، ومنهم أحمد بابا التّنبكتي والفقيه أبو حفص بن عمر والقاضي عمر بن محمود[1].

كانت الرّحلة أواخر محرم سنة 1012هـ/أكتوبر 1593، ووصلوا إلى مراكش في أول رمضان سنة 1012هـ/ 1594، واستقروا بها مع عيالهم في حكم الثقاف (السّجن) إلى أن انصرم أمد محنتهم[2]، فسرحوا يوم 21 رمضان إلى مكان الإقامة بمراكش، وخلالها سقط أحمد بابا من ظهر الحمار وتعرضه لسرقة جزء من مكتبته قدر عدد الكتب ألف وستمائة كتاب[3].

سكن أحمد بابا التّنبكتي في حي المواسين، الذي يضمّ علية القوم من رجال الدّولة وغيرهم، وكان لرياض الذي نزل فيه باب علّة جامع الأشراف ومكتبته[4]، كما سُمح أحمد بابا التدريس بجامع الشّرفاء بمراكش، كان يدرس فيها مختصر خليل وتسهيل ابن مالك وألفية العراقي وتحفة الاحكام لابن عاصم وجمع الجوامع للسبكي[5].

---

[1] محود كعت، المصدر السّابق، ص215.

[2] أحمد بابا التّنبكتي، **اللآلي السّندسية في الفضائل السنوسية**، تحقيق: محمود إبراهيم، موفم للنشر، 2011، الجزائر، ص 150.

[3] محمد الصغير الوفراني، المصدر السّابق ص97.

[4] محمد بن شريفة، **بين أحمد بابا وأحمد المنصور، المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء في بدايات العصر الحديث**، تنسيق، فاطمة الحراق، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط 1995، ص 65، 66، 67.

[5] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السّابق، ج2، ص284.

إثر وفاة السّلطان السّعدي أحمد منصور الذهبي سنة 1011هـ/1603، سمح لأحمد بابا بالرجوع لبلده سنة 1013هـ/1605م قاصدًا تنبكت[1]، وقد اتّفق المؤرّخون على أنّ وفاة أحمد بابا التّنبكتي كانت في السّادس من شعبان سنة 1036هـ الموافق لـ الثاني من نيسان سنة 1627م[2].

من بين الكُتب التي عرّفت بفقهاء المغرب الأوسط كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج" لأحمد بابا التّنبكتي، الذي وضعه ليكون ذيلاً عن كتاب «**الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**" لابن فرحون[3] (799هـ/1396م)، وقد ذكر أحمد بابا التّنبكتي أنّه كانت له رغبةٌ قديمة في موضوع الاستدراك على ابن فرحون، ومنها وجوده في بلد بعيد عن مدن العالم، وعدم توفر الكتب التي تبحث في هذا المجال، بالإضافة إلى حوادث الزّمان وما أبتلي به من فتن، ترجم أحمد بابا التّنبكتي 704 شخصية من أعيان المذهب المالكي والصّلحاء والزّهاد المتصوفة في مقابل أثر من 802 شخصية علمية في كتابه النيل[4]، كان السّبب في تأليف هذه الموسوعة العلمية التي سدت فراغًا في المكتبة المغرب الإسلامي، "...**لما كان علم التّاريخ ومعرفة الأئمة...من الأمور**

---

[1] أبو العبّاس أحمد ناصر السّلاوي، المصدر السّابق ص131.

[2] محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، ط1، تحقيق، محمد حجي وأحمد توفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 172.

[3] أوّل من صنف في تراجم المذهب العلامة القاضي عياض (ت544هـ) في كتابه "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعيان مذهب مالك**"، ثم جاء بعده ابن فرحون (ت799هـ)، كتابه "**ديباج المذهب في أعيان المذهب**"، والذيل على كتاب ابن فرحون مؤلف آخر هو بدر الدين القرافي (ت946هـ)، ثم جاء أحمد بابا (ت1036هـ) **بكتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ثم بعده القادري محمد بن الطيب (ت1124هـ) بمصنفه "**الاكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، للمزيد أنظر؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج**، المصدر السابق، ص 22، طاهر خالد، **جهود أحمد بابا التنبكتي في خدمة المذهب المالكي، المرجع السابق، ص 106.**

[4] أحمد بابا التّنبكتي، **الكفاية المحتاج**، المصدر السّابق، ج1، ص 35.

العلية، ويعتني به كل ذي همة ذكية...اعتنى به الأئمة قديما وحديثا...فما زالت نفسي تحدثني من قديم الزمان وفي كثير من السّاعات الأوان باستدراكي عليه ببعض ما فاته أو جاء بعده من الأئمة الأعيان"[1].

2-أوصاف أحمد أبابا التّنبكتي لعلماء المغرب الأوسط:

تميّز التّنبكتي بوصفه الدّقيق للعلماء في موسوعته، وفي بعضها يتخلّل فوائد وتعاليق في غاية الأهمية، على مسائل وقضايا دقيقة ومباحث فقهية وأصولية ولغوية، وعندما يستطرد التّنبكتي في تعدد الأوصاف في شخصية ما فهذا ليس من جانب المدح الذي في غير محلّه، بل إنّ جميع الشّخصيات التي أوردها بأوصاف ومدح حقيقة تنطبق على فقهاء وعلماء المغرب الأوسط أو غيرهم ممّن ترجم لهم، كما تميز التّنبكتي في باحترامه لخصوصية الهويّة الثّقافية والحضاريّة، باعتبارها مرجعيّة قيّمية اجتماعية في قيام كلّ مجتمع، كما ركز التّنبكتي كثيرًا على تحديد الأصل الذي ينتمي إليه العالم، فيذكر أنّ هذا العالم أو ذاك لم يكن أصلاً من مدينة مولده وإنّما وفدت أسرته إليها أو يذكر مثلا: ... نزيل بجاية....نزيل تلمسان[2] أو نزيل فاس كما في ترجمة الفقيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن الإمام التّلمساني (ت797هـ)، وذكر أنّه توفي في حاضرة فاس[3].

ممّا ذكره التّنبكتي من أوصاف فقهاء المغرب الأوسط هو نبوغهم وجمعهم بين العلوم العقلية والنّقلية، مثل العلامة محمد بن أحمد بن النّجار التّلمساني (ت846هـ)، الذي ذكره القلصادي بقوله: "**له مشاركة في علوم النقل والعقل**"[4]، وعندما ذكر العلاّمة أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج**، المصدر السّابق، ص ص 27-26.

[2] تواتية بودالية، **علماء تلمسان من خلال كتاب" نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي"**، متون، العدد 06، جوان 2012، ص 253.

[3] التّنبكتي، الكفاية...، ج1، ص 158.

[4] نفسه، ج2، ص 159.

(ت914هـ) بأنّه حامل لواء المذهب المالكي على رأس المئة التّاسعة، أي أنّه لا يوجد فقيه ينازعه في العلوم والفنون، حتى أنّه ذكر قولاً يضرب به المثل عن الفقيه وتبحره فيقال: "**لو حضر السيبويه لأخذ النّحو من الونشريسي**"[1]. وهذا يدل على أنّ التّنبكتي متأثر كثيرا فقهاء المغرب الأوسط.

كما أنّه عندما ترجمة للعلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن مرزوق الحفيد قال فيه جملة من الأوصاف تدل على تأثر التّنبكتي به فقال: " **الإمام المشهور العلامة الحجة الحافظ الكبير الثقة الثبت المطلع النظار المصنف التقي الصالح الزاهد الورع البركة الخاشي لله الخاشع الأواب القدوة النبيه، الفقيه المجتهد الأبرع الأصولي المفسر المحدث الحافظ المسند الرواية الأستاذ المقرئ المجود النحوي اللغوي...سيد العلماء الجلة وصفي أئمة الملّة الجامع بين المعقول والمنقول والحقيقة والشّريعة**"[2]، وفي الحقيقة أنّ التّنبكتي ذكر كلّ هذه الأوصاف ليس من باب المدح، بل الشّيخ شهد له من عاصره ومن تتلمذ عليه فهذا تلميذه الإمام الثّعالبي يقول: " شيخي الإمام الحبر الهُمام العلم الصدر الكبير المحدث الثقة بقية المحدثين وإمام الحفظة الأقدمين، سيد وقته وإمام عصره أعجوبة الوقت وفاروق أوانه، ذو الأخلاق الرضية، والأحوال الصالحة السنية والأعمال الفاضلة الزكية"، ويضيف تلميذه الحافظ التنسي قائلاً: "**ولم نر فيمن أدركنا من الشّيوخ من تمرن على قول لا أدري وكثرة استعماله كشيخنا الإمام العلامة رئيس علماء الغرب على الإطلاق، أبي عبد الله بن مرزوق**" [3] .

3-تأثر الإمام التّنبكتي بالمتصوفة المغرب الأوسط

تظهر النّزعة الصّوفية في شخصية الإمام أحمد بابا التّنبكتي، وهذا بطبيعة الحال نتاج مجموعة من الظّروف نحاول حصر أهمّها، وأولها أنّ الشّيخ أخذ العلم

[1] التّنبكتي، الكفاية...، ج1، ص 130.
[2] التّنبكتي، الكفاية...، ج2، ص 499.
[3] نفسه، ج2، ص ص 139-140.

الصّافي من معينٍ صُوفي سنّي يتمثلُ في دراسته على أعلام أسرته مثل: والده أحمد بن أحمد بن اعمر أقيت وعمه أبو بكر بن أقيت كان من أعلام التّصوف، فأسرته كانت المصدر الأول للتّصوف التي توارثت العلم نحو مائتي عام[1]، فهو عندما يورد ترجمة جده لوالده أحمد بن عمر أقيت يقول: "**كان رحمه الله خيرًا فاضلاً، صالحًا، متورعًا، محافظًا على السنّة، والصّيانة والتّحري، محبًا في النبّي صلى الله عليه وسلم وصحبه، ملازما لقراءة قصائده مدحه مشبعًا بذلك، ولقراءة الشّفا على الدوام**"[2] ، وعن شيخه محمد بغيُغُ درسه علم التصوف[3]، إذن فتأثر التّنبكتي بشيوخه الأوائل هؤلاء وتشربه للفكر الصوفي عن طريق التتلمذ عليهم لم يقف عند هذا الحد وحسب بل انعكس بعد ذلك بشكل واضح في كتاباته [4]،

على الرّغم من تلك المحنة التي تعرض التّنبكتي جراء غزو أحمد منصور الذّهبي لبلاد السّودان الغربي ونفيه إلى مراكش تحت الإقامة الجبرية، كانت بيئة المغربية الإسلامية عامّة متشبّعة بالفكر الصّوفي وكثيرًا ما يردد عبارة "جمع بين علم الباطن وعلم الظّاهر.

يظهر جليًّا من خلال القراءة والتّمحيص أنّ التّنبكتي مُولع بذكر الكرامات عن صلحاء والأولياء وهؤلاء يذكرهم في المرتبة الأولى[5]، فهذا الزاهد العالم الولي[6]

---

[1] النّاصري، المصدر السّابق، ج5، ص 129.

[2] التّنبكتي، **نيل الابتهاج**، المصدر السّابق، ص ص 137-138.

[3] التّنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج1، ص 181.

[4] عبد الواحد عبد السّلام شعيب، **الأثر الصوفي في كتابات المؤرّخ أحمد بابا التنبكتي**،.ص 168.

[5] نفسه، ج1، ص 39. مقدمة التحقيق

[6] الولي من مصطلحات التّصوف وجاء من تعاريفه: "الولي من تولى الحق أمره وحفظه من ه/العصيان ولم يخله ونفسه يخذلان حتى يلغه مقام القرب والتمكين"، كما أنّ لفظ الولي يقترن بمعاني النّصر والتّدبير والملك والتّصوف والقرب والتّمكين، وزاد لسان الدين الخطيب (ت767هـ/1365م) في تعريف الولي قائلاً: "الولاية أن يتولّى الله الواصل إلى حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي، من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف فالولي يساوي النبي في

القطب الكبير الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي (ت857هـ) عرف "**بأبركان**" حينما ذكر بعضًا منها، أشار لمن يرغب في معرفة المزيد بأن يطلع على روضة النّسرين لابن صعد[1]، ويسترسل التّنبكتي كثيرًا في ذكر الكرامات والكاشفات للشّيخ شعيب بن الحسن الأندلسي أبو مدين شيخ المشايخ، قدوة العارفين (ت549هـ)، ويبدو أنّ التّنبكتي متأثر كثيرًا بزهاد المغرب الأوسط، ونراه يكثر المديح كثيرًا عن فقهاء التّلمسانيين، فهذا الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الخطيب بقوله: "كان من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة مليح التوسل حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نظيف البزة، لطيف التأني خير البيت، طلق الوجه، حلو اللّسان طيب الحديث مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب دربًا بصحبة الملوك والأشراف، ممزوج الدعابة والوقار والفكاهة بالنسك والحشمة والبسط[2].

وفي ترجمة الولي الصّالح محمد بن عمر الهواري(ت843هـ) بعض كراماته ثمّ أرشدنا للمزيد بأن نطالع روضة النّسرين في مناقب الأربعة الصّالحين لابن صعد[3]، وفي ترجمة إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي (ت866هـ) التازي نزيل وهران، ذكر للشّيخ سند في لبس الخرقة[4] من الشّريف المراغي ومن الشّيخ صالح

أمور منها، العلم ...للمزيد أنظر؛ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، دار الرشاد الحديثية، 1997، الدار البيضاء، المغرب، ص 256؛ طاهر بونابي، المرجع السّابق، ص 150.

[1] نفسه، ج1، ص190.

[2] نفسه، ج1، ص 227.

[3] التّنبكتي، **الكفاية...**، المرجع السّابق، ج2، ص 518.

[4] وهي قطعة من الثّوب وتعني عند الصوفية لباس الخشن ذو قطعة الواحدة والممزق والمرقع وتكون هيئته في شكل ثوب أو قلنسوة أو عمامة أو طاقية، وعادة ما كان الشيوخ يلبسوها لمردييهم كعلامة على الصحبة في الطريق؛ **للمزيد أنظر**، الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص589.

بن محمد الزواوي بسنده إلى أبي مدين، "**فنال بركته وكان له تصرفات في الولاية والكرامات**"[1].

4-اللإجازة العلمية عند علماء المغرب الأوسط من خلال التّنبكتي (النّيل والكفاية):

تُعدّ مؤلفات التّنبكتي **(النيل والكفاية)** من أهمّ المصادر التّاريخية التي وثقت الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب الإسلامي، وخاصّة بالمغرب الأوسط موضوع دراستنا، ومن بين أساسيات التي اعتمد عليها التّنبكتي في ترجمته للأعلام هو ذكر سلسلة الشّيخ والتلاميذ للمترجم وأهم مؤلفات صاحب التّرجمة، كما لعبت الإجازة العلمية دورًا كبيرًا في تمتين العلاقات الثقافية والرّوابط العلمية والصّلات الحضارية بين مختلف حواضر العلم، وخاصّة السّند العلمي[2].

ومن بين الأمثلة عن فقهاء المغرب الأوسط المجازين نذكر منهم: الإمام السّنوسي الذي قال فيه التّنبكتي: "**وأخذ عنه شيخنا أبو عبد الله السّنوسي جملة من الفرائض والحساب، وأجازه عامّة...** "[3]، وقد ذكره التّنبكتي في مقدمة ترجمته أنّه صاحب التّواليف الكثيرة، وتدل كلمة "**وأجازه عامّة**" أنّ الإمام السّنوسي تحصّل على علم وافر من الفقيه القلصادي (ت891هـ)، كما تدل كلمة "شيخنا" على تلك المنزلة العالية للإمام السّنوسي التّلمساني عند التّنبكتي.

كما أخذ الفقيه الإمام البرزلي أبو قاسم بن أحمد بن محمد المعتل البلوي القيرواني عن العلاّمة الفقيه المحدث الرّواية الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق شيئًا من الصّحيحين والشّاطبيتين وتكملة القيجاطي والدّرر اللّوامع يرويها عن مؤلفهما

---

[1] التّنبكتي، **كفاية المحتاج**، المصدر السّابق، ج1، ص 168.

[2] محمد المنوني، **ورقات حضارة المرنيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص 450.

[3] التّنبكتي، **الكفاية...**، ج1، ص 361.

والعمدة وغيرها[1]، ويُعد العالم ابن مرزوق ممن تتلمذ في مصر ونهل من معارفها لأكثر من أربعين سنة[2] فقد ساهم الإمام المرزوقي ربط ومواصلة نقل السند العلمي إلى أصقاع أخرى ومواصلة نشر العلم المتسلسل عن أهله.

وختم السّنوسي المدونة مرتين على الفقيه محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب التلمساني (ت875هـ)، وعندما نقول ختم المدونة مرتين فهذا يدل على تمكن الفقيه من مادة الفقه ولا نعلم هل قرأها أم حفظها ثم عرضها على الشّيخ وفي إجازة الشّريف التّلمساني من العلامة ابن مرزوق العجيسي قال: "**قرت عليه جملة من التفسير ومن الحديث: الصحيحين والترميذي وأبا داود بقراءتي والموطأ سماعا وتفقها والعمدة والأرجوزته الحديقة في علم الحديث...وجميع كتاب سيبويه تفقها وألفية ابن مالك ... وتفقهت عليه في كتب الشافعية في التنبيه الشّيرازي ووجيز الغزالي...ومن كتب الحنفية مختصر القدوري تفقها ومن كتب الحنابلة مختصر الحرقي تفقها**" وختم هذه الإجازة بقوله: "**وقد أجزته في ذلك كله**"[3]، حتى أنّ هناك إجازة في بعض ما يلبس من العمامة والخرقة عند أهل التّصوف، فقد ذكر الشّريف التلمساني أنّه قال: وألبسني خرقة التّصوف كما ألبسه أبوه وعمّه، وهما ألبسهما أبوهما جده[4].

---

[1] التّنبكتي، **النيل**...، ج1، ص ص 398 –389

[2] عبد الرحمن بالخير، محمد بوشقيف، **الإجازة العلمية لعلماء المغرب الاوسط من خلال كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التّنبكتي**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04 العدد 02 سبتمبر 2021، ص 315.

[3] التنبكتي، الكفاية...، المرجع السّابق، ج2، ص 503.

[4] نفسه، ص 503.

5- نموذج من تأثر التّنبكتي بالإمام السّنوسي من خلال مُختصره المفاتيح القدسية في المناقب السّنوسية (مخطوط)

المخطوط هو عبارةٌ عن مختصر من شيخنا أحمد بابا التّنبكتي لكتاب "**المواهب القدسيّة في مناقب السّنوسية**"[1] للعلامة الإمام محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي (ت898هـ/1492م)[2]، من تلامذة الشّيخ محمد بن يوسف السّنوسي، يقع المخطوط في 20 ورقة بصفحات مزدوجة، تصوير ميكرو فيلم، مبتور الآخر، لم يذكر تاريخ نسخه بخط بغربي مقروء، عثر عليه بمكتبة جامعة فريبورغ الألمانية تحت رقم 381، جاء في أوله (بعد البسملة والتصلية):

"...ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، ما شاء الله، لا قوة إلاّ باللّه، الحمد لله والسّلام على عباده الذين اصطفى والصّلاة والسّلام على سيّد الأصفياء وعلى آله وأصحابه الأتقياء، فيقول عُبيدُ الله الفقير ذو القصور والتّقصير أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، عرف بابا التّنبكتي الصّنهاجي وفقه الله تعالى وهداه وجعله من أهل وده وتقواه، لما قدر الله تعالى لي دخول بلدة مراكش على الوجه الذي أراده في الأزل وقضاه وذلك في آخر عام اثنين وألف،

---

[1] الملالي، **المواهب القدسية في مناقب السنوسية**، مخطوط، المكتبة الوطنية التونسية، تحت رقم: 22668، ورقة 1 وما بعدها. https://archive.org/details/Al-mawahib.Al-qudsiya/page/n5/mode/2up

[2] الملالي نسبة إلى قرية " **ملاّلة**" الواقعة قرب مدينة بجاية، وعنها يقول صاحب تاج العروس: "ملاّلة كجبانة قرب بجاية على ساحل البحر، ومنها العلامة محمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر بن علي الملالي ممن أخذ على الشيخ سيدي محمد بن يوسف بن عمر السنوسي"، وقد سافرت عائلة الملالي إلى الغرب الجزائري، في وقت غير معروف، محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مصطفى حجازي، د ط، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ج3، ص 425؛ الشيخ خليفي، أبو عبد الله الملّالي التلمساني ومؤلفه المواهب القدسية في مناقب السنوسية، مجلة الإنسان والمجتمع، العدد01، جوان 2011، ص 103.

وسلك مع أنا فيه من تضييق والوقوف على جملة كتب غرائب لم أكن قبل وقفت عليها لكثرة تردّد الطّلبة إليّ في موضع وإتيانهم إليّ بالكتب، فمن جملة ما جاءوا لي به كتاب كبير في صالح سيدي محمد بن الشّيخ الصّالح العالم أبي عبد الله محمد بن يوسف السّنوسي الحسني صاحب العقائد المشهورة، تأليف خديمه وتلميذه العالم أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي الملالي رحمه الله، فرأيته اشتمل على تعريف الشّيخ السّنوسي وذكر فضائله ومناقبه وفوائده على الوجه الأوفى، وفيه مع ذلك ذكر كثيرًا من كلام الصّوفية وأشياء عديدة من الأحاديث وكلام السّلف الصّالح مفيدة، فأردت نُسخة لما اشتمل عليه من الفوائد ثم استطلته وعولت إلى اختصاره بترك كثير من الزّوائد على الوجه يكون إن شاء الله أقرب تناولاً من غير إخلال بشيءٍ بتعلق بحال الشّيخ بميلاده ووفاته وحالاً وسمّيته ...[1]....**القدسية في مناقب السّنوسية**"، باللّه تعالى أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم المعين..."[2].

الباب الأول: في ذكر شيوخه، ذكر المؤلف في هذا الباب جملة من أشياخ الإمام السّنوسي حيث قال: "أوّلهم أبوه الشيخ الصالح المبارك الزاهد العابد الأستاذ المحقق أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السّنوسي"، ثم عرج الشيخ على أشياخ منهم العالم المحقق ازاهد نصر الزواوي من تلاميذ الإمام ابن مرزوق، ومنهم القلصادي الذي قرأ عليه الشيخ جملة من الفرائض والحساب، وأجازه جميع مارويه

[1] كلمة غير واضحة بسب المداد، ولكنّها أقرب إلى **المفاتيح**. جاء في نسخ بـ "**اللآلي**"؛ **أنظر**: احمد باب التنبكتي، **اللآلي القدسية في المناقب السّنوسية**، تحقيق محمود ابراهيم، موفم لنشر، الجزائر، 2011، ص 07 وما بعدها

[2] أحمد بابا التّنبكتي، **المفاتيح القدسيّة في المناقب السّنوسية**، مخطوط من موقع: https://albordj.blogspot.com.

عليه، وآخرهم الشيخ سيدي التازي حيث ذكر من كرامات الشيخ على تلميذه السنوسي[1]

الباب الثاني: في كراماته ومكاشفاته، في هذا الباب استطرد الشيخ كثير من كرامات الشيخ ومكاشفاته، منها حج الشيخ كل سنة إلى البقاع المقدسة، حيث قال:" أن بعض الفضلاء ذهب فلقي رجلا من الأولياء بمكّة، فلما أراد السفر قال له المولى: إذا دخلت بلدك سلم منّا على الشيخ سيدي محمد المبتسم الذي يسمى عندكم بالسّنوسي، قال له: ياسيدي من أين تعرفه، قال له: إنه يأتي في موسم لهذا المكان، فيطوف ويسلم علينا، وهو كثير التبسم، فجاء الرجل إلى الشيخ وأبلغه الأمانة وقال له اكتم[2]، ومما ذكر في هذاب الباب استحباب زيارة الشيخ السنوسي والدعاء عند قبره، وقد ذكروا أن قبر الشيخ السنوسي حفرته الملائكة[3]

الباب الثالث: في علمه وزهده ووعظه وورعه ورفع همّته وحمه وصبره وسداد طريقته وشمائله، تناول المؤلف في هذا الباب جملة من العلوم التي حازها الشيخ من علوم الظاهر والباطن، بل زاد على الفقهاء فيها زيادة لايمكن وصفها من حلّ المشكلات، وما يعض من الشُبه المعضلات سيما علم التوحيد.

كما ذكر المؤلف أقوال الامام السنوسي في مراتب التصوف والصوفية، "ومنها أن الولي الحقيق هو الذي لو كُشفت له الجنان، وما فيها من الحور والولدان وغيرها، ما التفت إلى شيء منها، ولا مال إليه بالكّلية"[4]، أما عن زهده في الدنيا وأعلها، وإعراضه عنها مشهور، وكُتُبه تنبيه عنها، إذ كلها محشوة بالحكم

[1] نفسه، ورقة 02.

[2] نفسه، ورقة 03.

[3] نفسه، ورقة 04.

[4] نفسه، ورقة 24.

والتحريض على الزهد[1]، ثم ختم المؤلف هذا الباب بالأخلاق التي اتصف بها السنوسي.

الباب الرابع: في عدد مصنفاته، في هذا الباب ذكر الشيخ اهم مؤلفات الإمام السنوسي[2]،

الباب الخامس في ذكر أوراد حضّ عليها أصحابه وأد عية حسنة كتبها بخطه، في هذ الباب ذكر المؤلف جملة من الأذكار والدعوات التي حضّ عليها الامام السنوسي، حيث استفتح المؤلف قائلاً: "ومن الأوراد التي للإنسان ملازمتها إذا ركع الفجر يقول على حالته ثلاثا اللهم إني أسألك بوجهك الكريم عافيتك وتمام نعمتك، ثم يقول أيضا ثلاثا: اللهم ربّ جبريل وميكائيا واسرافيل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من حرّ النار ومن عذاب القبر ثم يقول إحدى وأربعين مرة ياحي ياقيوم يابديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله، يا الله يا الله، لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك أبدا سرمدا يا الله يا الله يا الله و صلى الله على سينا و مولانا محمد وآله"[3]

الباب السادس: في وفاته وما اتفق في مرضه، ذكر المؤلف في هذاب الباب احوال مرض الشيخ ووفاته رحمه الله

الباب السابع: في شعره وفيما مدح به رحمه الله

ومنها قوله:

---

[1] نفسه، ورقة 25.

[2] نفسه، ورقة 44 وما بعدها

[3] التنبكتي، **المفاتيح**...، ورقة 48.

أيا مصطفى من هاشم لم يماثل...وبـــــــداله الكمال فوق التطاول

وعُبيدك راح في الذنوب شبابه ... وضاقت عليه الأرض ليس بحامل

ومن شعره

إليك رسول الله قصد رسالتي...وجسمي حبيس في وثاق خطيّتي

جنيت ذنوبا ما نظرت عواقبها...ركبت أمورا طوقتنـــــي بليّتـــــي

فألزمت مكثا في تلمسان وإلهاءً...وروحي وتربي الوصل قلبي بطيبتي

الخـــاتـــمة

الخاتمة:

أخلصُ في آخر هذه الدّراسة المتواضعة إلى ما يلي:

أوّلا: أنّ للمغرب الأوسط (الجزائر) وبلاد السّودان الغربي (دول السّاحل الإفريقي علاقات حضارية، جذورها ضاربةٌ في عمق التّاريخ، فلا أساسَ أنّ الصّحراء الكُبرى وقفت عائقًا أمام التّواصل الحضاري، وهذه العلاقة التي تحدّثنا عنها في الدّراسة إنّما هي علاقة تأثيرٌ وتأثُر، وهذا بحكم بلاد السّودان الغربي بلاد التّبر والذّهب لهذا كانت المنطقة تشهد حركة تجاريّة مستمرة، روّادها جمعٌ غفيرٌ من الفقهاء والعُلماء.

ثانيًا: تميّزت الفترة الزّمنية التي أحاطت بالموضوع من جوانبه المشرقة مزايا عديدة، فهيّ تُعدّ أزهى فترات التّاريخ من حيث الإنتاج العلمي والفقهي، لذلك لاحظ كثيرٌ من الباحثين أنّ الفترات الآحقة هي عهدُ شُروحات وتقييدات للعصر الذّهبي، وينتهي مع بداية العصر الحديث، هذا من جهة ومن جهة أخرى تميزت بلادُ السّودان الغربي بنهضة إسلاميّة خاصّة مع دولة السّنغاي وصَاحبها تفاعلٌ بين بلاد المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصّحراء.

ثالثًا: تميز المغرب الأوسط بحواضره المُنتشرة من الشّمال إلى الجنوب بأدوارٍ جدٌّ معتبرة، فبحُكم موقعها وتوّفر البيئة الملائمة للعيش أو الاستراحة لذلك كانت القوافل التّجارية تجعلها نقاطًا متواصلة للوصول إلى بلاد السّودان الغربي، وخلالها كان يتمّ فيها تدارس وتبادل الأسانيد العلميّة، وفي الحقيقة كما يعبّر عنها أحد الباحثين أنّ القافلة التّجارية هيّ "**وعاءٌ ناقلٌ للحضارة**"

رابعًا: لعبت المدرسة الفقهية المغرب أوسطية دورًا رياديًا على المُستوى المغربي والإقليمي والإفريقي، فكما لا حظنا أنّ العقيدة الأشعريّة وفقهُ مالك، وطريقة الجنيد السّالك هيّ عنوان تمذهُب بلاد المغرب الاسلامي وإفريقيا جنوب الصّحراء.

وقد أحدث الإمام محمد بن يوسف السّنوسي ثورةً في التّجديد للعقيدة الأشعريّة وتقريب الفهم للعامّة، فلا نكاد نجد درسًا للعقيدة في المغرب الإسلامي أو بلاد السّودان الغربي من دون عقائد السّنوسي أو شروحاته، وهذا لما فيها من البساطة وسهولة الفهم، وفي الحقيقة أنّ علماء وفقهاء المغرب الأوسط تميّزوا عن غيرهم بلمسةٍ فريدةٍ من نوعها، وهي أنّ إنتاجهم العلمي كان ميسّرٌ وسهل الفهم دون تعقيدات، و كان موجّه بالدّرجة الأولى لعامّة النّاس، لذلك أقبل عليها الصّغار والكبار لحفظها وشرحها واختصارها.

خامسًا: هناك في دول السّاحل الإفريقي (غرب إفريقيا) أو بعبارة أخرى بلاد السّودان الغربي كمٌّ هائلٌ من المخطوطات الإسلامية النّادرة، التي تعود لفقهاء مغاربة عامّة وجزائريين خاصّة، محفوظة في مكتبات وزوايا وبيوت تحتاج منّا أن نزيل عنها الغبار، لنخرجها للنّور سواءً بتحقيقها أو تصويرها أو ترميمها، والكلُّ يعلم ما تُكنّه هذه المخطوطات من علوم شتّى.

سادسًا: لقد قامت النّهضة العلميّة في بلاد السّودان الغربي في كثير من المناحي على قاعدة الإنتاج العلمي للمدرسة الفقهية المغرب أوسطية، وسنلاحظ هذا مع بداية العصر الحديث الذي تميّز بكثرة الشّروحات والتّقييدات والمنظومات العلميّة إلاّ أنّ الفترة الزّمنية لم تسمح لي بإيرادها في متن الدّراسة.

سابعًا: تحدّثنا عن التّأثير العلمي والثّقافي لعلماء المغرب الأوسط في بلاد السّودان الغربي، إلاّ أنّنا لاحظنا من خلال تعمّقنا في دراسة بعض الشّخصيات الفقهية السّودانية تأثرها بالعقلية التي يسير عليها فقهاء المغرب الأوسط، وسنعطي مثالاً كي يتّضح المقال: لقد تميّز كلٌّ من الإمام عبد الكريم المغيلي وأحمد الونشريسي وعبد الرّحمن الثّعالبي و محمد بن يوسف السّنوسي وغيرهم من قطع الطّريق بينهم وبين مفهوم "**علماء السّلطان**"، ونفس هذه العقلية نجدها عند الإمام أحمد بابا التّنبكتي خاصّة خلال الغزو السّعدي لبلاد السّودان الغربي ومحنته في المغرب.

وفـي ختـام هـذه الدّراسـة المتواضـعة لا يسـعني إلاّ أن أقـول: "الحمـد لله الـذي بنعمته تتمّ الصّالحات" إنْ أصبتُ فمن الله سبحانه وتعالى، وإنْ أخطأت فمن نفسي و الشّيطان، وأنوّه لكلّ قارئٍ كريمٍ أن يُقوّمني إذا وجد الخطأ، فالكمال لله وحده، وأنا العبدُ الضّعيف مَا زلت طُويْلبْ في طريق العلم سائر، هذا والله المستعان على ما تَصفون.

أسـألُ الله تعـالى أن تكـون خالصـةً لِوجهِـه الكَـريم، سُـبحانَك اللّهـم وبحمـدك، أشـهدُ أنْ لا إلـهَ إلاّ أنـتَ، أسـتغفركَ وأتُـوب إليـك، وآخـرُ دعوانَـا أن الحَمـدُ لله ربّ العالمين، وصَلّى الله وسلّم وباركَ على سيّدنا مُحمّد وعلَى آلـهِ وصَحبِه وسَلَّم تَسليمًا كثيرًا.

المَلاحق

المَلاحق

الملحق رقم (1): الصّفحة الأولى من مخطوط "**المفاتيح القدوسيّة في المواهب السّنوسية** [1]

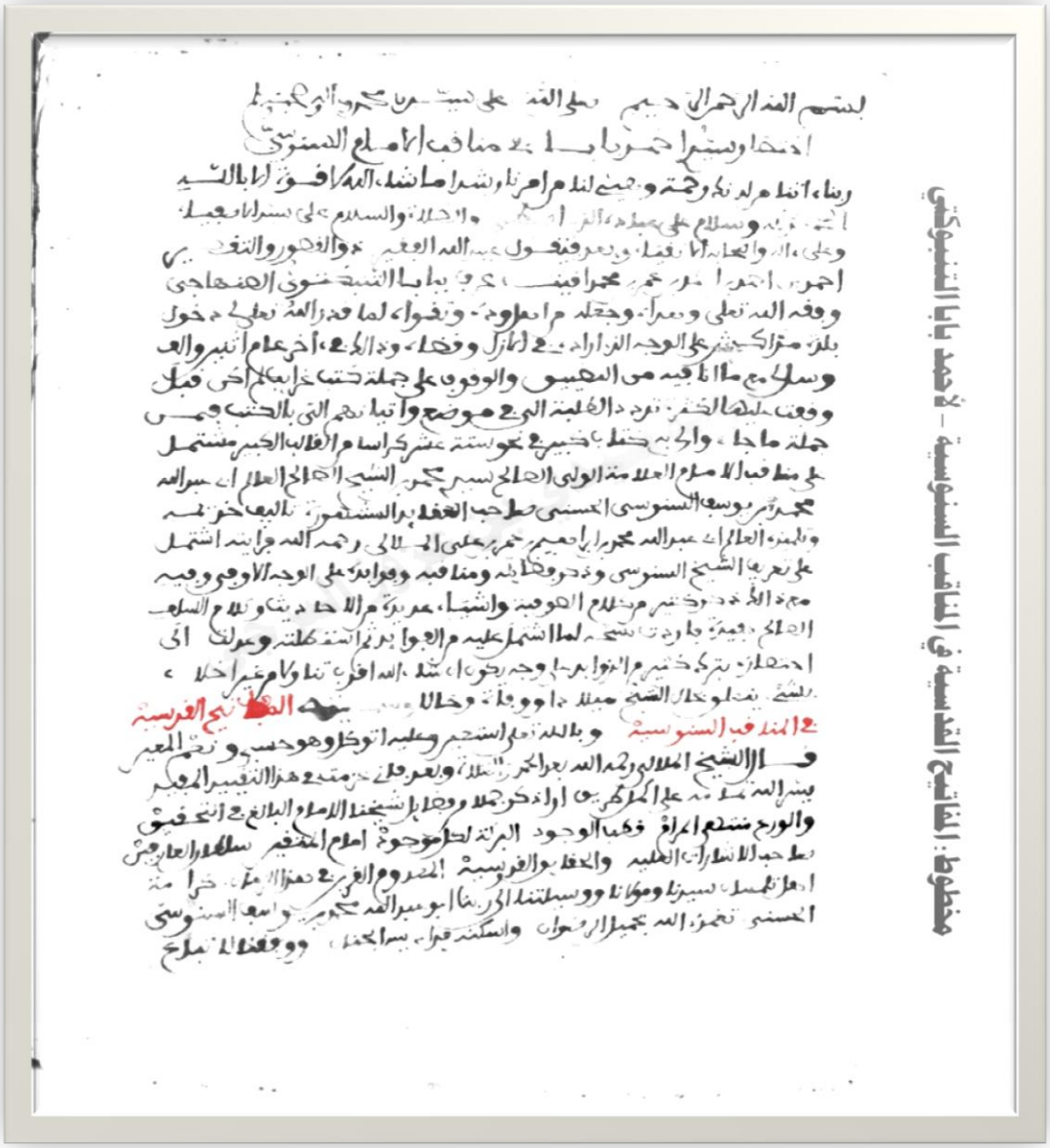

[1] أحمد بابا التّنبكتي، **المفاتيح القدسية في المناقب السّنوسية**، مخطوط من موقع: https://albordj.blogspot.com .

الملحق رقم (2): الصّفحة الأخيرة من مخطوط"**المفاتيح القدوسية في المواهب السّنوسية**[1]

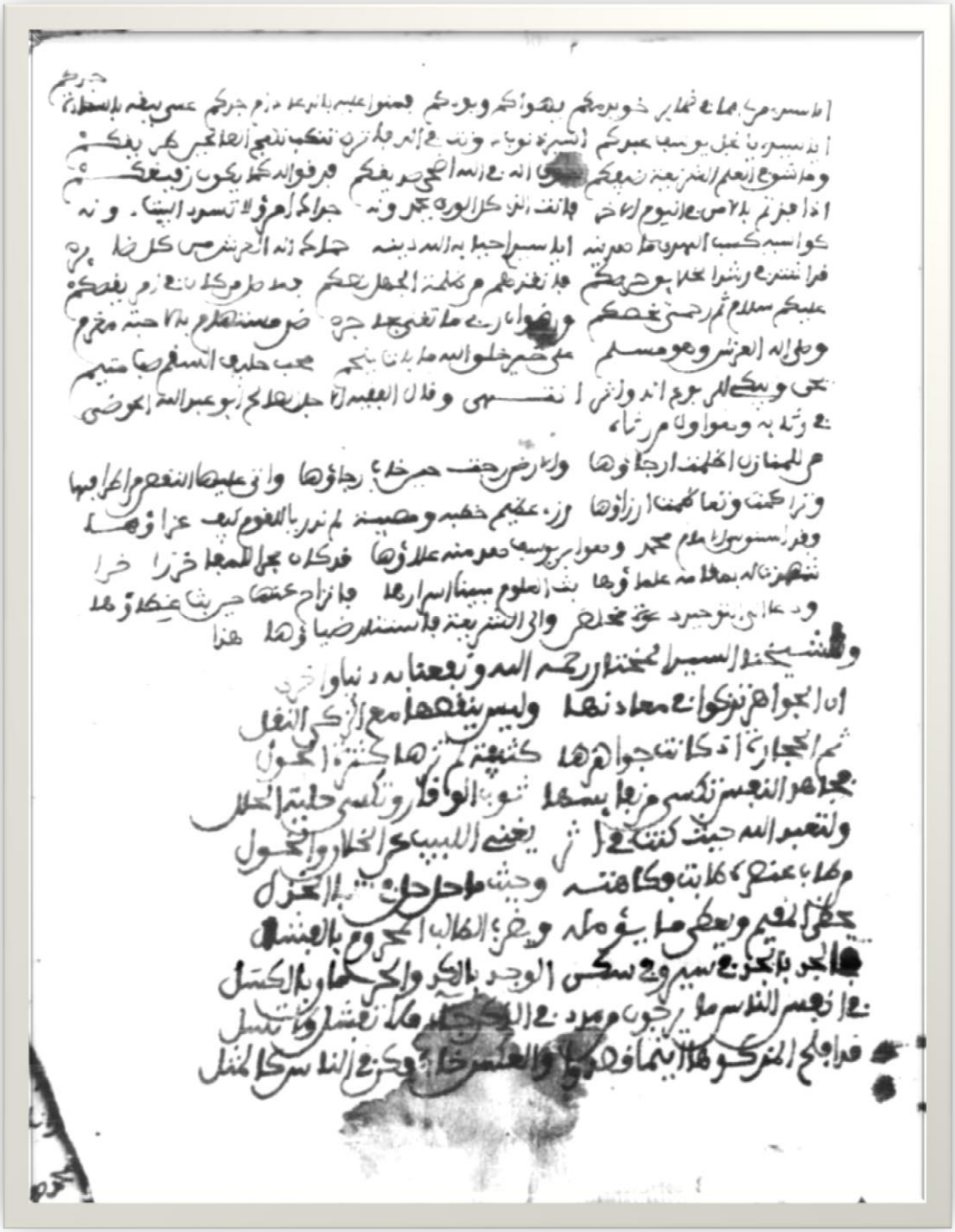

[1] أحمد بابا التّنبكتي، **المفاتيح القدسية في المناقب السّنوسية**، مخطوط من موقع: https://albordj.blogspot.com

الملحق رقم (3): الصّفحة الأولى من مخطوط""**المواهب القدسية في مناقب السّنوسية**"[1]

[1] أحمد بابا التّنبكتي، **الواهب القدسية في المناقب السّنوسية**، مخطوط من موقع: https://albordj.blogspot.com .

الملحق رقم (4): الصّفحة الأخيرة من مخطوط""**المواهب القدسية في مناقب السّنوسية**"[1]

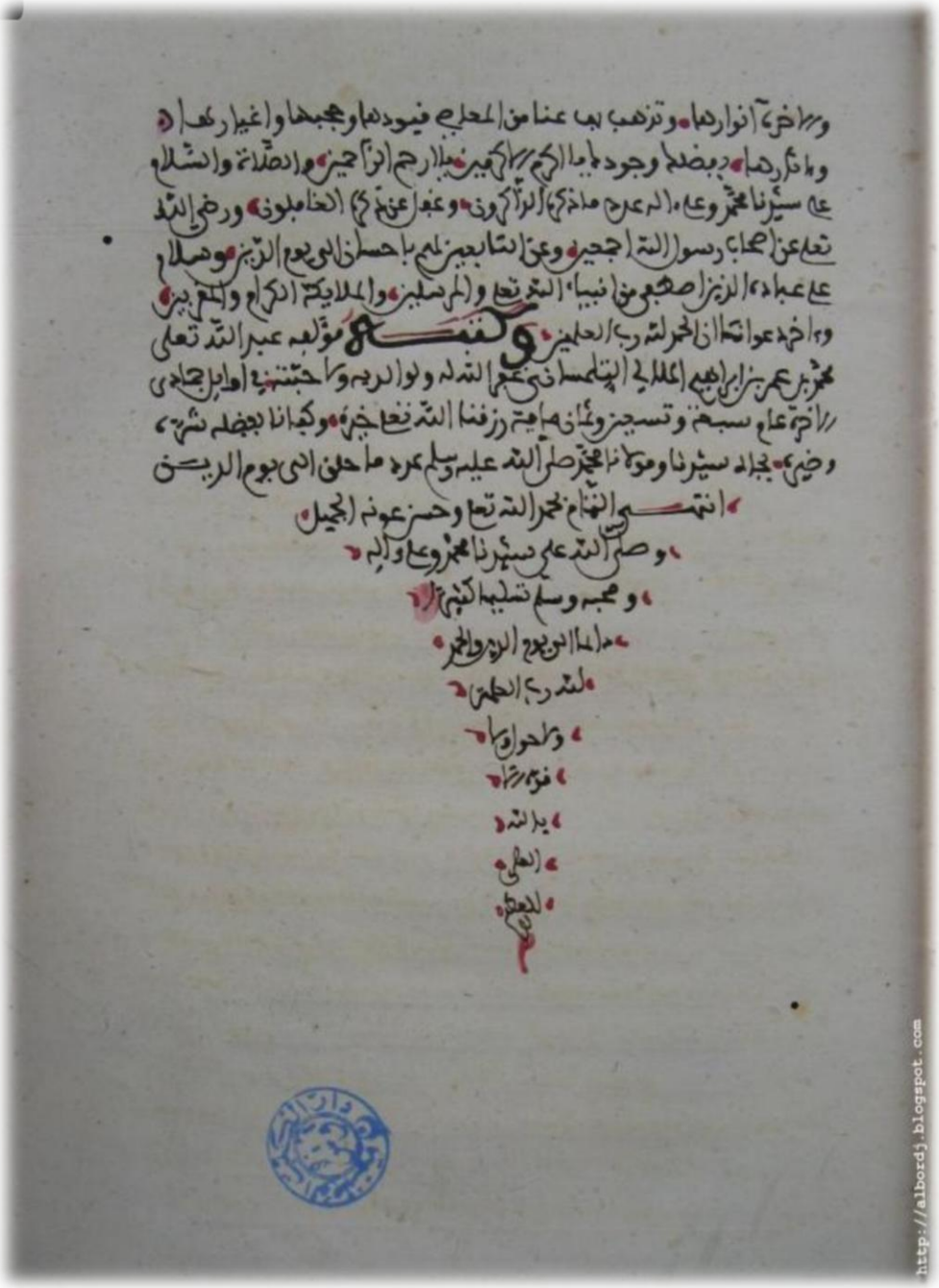

[1] أحمد بابا التّنبكتي، **المواهب القدسية في المناقب السّنوسية**، مخطوط من موقع: https://albordj.blogspot.com .

قائمة المَصادر والمَراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- برواية ورش عن نافع

الحديث النّبوي الشّريف:

ابن ماجه، سُنن ابن ماجه، كتاب الفرائض، باب حث على تعلم الفرائض، دار الجيل، بيروت، ط1، 1998، ج4.

المصادر المخطوطة:

المخطوطات:

أحمد بابا التّنبكتي، المفاتيح القدسيّة في المناقب السّنوسية، مخطوط من موقع: https://albordj.blogspot.com .

المصادر المطبوعة:

1) أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميمي)، **طبقات علماء أفريقيا**، دار الكتاب اللّبناني، (د س).
2) ابن أبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **التّكملة لكتاب الصّلة**، ج2، تحقيق، عبد السلام هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.
3) ابن الإكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق، عبد المنعم محمد عمر، المرجعة، أحمد حلمي عبد الرّحمن، دار الفكر العربي للطّبع والنّشر، القاهرة، 1990.
4) ابن الجزي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشّافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، 2008.

5) ابن الحاج الورجلاني، المعلقات في أخبار وروات أهل الدّعوة، الدّراسة والتّحقيق، الحاج سليمان بن إبراهيم بامبزيز الورجلاني، وزارة التراث والثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

6) ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثّالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم، دار الكتاب، الدار البيضاء،1964.

7) ابن الزّيات التّادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحى)، التّشوف إلى رجال التّصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

8) ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلّة البينة النّورانية في مفاخر الدّولة الحفصية، تحقيق، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984م.

9) ابن الفقيه الهمداني (أبو عبد الله أحمد بن محمد)، **البلدان**، تحقيق، يوسف هادي، عالم الكتاب، بيروت، 1996.

10) ابن بشكوال، الصّلة، ج2، تحقيق، إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب البناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

11) ابن تومرت، أعزّ ما يُطلب، تحقيق، عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب،1997.

12) ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج2، تحقيق، احسان عباس، المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر، ط2، 1987.

13) ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة دار الحياة، لبنان، 1992.

14) ابن خلدون يحي، **بغية الرّواد في ذكر المُلوك من بني عبد الواد**، ج1، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.

15)ابن خلدون، المقدّمة، تحقيق عبد السّلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، المغرب، 2005.

16)ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي بن موسى)، الجغرافيا، تحقيق، إسماعيل العربي، منشورات المكتبة التّجارية للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1970، بيروت، ص 91.

17)ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج، س، كولان، ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار الثقافة، 1983، بيروت، ص 186.

18)ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ج2، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د س).

19)ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل النّويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983.

20)ابن مليح، أبو عبد الله محمد القيسي السّراج أنس السّاري والسّارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق، محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشّؤون الثقافية والتّعليم الأصلي، فاس، المغرب،1868.

21)ابن مليح، أنس السّاري والسّارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (1040-1042)، التحقيق: محمد الفاسي، المملكة المغربية، فاس، 1986م

22)أبو العبّاس الغبريني (أحمد بن أحمد عبد الله)، عنوان الدّراية فيمن عرف من علماء في المائة السّابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، المؤسّسة الوطنية للنّشر التّوزيع، الجزائر، 1981.

23)أبو حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق سميرة المجذوب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1983.

24)أبي بكر بن أحمد المصطفى، منح الرّب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشّكور، تحقيق محمد الأمين بن حمادي، ENS EDITIONS ، ليون، فرنسا، 2011.

25)الإدريسي، نزهة المُشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

26)الأرواني (مولاي أحمد بابير)، السّعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهيّة، تحقيق، الهادي مبروك الدالي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، دار الكتاب الوطنية، 2001، بنغازي، ليبيا.

27)الأندلسي، أبي عبد الله المجاري برنامج المجاري، تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.

28)البرتلي الولاتي (أبو عبد الله الطالب محمد ابن أبي بكر الصّديق)، فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التّكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

29)البرنسي الفاسي الزروق أحمد بن محمد، شرح زروق على متن الرّسالة، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

30)البكري أبو عبد الله، المسالك والممالك، ج2، تحقيق، أدريان فان، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تُونس، 1992م.

31)البلوي (لأبي جعفر بن علي الوادي أشي)، الثبت، تحقيق، عبد الله عمراني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983.

32)بن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1977م.

33)بن الشّماخي (أحمد بن سعيد)، كتاب السير،ج1، تحقيق أحمد ابن مسعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة العمانية، ط2، عمان، 1992.

34)بن الصّغير، أخبار الأئمة الرّستميين، تحقيق، محمد ناصر، إبراهيم إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

35)بن بطّوطة (محمد بن عبد الله بن إبراهيم ابن بطوطة أبو عبد الله)، تُحفةُ النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الشّيخ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987.

36)بن عاشر أبي محمد عبد الواحد، المرشد المعين على الضّروري من علوم الدين (متن ابن عاشر)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.

37)التلمساني أحمد بن زكري، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محند أودير مشنان، ج1، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

38)التّلمساني الشّريف، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة، تحقيق محمد علي فركوس، مؤسّسة الرّيان، بيروت، ط1، 1998م.

39)التّنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في شرف بني زيان، حقّقه محمود أغا بوعيادة، موفم للنّشر، الجزائر، 2011.

40)التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق، محمد بو عيادة، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

41)الجرجاني (علي بن محمد بن علي)، التّعريفات، تحقيق، إبراهيم علي الأبياري، دار الكتاب العربي لبنان، ط3، 1996.

42)جلال الدين السّيوطي، الحاوي للفتاوي، ج1، ضبطه وصحّحه: عبد اللّطيف حسن عبد الرّحمان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000.

43)الخشني (محمد بن الحارث بن أسد)، طبقات علماء إفريقية، تحقيق، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1413هـ/1993م.

44) الدّاودي أبو جعفر أحمد بن النّصر، كتاب الأموال، تحقيق رضا محمد سالم شحاده، مركز الإحياء التراث، الرباط، 1988.

45) الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه، أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التّنوخي (ت839هـ)، (د س)، (د م) ج2.

46) الذّهبي (شمس الدين)، طبقات القراء، ج2 تحقيق أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلامية، الرياض، السّعودية، ط1، 1997.

47) الرعيني (أبو الحسن علي بن محمد بن علي الريني الإشبيلي)، برنامج شيوخه، تحقيق إبراهيم شيوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م.

48) الزّركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، ج1،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1957.

49) الزّركشي (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماضو، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

50) الزهري أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافيا، التحقيق محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، (د س) ، (د ط).

51) الزياني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط2، 2007.

52) السّبكي تاج الدين عبد الوهاب، مُعيد النّعم ومبيد النّقم، تحقيق محمد علي نجار وآخرون، دار الكتاب العربي، منشورات جماعة الأزهر للنّشر والتأليف، مصر، 1948.

53) السّملالتي العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج8، تحقيق عبد الوهاب ابن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993.

54) السّنوسي محمد بن يوسف، المنهج السّديد في شرح كفاية المريد –شرح المنظومة المسماة بالجزائرية–، تحقيق محمد المرزوقي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1994.

55) السنوسي، محمد بن يوسف، العقيد الوسطى وشرحها، تحقيق، يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

56) الشّيرازي (إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي أبو إسحاق)، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1970.

57) العمري ابن فضل الله، مسالك أبصار في ممالك الأمصار، ج4، تحقيق حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة، 2002م.

58) العياشي عبد الله بن محمد ، الرّحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

59) الفشتالي (عبد العزيز بن محمد)، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق، عبد الكريم كريم، مطبعة ومكتبة عصرية، الرباط، د ت، ص 144.

60) الفشتالي عبد العزيز أبي فارس، مناهل الصفا في مآثر مولانا الشرفا، دراسة وتحقيق عبد الله الكريم كريم، مطبوعات وزارة لأوقاف والشّؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة ومكتبة عصرية، الرباط، 1972.

61) القادري محمد بن الطّيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثّاني، ط1، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

62)القادري محمد الطيب، التقاط الدّرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، ج2، تحقيق هشام العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1974م،

63)القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد القادر الصّحراوي، ط2، ج4، ج7، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،1983.

64)القرافي شهاب الدين، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت، 2004.

65)القزويني زكريا بن محمد بن محمود الشّافعي، أثار البلاد وأخبار العباد، دار الصادر، بيروت، (د ت).

66)القلصادي أبي الحسن علي الأندلسي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية لتوزيع، تونس، 1978.

67)كامرا موسى ، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تحقيق حماه الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، بيروت 1971.

68)كعت، محمود تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، دار النشر هوداس، باريس، 1964.

69)الكنتي محمد بن مختار، الرّسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد سالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة الكوثر، الرباط، المغرب، 2003.

70)لخروبي محمد بن علي، شرح عيوب النفس، تحقيق الأستاذ محمد الطيب إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.

71)المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج1، تحقيق والمراجعة، بشير بكوش، محمد غيروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1994.

72)المالكي أحمد محمد الصاوي، حاشية العلامة الصاوي على التفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1934.

73)مجدوب عبد الكريم، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج2.

74)محمد صالح بن عبد الرحمن بن سليم الأوجلي، شرح السّبك الجواهر في استخراج ما تضمنه قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" من العقائد، بعناي نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس.

75)مخلوف محمد بن عمر بن قاسم، شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية، ج1، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

76)المراكشي ابن العذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط3، تحقيق كولان وليفي برونفنصال، دار الثقافة، بيروت، 1983.

77)المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد عربان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، 1939.

78)المراكشي، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، العراق، (د ت).

79)المراكشي (ابن عبد الملك)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، تحقيق محمد بن شرف، القسم الأول، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ت.

80) المغيلي عبد الكريم التلمساني، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم والتحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

81) المغيلي محمد ابن عبد الكريم التلمساني، مختصران في الفرائض، تحقيق محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، 2012.

82) المغيلي محمد بن عبد الكريم، لب اللّباب في ردّ الفكر للصّواب، تحقيق أبو بكر بالقاسم ضيف، دار ابن حزم، لبنان، 2006.

83) المغيلي محمد بن عبد الكريم، مختصران في الفرائض للعلاّمة محمد بن عبد الكريم المغيلي، تحقيق: محمد الشايب شريف، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والبحوث، الجزائر، 2013.

84) المغيلي محمد بن عبد الكريم التلمساني، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تحقيق محمد خبر رمضان يوسف، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 1994.

85) المغيلي محمد بن عبد الكريم التلمساني، تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين، تحقيق، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، 1994.

86) المقديسي محمد بن أبي بني، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، 1959.

87) المقري أبو العباس أحمد، رحلة إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن عمر، منشورات مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م

88) المقري أبو العباس أحمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1983.

89) المقري أحمد التّلمساني، إضاءة الدُّجنه في اعتقاد أهل السّنة، شرح محمد بن أحمد الشنقيطي الملقب بالداه، راجعه وعلق عليه أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د س) (د م).

90)المقري التلمساني (أحمد بن محمد)، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج5، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1388هـ/1968م.

91)مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، تفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار، تحقيق هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

92)مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ت.

93)الناصّري أبو العبّاس أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة السّعدية، ج5، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997.

94)النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تحقيق مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

95)الورتلاني (الحسن بن محمد)، نزهة النظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص 11.

96)الوزان حسن، وصف أفريقيا، تح محمد حاجي، محمد خضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1983.

97)الوسياني (أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان)، ج2، سير الوسياني، تحقيق عمر بن سليمان حمو سليمان بو عصبانة، وزارة التراث والثقافة، عمان،2009.

98)الوفراني (محمد الصغير بن الحاج عبد الله)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق، عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1998.

99)الونشريسي أبو العباس أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج6، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف، محمد حاجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م.

100) الياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله)، معجم البلدان، ج1، دار الصادر، بيروت، 1957.

101) اليحصبي عياض بن موسى ، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السّماع، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.

ثانيًا/ المراجع:

1) إبراهيم حسن حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1963.

2) ابن منصور عبد الوهاب، أعلام المغرب العربي، ج5، المطبعة الملكية، 1976.

3) أبو الفضل محمد أحمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي 515-686هـ/1121-1287م، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996م.

4) أبو ضيف مصطفى، أثر القبائل العربية في الحياة العربية المغربية، ط2، دار النشر المغربية، الرباط، 1982.

5) أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998.

6) اكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

7) الألوري عبد الله آدم، موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة،1965، بيروت،

8) بابكر الحسن، خليفة دراسات في تاريخ المذهب المالكي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001.

9) الباروني (سليمان بن عبد الله)، كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، المراجعة، محمد علي الصلابي، دار الحكمة، لندن، 2005.

10) الباز السيد أحمد، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السّودان الغربي في عهد دولتي (مالي وصنغي) القرن (10/7هـ) (16/13م) الدورية الإفريقية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013.

11) البكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

12) بكير محمود أحمد، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1990.

13) بن الحسين الشّيخ الطيب بن عمر، السّلفية وأعلامها في موريتانيا، دار بن حزم، بيروت، 1995.

14) بن خروف عمار ، العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006.

15) بن سيدي محمد مولاي محمد ، التّفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الإمام مالك، (د م)، 2008.

16) بن طوير الجنة الطالب أحمد ، الرّحلة، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1982.

17) بن عبد الله عبد العزيز ، معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983. بن عمر الجزائري بشير ضيف ، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، مكتبة طريق العلم، ط2، الجزائر، 2007.

18) بن علي سيدي عمر ، فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، (د س).

19) بن محمد الشواط الحسين ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ.

20) بن محمد شواط الحسن ، مدرسة الحديث بالقيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري ج1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط1411،1هـ.

21) بن مسعود اليوسي أبو المواهب الحسن ، القانون في أحكام العالم وأحكام المتعلم، تحقيق، حميد حماتي، مطبعة الشالة، الرباط، 1998.

22) بن مليح عبد الإله ، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي،، بيروت، 2004

23) بن موسى الحاج موسى بشير ، الشّيخ عمي السّعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي – حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب، مؤسّسة الشّيخ عمي السعيد، غرداية، الجزائر، ط2، 2006.

24) بوعزيز يحي ، تاريخ إفريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر ، الجزائر،2009.

25) بوعزيز يحي ، تاريخ إفريقية الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20، ج1، دار البصائر، الجزائر، ط خ، 2009.

26) بوعزيز يحي ، مدينة وهران عبر التّاريخ، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009، الجزائر.

27) بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنيين السابع والثّامن هجري الموافق 14 – 15م ميلادين، دار كنوز الحكمة، الجزائر،2011.

28) التّهامي إبراهيم ، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة، ط1، 2005.

29) جامعة شنقيط العصرية، دليل نوادر المخطوطات في مدينة شنقيط، التصنيف والتوضيح والسحب في الإيسيسكو، الرباط، 2014.

30) جدي مراد ، رحلة التّصوف المغربي إلى بلاد السّودان الغربي ما بين القرنيين 5-10هـ/11-16م، السّيرورة التاريخية والفعالية الاجتماعية الثقافية، ضمن كتاب "المغرب وإفريقيا جنوب الصّحراء، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، (د ت)، المغرب.

31) الجعفري أحمد أبا الصّافي ، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.

32) الجعفري أحمد أبا الصّافي ، من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2011.

33) الجعفري أحمد أبا الصافي ، من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2011.

34) جعفري أحمد أبا الصّافي ، من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، ، الجزائر،2011.

35) الجعفري أحمد أبا الصّافي، العلاقات الثّقافية بين توات والسّودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، 2009، الجزائر.

36) جعفري أحمد أبا الصّافي، من تاريخ توات أبحاث في التّراث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2011.

37) جعفري مبارك بن صافي ، العلاقات الثقافية بين توات والسّودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السّبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

38) الجمل شوقي وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998.

39) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرّستمية، المؤسّسة الوطنية للكتاب، 1984، الجزائر.

40) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدّولة الرّستمية، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007.

41) الجوهري يسرى عبد الرزاق ، الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ الكشوف ولتطور الفكر الجغرافي، دار النهضة العربية، بيروت، 2007.

42) حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو الزياني حياته وآثاره، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.

43) حركات إبراهيم ، مدخل إلى تاريخ العلوم في المغرب الإسلامي، ج1،دار الرّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.

44) الحريري محمد عيسى ، الدّولة الرّستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، (160-296هـ)، دار القلم، ط3، الكويت، 1987.

45) حسن على حمد ، قاموس المذاهب والأديان، دار الجيل، ط1، بيروت، 1998.

46) حسن محمد ، مسالك الثقافة بين القيروان وقلعة بني حماد، ضمن مسالك الثقافة والمثاقفة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التّاريخي، المملكة المغربية ط1، 2006.

47) الحطاب، مواهب الجليل شرخ مختصر خليل، ج1، دار الفكر ، بيروت، ط3 ،1992 .

48) حماه الله ولد سالم ، الإسلام والثقافة العربية في الصّحراء الكبرى: دراسات ومراجعات، دار الكتب العلمي، 2010.

49) حماه ولد ميابي ، تاريخ تشيت رسائل وأشعار، المكتبة الوطنية، (د ت)، نواكشوط، موريتانيا.

50) حوتيه محمد صالح توات والأزواد، دار الكتاب العربي، 2007، الجزائر.

51) الخيالي عبد المجيد ، رسلتان في أهل الذّمة الرّسالة الأولى مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الرّسالة الثّانية الإعلام بما أغفله الأعوام، تحقيق عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

52) الدالي الهادي مبروك ، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصّحراء، الدار المصرية اللبنانية ،1999.

53) دندش عبد اللّطيف عصمت ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408.

54) دندش عصمت عبد اللّطيف ، أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، ، بيروت، 1991.

55) دندش عصمت عبد اللإطيف ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

56) رزق الله أحمد المهدي ، الحركة التجارة في الإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار ولآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، 1998م.

57) روجي إدريس الهادي ، الدولة الصنهاجية، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1992، لبنان.

58) زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها على تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1968.

59) زبادية عبد القادر ، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسّسة الوطنية للكتاب، 1989.

60) زقور أحسن ، القواعد الفقهية المستنبطة من المدونة، دار بن حزم، الجزائر، د ت.

61) زهرة أبو مالك، حياته وعصره، مطبعة الإعتماد، مصر، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية 1946.

62) الزّهري خالد ، المصادر المغربية للعقيدة الأشعريّة ببيليوغرافية ودراسة ببليومترية، ج1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2007.

63) السّايح عبد الله ، صفحات من تاريخ ورقلة، دار هومة، الجزائر، 2010.

64) سيد محمد بن محمد عبد الله ولد بزيد، معجم مؤلفين في القطر الشّنقيطي، (د س)،(د م).

65) شعباني نور الدين ، محاضرات في تاريخ ممالك السّودان الغربي، دار الجزائر، 2015.

66) شعباني نور الدين ، محاضرات في تاريخ ممالك السّودان الغربي، دار الجزائر، 2015.

67) شعباني نور الدين، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، 2015.

68) شقرون محمد ، الإسلام واحد ومتعدد (الإسلام الأسود)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،2007.

69) شكري أحمد، الإسلام والمجتمع السّوداني - إمبراطورية مالي 1230، 1430، إصدارات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.

70) الشّنقيطي أحمد بن الأمين ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تحقيق، فؤاد السيد، مطبعة المدني، 1989.

71) الصّغير دخان عبد العزيز ، الإمام العلامة محمد بن يوسف السّنوسي التّلمساني، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 .

72) الصّغير دخان عبد العزيز ، الإمام العلامة محمد بن يوسف السّنوسي التّلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشذريف، دار كردادة للنّشر والتوزيع، الجزائر،2011.

73) صفي الدين الحلبي، قواعد الأصول ومقاعد الفصول في أصول الفقه، تحقيق، إلياس قبلان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2019، ص 70.

74) الصلابي علي محمد ، الدولة الفاطمية، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2007.

75) الصّلابي محمد علي ، فقه التمكين عند دولة المرابطين، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، 2017.

76) طورخان إبراهيم علي، الإسلام واللغة في السّودان الغربي والأوسط، الهيئة العامّة للتّأليف والنّشر، القاهرة، 1969.

77) طورخان إبراهيم علي، إمبراطورية غانة الإسلامية، هيئة المصرية العام|ة لتأليف والنشر، القاهرة، 1970.

78) عباد صالح ، الجزائر خلال الحُكم التّركي 1514م – 1830م، ط3، دار هومة للطباعة ونشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

79) عبد الكريم بن محمد البكري، رحلته في طلب العلم، دراسة وتحقيق، عبد الحميد البكري، دار الغرب للنشر والتوزيع، (ب ت)، ص 51.

80) عبد الكريم محمد ، المقري وكتابه النفح الطّيب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972.

81) عبدلي لخضر ، التّاريخ السّياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار بن النّديم، الجزائر، ط1، الجزائر، 2011.

82) العربي محمد ، بداية الحكم المغربي في بلاد السّودان الغربي، ج1،مؤسسة الخليج، الكويت، 1982.

83) عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، ، بيروت، 1403هـ/1993.

84) عطية جرجي شاهين ، سلم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، (د ت).

85) على حسن حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، مصر ، 1980.

86) عمر موسى عز الدين ، دراسات إسلامية غرب إفريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2،2003.

87) عنان محمد عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، 1964.

88) العوامر إبراهيم محمد الساسي: الصّروف في تاريخ الصّحراء وسُوف، تعليق، الجيلالي بن إبراهيم العوامر، منشورات الثالثة، الأبيار، 2007، الجزائر.

89) عويس عبد الحليم ، دولة بني حمّاد صفحة رائعة من التّاريخ الجزائري، دار الشّروق الجزائر، 1980.

90) غيث أمير سعد ، الثقافة العربية الإسلامية وتأثيرها في السّودان الغربي دراسة في التّواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2015.

91) فكاير عبد القادر ، الغزو الإسباني للسّواحل الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2012.

92) الفلاني عمر محمد صالح ، الثقافة العربية والإسلامية في غرب إفريقيا، دار المناهج للنشر والتوزيع، ، جدة، 2015.

93) فهرس مخطوطات جامعة إبدان، نيجيريا، طبع مؤسّسة الفرقان الإسلامي، لندن، 200.

94) فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

95) القادري إبراهيم ، الإسلام السّري في المغرب العربي، سيتا للنّشر القاهرة، 1995.

96) قاسم نايت بلقاسم مولوم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية (قبل 1830م)، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007.

97) قنان جمال ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر 1500 – 1830، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 2009.

98) كريم عبد الكريم ، المغرب في عهد الدولة السعديّة، مطبعة النجاح الجديدة، ، الدار البيضاء، المغرب، 1978.

99) لقبال موسى ، المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

100) لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

101) مجموعة من المصنفين، أبو عمران الفاسي حافظ المذهب المالكي، دار الأمان للنشروالتوزيع ، الرباط، المملكة المغربية، 2010.

102) مجموعة من المؤلفين، من أبرز علماء شنقيط، وزارة الثقافة والشّباب والرياضة، (د م ط)، 2013.

103) مجموعة من المؤلفين، من أبرز علماء شنقيط، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، موريتانيا، 2013.

104) مجموعة مؤلفين، التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كُتب وكيف يُكتب الإيجابيات المُمكنة، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السّياسات، لبنان، 2017.

105) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط.....

106) محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1964م.

107) محمد عوض محمد، الشّعوب والسّلالات إفريقيا، سلسلة دراسات إفريقية، الدار المصرية لتأليف والترجمة، (د ت)، (د م ط).

108) مدني أحمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري، مطبعة رمضان الريف، الجزائر، 1948م.

109) مسعد حسين محمد، وقفات على بلاد شنقيط، ط2، الدار العالمية للنشر والتوزيع، مصر، 2019.

110) مقدم مبروك ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2006.

111) المنوني محمد ، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989.

112) المنوني محمد ، ورقات حضارة المرنيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000.

113) مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتّعليم الإسلامي في غرب إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ط1، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998، الرياض، ص 284.

114) مؤنس حسين: المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة ، مصر، 2003 .

115) ميقا أبو بكر إسماعيل ، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، من 400هـ إلى 1100هـ – في عهد الممالك الإسلامية غانا، مالي، سنغاي، التي قامت في الغرب إفريقيا ما بين القرن الرابع الهجري والحادي عشر هجري، مكتبة التّوبة، 1997.

116) ميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

117) ناصر محمد صالح ، دور الاباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، بيروت، 1992.

118) النّجار عبد المجيد ، المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

119) النّحوي خليل ، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مكتبة المنتدى الإسلامي، تونس 1987.

120) النّوري الطيب ، الرّسالة النّورية في الطريقة القادرية، دار الكتب العلمية للنشر، 2007، لبنان.

121) النوري حمو عيسى، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديمًا وحديثًا، ج1، مطبعت البعث، الجزائر، (د، ت).

122) النويهض عادل ، معجم أعلام الجزائريين من عصر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسّسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980.

123) هريدي صلاح أحمد علي وآخرون، ، تاريخ أوروبا الحديث، مكتبة بستان المعرفة، ، الإسكندرية، مصر، 2005.

124) هلال عمار ، الطرق الصّوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1983.

125) ولد أباه محمد المختار ، الشّعر والشّعراء في موريتانيا، ط2، دار الأمان، الرباط

126) ولد المصطف محمد عبد الله ، من أبرز علماء شنقيط، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، إدارة الثقافة والفنون، د ط، 2013.

127) ولد بيه محمد المحجوب، موريتانيا جذور وجسو، مكتبة القرنين 16/15 للنشر والتوزيع، 2016.

128) ولد حامد المختار ، التّاريخ السّياسي، موسوعة حياة موريتانيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

129) ولد محمد يحي أحمد ، فهرس مخطوطات شنقيط وودان، مؤسّسة الفرقان لتراث الإسلامي،لندن، 1997.

130) ولد محمد يحي أحمد ، فهرست مخطوطات شنقيط وودان، تحقيق، أولرخ يربشتول، مؤسّسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1417هـ/1997.

131) يحفظ عمر إنجيه محمد عبد الله، النحو العربي ببلاد شنقيط، مركز الملك عبد بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، دار وجوه للنّشر والتّوزيع الرياض، 2018.

132) يحفظ عمرو إنجيه محمد عبد الله، النحو العربي ببلاد شنقيط، ط1، دار الوجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية

المَراجع المُعرّبَة

1) ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشّمالية، ترجمة عامر محمود، دار النهضة، لبنان، 1998.

2) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة، الهادي أولقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، نبغازي، ليبيا، 1988، ص 135.

3) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النّهضة المصرية، 1971.

4) جوزيف، كي، زيربو، تاريخ إفريقيا السّوداء، الدّار الجماهرية لنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا، 2001.

5) سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب: عبد القادر زبادية، دار القصيب للنشر، 2006.

6) فون مالتاس هاينريش ، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ، ج2، الجزائر، 1980.

7) فيرون ريمون ، الصّحراء الكبرى، ترجمة، جمال الدين الديناصورى، مؤسّسة سجل

8) كربخال مرمول ، إفريقيا، ج2 و ج3، ترجمة محمد حجي وآخرون، منشورات الجمعية المغربية لتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف، المغرب ، 1984 .

9) كورين شوفاليه ، ثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510 – 1541م، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

10) ل. وايدنر دونالد ، تاريخ إفريقيا جنوب الصّحراء، ج1، ترجمة: علي أحمد فخري، شوقي عطا الله الجمل، مؤسّسة سجل العرب، القاهرة، مؤسّسة فرانكلين للطباعة والنشر، (القاهرة، نيويورك) 1976.

11) مارتي بول ، كنته الشّرقيون، تعريب محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985.

12) نيقولاي إيفانوف ، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 1988.

13) هوبير ديشان ، الدّيانات في إفريقيا السّوداء، ترجمة: أحمد صادق حمدي، مراجعة: محمد عبد الله دراز، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1959.

14) وواف جيمس ، الجزائر وأوروبا، ترجمة والتّحقيق، أبو قاسم سعد الله، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

رابعا/المراجع باللغة الأجنبية

1) Delafoss (m), **Haut- sénégal- niger** : le pays, les peuples, mes langues, paris : Maisonneuve et Larose, Nouvelle édition , 1972,

2) F.elie de la primaudaie, **Lecommerce et la navigation de l Agérie Revue Algérienne et – 6 colonial** , Aunillac, 1860, p 265.

3) Jean Letheilleux : **Ouargla cité saharienne**, libraire orientaliste paulgeuthner, s.a, paris, 1983,

4) Joseph ki-zerbo : histoire de L'Afrique noire d'hier à demain, librairie Hatier. Paris, 1972, p 166.

5) L. Charles FERAUD. **Les Ben Djellab. Sultans de Tougourt** . Revue Africaine. N. 23. (1879).

6) Lewicki(T) : Etudes magrébines et soudanaises, Editions scientifiques de la polognie, varsovie, 1976,

7) M. Doumas, **Le Sahara algéries**, **Etudes géographiques statistiques et historiques sur la région** au sud des l établissement franÇaises, paris, 1845,

8) Martin A. G. P : **quatre siécles d histoire Marocaine (1504/1904)** Paris 1923

9) Maurice Delafosse, **Les civilisatisations Négro** – Africaines, paris, Librairie Stock, 1925.

10) Roland Oliver, Michael Crowder, **The Cambridge encyciopedia of Africa**, Cambrige at the university press, London, UK, 1962,

خامسًا/ المُذكرات والرّسائل العلميّة:

1) علي ابن الشّيخ، مملكة كوكو ونظامها السّياسي والعسكري، أطروحة دكتوراه في اللّغة والثقافة الأمازيغية، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2018.

2) ابن داود نصر الدين، بيوتات العلم بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/ 16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009م.

3) أبو الفضل حسن حلمي، السّياسة الخارجية لمملكة مالي الإسلامية (597، 886هـ/1484،1200م)، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2009.

4) الأزهاري عباس، نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603 ـ1884م، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، 2013/ 2014.

5) الأعرج عبد الرحمن ، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، قسم التّاريخ، جامعة أبو بكر بالقايد تلمسان، 2008/2007.

6) أمطير سعد غيث، الثّقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السّودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/ السّادس عشر والسّابع عشر

للميلاد، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدّراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة.

7) الأمين محمد عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسّودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي والسّنغاي، مذكر لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة القاهرة.

8) بريك الله حبيب، العلاقات التجارية بين مدينة تندوف وإفريقيا الغربية (السّودان الغربي) من خلال وثائق أسرة أهل العبد، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر 2، 2015/2014.

9) بوبيدي حسين ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في السّودان الغربي من ق: 5 – 10هـ/11 – 16م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ ، تخصّص العلاقات الاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي جنوب الصّحراء، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2021/2020.

10) بوخاوش مريم ، آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2015/20014.

11) بورملة خديجة ، التّجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض المتوسط– من القرن السّادس إلى التّاسع الهجري/ 12–15م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران 1.

12) بوسعيد أحمد ، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العام، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التّاريخ، جامعة أدرار،2012/2011.

13) بوعقادة عبد القادر ، الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7و9هـ / 13و15م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في تخصّص التاريخ

الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة أبو قاسم سعد الله 2 ،2015/2014.

14) بونابي الطاهر ، الحركة الصّوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008.

15) جوامع سالم ، الإمارات المستقلة بالمغرب الأوسط مطلع العصر الحديث: أصولها ونشوؤها، مجلّة مدارات تاريخية، المجلد2، العدد4 ديسمبر 2020، جامعة الوادي،

16) جودي سلام الدين النشا، الإمام أبو بكر الباقلاني وآراءه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ/1989م.

17) خبزي دليلة ، الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، كلية أصول الدين، خروبة جامعة الجزائر، 2002-2001.

18) الداه أحمد محمد ، القادرية في موريتانيا عرض ونقد، ج1، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

19) ذكار أحمد ، حاضرة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1000هـ إلى 1301هـ/1591م إلى 1883، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التّاريخ، 2010/ 2011.

20) رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ و9هـ/ 13 و 15م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016/2015.

21) زيغمي حسين ، ما يجب على المسلمين من اجتباب الكفار وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصّغار للشّيخ المغيلي (ت909هـ) دراسة وتحقيق وتعليق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فقه مقارن، كلية العلوم الإسلامية قسم الشريعة، خروبة، 2012/2011.

22) سالمي زينب، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08 – 10 هجرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أبي بكر بالقايد، الجزائر، 2011 /2012.

23) سالمي كريمة، الأسرة التبلبالية وإسهاماتها العلمية في منطقة توات خلال القرنين19 و20م، أطروحة لنيل دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، الجزائر، 2019-2020.

24) سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2003 – 2004.

25) شعباني نور الدين ، دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين الخامس والتّاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التّاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ، جامعة الجزائر 2، 2013/2012.

26) شقدان بسّام كامل عبد الرزاق ، تلمسان في العهد الزياني – 633هـ/962هـ – 1235 – 1555م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

27) طالبي هادي بن أحمد علي ، أبو الحسين الأشعري بين المعتزلة والسلف، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشّرعية لنيل درجة الماجستير في العقيدة، كلية الشّريعة بمكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1979م.

28) الطّاهر خالد، الثقافة الدّينية المغربية وأثرها على أفريقيا جنوب الصّحراء خلال القرنين 16و17 الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2020/2019.

29) الطاهري عبد الله، شهاب الدين أحمد الطاهر بن عبد المعطي السباعي الإدريسي الحسني، نسم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصّالحين والعلماء والثقات، دراسة وتحقق وعلق، عبد الله الطاهري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التّاريخ والآثار، جامعة قالمة، الجزائر، 2013/2012.

30) عبدلي لخضر ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2004-2005.

31) عشّي علي ، المغرب الأوسط في عهد الوحدين دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ/1139م إلى 633هـ/1235م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2012/2011.

32) عشي علي ، المغرب الأوسط في عهد الموحدين د-دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ/1139م إلى 633هـ/ 123م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والأثار، جامعة باتنة، الجزائر، 2012/2011.

33) الفانوس عمار سالم، دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الإفريقي، رسالة ماجستير كلية الفنون، جامعة بغداد، 2002.

34) كريب عبد الرحمن ، الأثر الحضاري للمذهب المالكي في المغرب الأوسط من القرن 5هـ/11م إلى القرن 9هـ/ 155م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017.

35) لعماري مرزوقلال، الحياة الثقافية في مملكة سنغاي على عهد الأسقيين (899 – 1000هـ/ 1493 – 1591م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2009-2010.

36) مجاهدي صباح، المفاتيح المرزوقية لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، تحقيق ودراسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربية، جامعة أحمد بن بلة (1) وهران، 2015.

37) مغراوي محمد، العلماء والصّلحاء والسّلطة في المغرب والأندلس في لعصر الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001/ 2002.

38) هاشمي آمال ، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السّانيا، الجزائر،2008/2007.

39) هدي عبد الرحمان ، غاية الأمل في إعراب الجمل للشّيخ محمد عبد الكريم بن أمحمد التواتي (ت 1042هـ) دراسة وتحقيق، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصّص: تحقيق المخطوطات اللّغوية والأدبية، كلية الآداب واللّغات، الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2016/2015.

40) هواري رضوان، التّحولات الاقتصادية والاجتماعية في السّودان الغربي من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/ 16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ، تخصّص تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2020/2019.

41) هواري محمد ، شرح سلم المنورق في علم المنطق للشّيخ سعيد قدورة (ت1066هـ – 1656) دراسة وتحقيق، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تحقيق المخطوطات، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013/2012.

سادسًا/ المقالات:

1)بن الحاج ميلود، العلاقات التّجارية ما بين دول المغرب الأوسط وممالك السّودان الغربي (160-962هـ/776-1554م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 1، العدد1 يناير 2020.

2)أبمبولا عبد السّلام عبد الغني ، إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية- مخطوطة العوامل في النّحو العربي للجرجاني نموذجًا -مجلّة رفوف مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، العدد السّادس، مارس 2015.

3)أسامة ، دور نظام العزابة في مواجهة الانحسار الإباضي في بلاد المغرب من القرن 5 إلى القرن 8هـ/11-13م، مجلة قبس للدّراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 4، العدد1، جامعة الوادي.

4)بالخي عبد الرحمن، محمد بوشقيف، الإجازة العلمية لعلماء المغرب الاوسط من خلال كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التّنبكتي، مجلة العبر للدّراسات التّاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04 العدد 02 سبتمبر 2021.

5)بريكة مسعود ، المعرفة العلمية ببجاية بين الرافد المحلي والوافد الخارجي من خلال عنوان الدّراية، مجلة عصور جديدة، العدد 18، عدد خاص بقسنطينة، أوت 1436هـ/2015م، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر.

6)بلاغ عبد الرحمان ، الدور الحضاري للأودية الصّحراوية في المغرب الأوسط وادي السّاورة خلال النّصف الأول من 11هـ/17م، مجلة السّاورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، ديسمبر 2015.

7)ـــــــــ ، العلم والعلماء في رحلة عبد الكريم بن محمد البكري التّمنطيطي (ت1042هـ/1632م)، مجلة السّاورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس، جوان 1017، جامعة بشار.

8)بن بشير سيد أحمد ، جهود علماء المغرب الأوسط في خدمة الفقه المالكي في القرن التّاسع الهجري، العدد 29 – رمضان 1437هـ/ جوان 2016، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، الجزائر.

9)بن خويا إدريس ، فاطمة برماتي، الشّيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي من المهد إلى اللّحد، مجلة الذاكرة، العدد السّابع، ماي 2016، ص 19.

10) بن دومة محمد الطاهر، أخبار وأيام وادي ريغ، تحقيق والتقديم، محمد الحاكم بن عون، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/ 2112.

11) بن عتو حمدون، الثعالبة في الجزائر من خلال المصادر المحلية، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سي بالعباس، العدد 15، 2017.

12) بن عربة محمد ، دور مدينة ورجلان في تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التّاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد4، العدد1 جانفي 2021، جامعة ابن خلدون، تيارت.

13) بن عمر الحاج موسى ، محطات تاريخية حول الانتقال السّياسي للجزائر من الحكم الزياني إلى النظام العثماني، مجلة الباحث، العدد 16.

14) بن عمر علال ، حركة الزهد ومنظومة التّصوف عند إباضية المغرب (بين الإرث التاريخي والتأثيرات المحلية) من مطلع القرن الثاني للهجرة إلى سقوط تهرت 296هـ/909م، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد06، العدد02، جامعة الوادي.

15) بن عمر محمد ، علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسّلطة العثمانية في الجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 9، العدد12، 2005، جامعة وهران1، الجزائر.

16) بن قربة صالح ، أهمية تبلبالة في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط، المجلد1، العدد1، 30،06،2001، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2.

17) بن معمر محمد ، المدرسة المالكية في حاضرة تلمسان حتى منتصف القرن السّابع الهجري، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد1، المجلد 1، ماي 2004، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.

18) بن موسى فلوسي مسعود ، المذهب المالكي والسّلطات المتعاقبة في الجزائر، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 1، العدد 1، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.

19) بنريرد حاج ، جهود علماء الجزائر في علم الكلام المؤلفات التّعليمية في المذهب الأشعري في المغرب الأوسط – دراسة ببيليو غرافية في القرن التاسع الهجري وما بعده – مجلة الإحياء، المجلد، 20، العدد، 26 سبتمبر، 2020.

20) بوبيدي حسين ، التّجارة والتّجار في إفريقيا الغربية من خلال المصادر الأوروبية –ق: 14–16م–، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 1، جوان 2020 ، جامعة قسنطينة.

21) ـــــــــــ، السّودان الغربي من الوثنية إلى الإسلام: دور التّجار والدعاة بين النّص التاريخي والتحليل السّوسيولوجي، العدد 17، مجلة الربيئة، مجلة رقمية تصدر عن جمعية علماء المسلمين الجزائريين، https://arrabiaa.net/

22) بوتدارة سالم ، الرّحلات العلمية التواتية نحو بلاد السّاحل الإفريقي وإسهاماتها العلمية، مجلة آفاق الفكرية، مجلد 4، عدد خاص، 2018.

23) بوعبدلي المهدي ، أضواء على تاريخ تمنطيط ودور المغيلي بها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة والسّياحة، الجزائر، السنة 16، العدد 94، جويلية – 1986.

24) بوكرابيلة زهرة ، واقع النشاط الثقافي في إقليم توات من القرن 7هـ إلى القرن 12هـ – قراءة في الملامح والأبعاد –، مجلة فرفوف، جامعة المجلد، 10، العدد01، جانفي 2022، جامعة أدرار، الجزائر

25) بونابي الطاهر، أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي الفيق الصوفي، مجلة الحوليات التراث، العدد السابع، 2007، جامعة مستغانم.

26) تواتية بودالية، علماء تلمسان من خلال كتاب" نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي"، متون، العدد 06، جوان 2012، ص 253.

27) تياقة،الصديق، الفقارة ودورها في الاستطان البشري وهيكلة البناء الاجتماعي في القصر من خلال نظام الخراصة، قراءة سوسيولوجية لمجتمعات توات في بلاد القصور أدرار، مجلة الخلدونية، المجلد6، العدد1، سبتمبر 2013، جامعة ابن خلدون، تيارت.

28) جراية محمد رشدي ، الصّحراء الجزائرية، دراسة في الجغرافيا، مجلة البحوث والدّراسات، العدد (24) السنة 14، صيف 2017.

29) جعفري أحمد ، مخطوط قصيدة "بُشراك يا قلب" بين القاض عياض والإمام المغيلي من النّاظم؟ لماذا؟ وكيف؟، مجلة رفوف، المجلد 09، العدد02 جويلية 2021.

30) جعفري مبارك ، حملة المنصور السّعدي على توات في الجنوب الجزائري (989هـ/1581م) وانعكاساتها على الصّحراء، المجلة السّنغالية للدراسات العربية، العدد 5، 2018، مركز الدراسات والبحوث حول العالم العربي – الإسلامي، مدرسة الدكتوراه، جامعة الشيخ أنتا جوب، دكار، السنغال.

31) جلول هادي ، الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السّلطة الزيانية بها (ق8-9هـ/14-15م)، مجلة الأكاديمية لدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 19، جانفي 2008، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، الجزائر.

32) الجيلالي عبد الرحمان ، أبو يعقوب يوسف الوارجلاني وكتابه الدّليل والبرهان، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد63.

33) حساين عبد الكريم، التّوجه الإباضي نحو الصّحراء بعد سقوط الدولة الرّستمية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التّاريخية المتوسطية، العدد الثاني، شتاء 1436، 2015، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، الجزائر.

34) حميداتو مصطفي ، أضواء على المحدثين الجزائريين الذين خدموا صحيح الإمام البخاري، العدد الحادي عشر، مجلة الإحياء، تصدر عن كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، الجزائر.

35) حمين عيسى، تخريج الأصول على الأصول من خلال مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للشريف التلمساني، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 22، العدد الأول جوان 2021.

36) خالد محمد، الطريقة القادرية من إقليم توات إلى بلاد السّودان، مجلة الفكر المتوسطي، المجلد 10/ العدد 02، 2012، ص 89.

37) خالدي مسودي ، المذاهب الإسلامية في ممالك السّودان الغربي، العدد:01، السنة 2019، المجلد 33، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

38) ذير أوسالم محمد ، مساهمة علماء بجاية في خدمة المذهب المالكي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 14 شعبان، 1431هـ/2010م، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، ص 245.

39) زاهر ابتسام ، الأدب النوازلي مصدرا لتاريخ الإماء " نماذج من المغرب الأوسط خلال العصر الويسط"، مجلة عصور جديدة، العدد13، ربيع(أبريل) 1435هـ-2014، مجلة فصلية محكمة مصنفة يصدرها مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران1، الجزائر.

40) زاوي بوبكر ، إسهامات فقهاء المغرب الأوسط في علم أصول الفقه ما بين القرنين 4هـ – 10م/09هـ – 15م، مجلة متون العلوم الاجتماعية، المجلد الثامن، العدد الثالث، ديسمبر، 2016.

41) زدك براهيم، معروف بالحاج، أعلام القرن 10هـ/16م في منطقة وادي ميزاب، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 9، العدد 1 جوان 2018، جامعة تلمسان، الجزائر.

42) زرمان محمد ، مساهمة أبي العباس أحمد المقري في خدمة العلوم الإسلامية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 19، العدد1، 2004، ص 153.

43) ساقني عبد الجليل ، الصديق تياقة، الطّريقة القادرية كمنهج في التّصوف بالجزائر، مجلة البحوث والدّراسات الإنسانية، المجل9 العدد18، سنة 2019، جامعة 10 أوت 1955، سكيكدة.

44) سعودي عبد الرّحمن ، لخضر حداد، جهود علماء الجزائر في علم غريب القرآن من القرن التّاسع الهجري إلى القرن الخامس عشر، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، المجلد 13 العدد 2، 2020.

45) السلطاني الجيلالي ، المذهب المالكي على عهد الدّولة الموحدية بالمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 5، العدد6، ديسمبر1999، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر.

46) شافو رضوان ، العلاقات السّياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصّحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا 1531 – **1854م**)، مجلة القرطاس، العدد الثاني، جانفي 2015.

47) شعباني صلاح الدين ، تطوّر الإمامة الإباضية بالمغرب في طور الكتمان الأخير (ق3-5هـ/9-11م) نظام العزابة نظام بديل عن إمامة الظهور، مجلة الدّراسات التّاريخية، المجلد17، العدد2، جامعة الجزائر 2، ص 389 ما بعدها.

48) شعباني نور الدين ، دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصّحراء بين القرنيين الخامس والتاسع هجري/ الحادي عشر والخامس عشر ميلادي، دورية كان التاريخية، العدد 14، ديسمبر 2011.

49) صديقي بلقاسم ، بدايات الوجود العثماني بالجزائر 1505 – 1519م، مجلة مشكلات الحضارة، المجلد8، العدد2، 2020، جامعة الجزائر2.

50) صديقي علي عبد الفتاح ، الرّحلات ودورها في التّواصل العلمي بين توات وغيرها من الحواضر ما بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر هجري، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 19، العدد الثاني، أكتوبر 2018، جامعة وهران 1، الجزائر.

51) طالبي عمار ، المؤلفات العلمية في تلمسان من خلال البستان، مجلة الوعي، دار الوعي، الجزائر، العدد المزدوج 3-4، أفريل – ماي، 2011.

52) عابد سفيان ، مملكة مالي في عهد الملك منسي موسى (1312-1337)، مجلة الدراسات الإفريقية بالجزائر، مجلد 3، العدد7، ماي2019، جامعة الجزائر 2 أبو قاسم سعد الله.

53) عاصم محمد حسن محمد، الديانات التقليدية في غرب إفريقيا مدخل دراسي، مجلة قراءات إفريقية، العدد الثالث، ذو حجة 1429هـ، ديسمبر 2008م، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

54) عبد الواحد عبد السّلام شعيب، الأثر الصّوفي في كتابات المؤرّخ أحمد بابا التّنبكتي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد2، المجلد 21، أكتوبر 2006، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ، الجزائر.

55) عبدلي لخضر ، العلوم الدّينية بتلمسان خلال عهد بني زيان، مجلة القرطاس، العدد1، السّنة 2012، العلوم.

56) عزوزي عبد الصّمد ، إقامة المقري التّلمساني بدمشق من خلال مخطوط للشّاهين، دراسة وتحقيق، مجلة الآداب واللّغات، العدد 10 ديسمبر 2019م، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر.

57) عليوان أسعيد ، جهود السّنوسي التّلمساني في نشر الأشعرية وتثبيتها في الغرب الإسلامي، مجلة المعيار، المجلد 18، العدد36، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

58) العمري ياسين ، الفكر السّياسي عند محمد بن عبد الكريم المغيلي في مفهوم السّلطة دراسة مقارنة مع فكر نيكولو ميكافيلي، مجلة الذخيرة للبحوث والدّراسات الإسلامية، مجلد5، العدد2 ديسمبر 2021، جامعة غرداية، الجزائر.

59) عميمور أيمن، حملة أحمد منصور الذهبي على بلاد السّودان الغربي وموقف السّودانيين منها في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد 2، العدد4، 2016، جامعة الجزائر 2.

60) عيسى عبد الله، صورة الأرواحية عند المجتمع السّوداني الغربي خلال العصر الوسيط، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد: 03، العدد: 08 ماي 2020.

61) الغربي الحواس ، ظروف الحملة المغربية السعدية على مملكة سنغاي، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 05، 2018.

62) غربي بغداد، بن ميرة سعيد، أضواء على العلاقات بين السّودان وبلاد المغرب الإسلامي حتى فترة الموحدين العلاقات التجارية أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 5، العدد 3، جوان 2022، جامعة ابن خلدون، تيارت.

63) غرداين مغنية ، بجاية الوجهة الأولى لبني غانية في التوسع (581-580هـ/1185-1184م)، مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد 3، العدد1، جانفي 2015، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

64) فوزي أمير، دخول المذهب المالكي إلى الجزائر "النّشأة والتّطور"، الشّهاب مجل 6 العدد، 03 (محرم1442هـ/سيبتمبر2020م).

65) فيلالي فاطمة، منهج وأسلوب العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في التأليف من خلال كتابه مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مجلة الاستيعاب، العدد الثاني، ماي 2019، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

66) مبركي عمر ، أشعرية الإمام السّنوسي من خلال كتابه – مكمل إكمال المعلم –، مجلة المعيار، المجلد 18، العدد 36، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.

67) محمد حامد أحمد زينب ، الصّراع حول المسالك التّجارية بالغرب الإسلامي ما بين: (ق2-6هـ/8-12م)، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد العاشر، المجلد3، مؤسسة هيرودوت للبحث العلمي والتكوين، الجزائر.

68) المدني أحمد توفيق ، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530 – 1554م، مجلة الأصالة، العدد26 .

69) مزين محمد ، بلاد المغرب وبلاد السّودان خلال القرنيين 16 – 17 الميلاديين، مجلّة المؤرخ العربي، العدد 31، 1987.

70) مسعودي خالدي، أبو إسحاق الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية في السودان الغربي، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد 7، جوان 2018، الجزائر، ص 54.

71) معاش المغناوي سعيد ، التّعريف بالمخطوطات الإفريقية (مخطوطات في العقيدة الأشعرية بمعهد الأبحاث في العلوم الإنسانية بالنيجر) مجلة علماء الأفارقة، العدد الثاني، السنة الأولى، مؤسسة محمد السادس، المملكة المغربية، 2020.

73) ملاخ عبد الرّحمان ، الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في بلاد المغرب الأوسط مراكز المسالك الصّحراوية أنموذجًا، مجلّة النّاصرية، العدد الرابع، جوان 2013، جامعة معسكر، الجزائر.

74) موساوي مجدوب ، صورة لمدن الجنوب الغربي الجزائري في الفترة العثمانية من خلال المصادر التاريخية –مدن وادي الساورة أنموذجًا–، مجلة السّاورة للدّراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 01،2021.

75) ميغا هارون المهدي ، المدارس الإسلامية في غرب إفريقيا مُشكلات وحُلول، مجلة الفيصل، العدد 257، مارس، 1998، المملكة العربية السعودية، ص 26

76) ميكا عبد الرّحمن محمد ، العقيدة الأشعريّة في السّودان الغربي، العدد 2 السنة الأولى، 2020، مجلة العلماء الأفارقة، مجلة علمية تصدر عن مؤسّسة محمد السّادس للعلماء الأفارقة، المملكة المغربية، ص 133.

77) ميكا، جهود العلماء الأفارقة في خدمة المذهب المالكي أحمد بابا التّنبكتي أنموذجًا، مجلة العلماء الأفارقة، السّنة الأولى، شهر صفر 1441هـ الموافق لشهر أكتوبر 2019م، العدد الأولى، مؤسّسة محمد السّادس للعلماء الأفارقة، المغرب.

78) هرباش زاجية، ورجلان دراسة اقتصادية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04، العدد، 02 سبتمبر 2021، ص 456.

79) هواري محمد ، مخطوط: "شرح مختصر في علم المنطق" للشّيخ محمد بن يوسف السّنوسي" دراسة وصفية، مجلة نتائج الفكر، العددان الثالث والرابع، جوان 2018/شوال 1439، المركز الجامعي الصالحي أحمد النعامة، الجزائر.

80) وزار سليمان، ابن مرزوق الحفيد وكتابه المفاتيح المرزوقية لحلّ أقفال واستخراج خبايا الخزرجية، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، المجلد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020، ص 556.

81) ولد أن محمد الأمين ، محمدان محمد التلميدي، الحياة العالمة في السّاحل والصّحراء: حياة أحمد بابا التنبكتي نموذجًا، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 16، العدد 27، جوان ، جامعة وهران 1، 2015.

82) يحي البراء، العلاقات الفكرية والروحية بين بلاد شنقيط والجزائر، http://www.almawqi.com.

83) يعقوب علي ، الفلانيون شعب واللّغة، مجلة القراءات الإفريقية، العدد 24، ربيع الآخر–جماد الآخرة 1426هـ، أبريل، 2015م.

84) يكبر المصطفى، المذهب المالكي في الصّحراء والسّودان الغربي، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد الأول، العدد الثالث3

سادسًا/ الموسوعات

1)إيفان هيربك، بروز الدّولة الفاطمية، تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م.

2)التواتي بن تواتي، خبر الآحاد عند المالكية والإباضية، ملتقى المذهب المالكي الخامس، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ولاية عين الدفلى، 14 – 15 أفريل، 2009،

3)سيكيني مودي سيسوكو، السنغاي بين القرن 12و 16م، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م.

4)ليفيتسكي تاديور ، دور الصّحراء الكبرى وأهل الصّحراء في العلاقات بين الشّمال والجنوب، ج3، تاريخ إفريقيا العام، ص 335.

5)مجموعة من الأساتذة، أطلس العالم، مكتبة لبنان، بيروت، (د س)، ص 37،

عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج2.

سابعًا/ الملتقيات:

1) بلبالي إبراهيم، التأثير الثّقافي والفكري لحاضرة تلمسان على توات في القرن9هـ من خلال نوازل الونشريسي – نازلة يهود توات –، الملتقى الوطني الأوّل حول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الاسلامي، أدار، 9009.

2)ولد عبد الله عبد الودود، التّحولات التّصوف عبر الصّحراء من زاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية، الأدب المقاوم في القارّة الإفريقية، أعمال ملتقى عيون الأدب العربي النسخة التاسعة، دور الشيخ سيدي المختار الكنتي، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، المغرب، أبريل/ نيسان/ 2018م.

3)شيخنا سيدي عمر، مؤسّسة التّصوف في غرب إفريقيا الطرقية السّياق التّاريخي والأجندة الإصلاح مركز الجزيرة للدراسات،12أغسطس2019، ./https://studies.aljazeera.net

4)محمد بن شريفة، بين أحمد بابا وأحمد المنصور، المغرب وإفريقيا جنوب الصّحراء في بدايات العصر الحديث، تنسيق، فاطمة الحراق، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط 1995.

ثامنًا/ المعاجم:

1)عادل النّويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسّسة النّويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، 1980.

2)أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج4.

3)مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج2، دار الغرب الإسلامي، 1999، بيروت.

4)ابن المنظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (دت).

تاسعًا/ الأشرطة الوثائقية:

1)محاضرة «شوارق الأنوار المحمدية على الإمام المغيلي»، الأستاذ الطاهر أبو قاسم برايك، ضمن الملتقى السّادس لدروس المحمدية «العلم والتزكية في الحضارة الإسلامية»

الخميس 18رمضان 1432-الموافق لـ 18 أوت 2011م، تاريخ رؤيته 25، 12، 2022، ساعة 12:00.

الفهارس العـــــامّة

الفهارس العامّة

1-فهرس الشّخصيات والأعلام

241, 242, 248,
267, 276
أحمد منصور الذهبي ,
44, 58, 156,
269, 272, 326
أسكيا محمد الكبير193 ,

ا

الإدريسي ,20, 25, 47 ,
48, 83, 86, 87,
91, 95, 152,
154, 183, 293,
318
الإمام الأفلح ابن عبد
الوهاب76 ,
البرتلي ,ط, 51, 202,
204, 225, 252,
254, 265, 293
البكري ,20, 48, 67 ,
69, 70, 75, 78,
85, 120, 153,
154, 176, 177,
185, 187, 189,

ابن مرزوق ,130 ,
136, 143, 144,
152, 222, 275,
328

أ

أبو العباس الغبريني ,30 ,
133, 292
أبي القاسم التواتي242 ,
أبي بكر الباقلاني206 ,
أبي بكر محمد بن الحسين
الحضرمي207 ,

ا

احمد البكاي242 ,232 ,

أ

أحمد المقري التلمساني ,
142, 158, 159
أحمد بن عبد الله الزواوي
الجزائري214 ,
أحمد بن عمر بن محمد
أقيت ,200, 224 ,

أ

أبا عمران الفاسي ,185 ,
206

ا

ابن الأعمش العلوي
الشنقيطي258 ,
ابن بطوطة ,66 ,48 ,
68, 69, 93, 102,
189, 191, 193
ابن خلدون ,25 ,21 ,
26, 30, 38, 44,
50, 54, 80, 85,
86, 88, 89, 96,
97, 101, 102,
114, 125, 128,
129, 134, 136,
139, 142, 144,
145, 147, 150,
185, 187, 190,
291, 292, 321,
323, 326, 328

270, 294, 309,
314, 317, 318,
319, 320, 321,
322, 323, 324,
325, 326, 327,
329

ج

جلال الدين السيوطي ,
56, 64, 148, 294

ح

حسن الوزان ,23 ,21 ,
24, 25, 32, 34,
35, 40, 41, 44,
65, 66, 85, 92,
98, 103, 193,
249

س

سيدي محمد الكنتي ,94 ,
232, 240

ع

عبد الرحمان الثعالبي ,
130

الونشريسي ,126 ,121 ,
155, 156, 183,
184, 198, 200,
220, 221, 257,
258, 271, 300,
329

الياقوت الحموي ,117 ,
189, 301

ب

بوعقادة ,109 ,106 ,
110, 127, 128,
129, 130, 137,
153, 316

ت

تلمسان ,أ, د, 20, 27,
28, 29, 33, 35,
36, 39, 60, 69,
80, 83, 84, 100,
102, 103, 113 ,
123, 124, 125,
126, 127, 128,
131, 132, 133,
139, 140, 148,
153, 155, 158,
168, 169, 196,
241, 293, 302,
308, 320

التنسي ,124 ,28 ,
125, 132, 272,
294

العياشي ,84 ,46 ,38 ,
85, 89, 90, 91,
101, 103, 152,
156, 175, 296

الغبريني ,116 ,30 ,
117, 118, 122,
123, 135

القاضي عياض ,105 ,
107, 113, 116,
135, 158, 207,
236, 263, 269,
297

القاضي محمود بن ابي
بكر بغيغ241 ,

القلصادي ,162 ,138 ,
271, 275, 297

المذهب المالكي256 ,

المراكشي ,28 ,20 ,19 ,
65, 67, 109,
119, 128, 129,
150, 170, 254,
292, 298

محمود كعت ,ح, 51, 53, 69, 86, 87, 102, 194, 195, 197, 198, 199, 201, 240, 244, 248, 249, 250
منسا موسى ,61 ,53 , 69, 93, 191
منسى موسى ,52 ,50 , 102, 190

ي

يحي التادلسي ,240 , 245, 266

محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي , 209, 248, 255, 259, 260, 261
محمد بن يوسف السنوسي ,138 , 144, 153, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 206, 208, 214, 216, 217, 218, 276, 277, 307, 328
محمد عبد الكريم المغيلي , 168, 171
محمود بن عمر أقيت , 257

عبد الرحمن الجيلالي , 29, 80, 106, 117, 120
عبد الرحمن السعدي ,54 , 244, 249
عبد الله البلبالي ,98 , 242
عبد الله بن ياسين ,118 , 185, 206, 245, 263
عقبة بن نافع الفهري93 ,

م

محمد بن عبد الكريم التواتي175 ,174 ,

2-فهرس القبائل والشعوب:

الثعالبة31 ,30 ,
الحفصيون/الحفصيين ,
32, 38, 21, 31,
39, 40
الزنوج99 ,64 ,53 ,
الزيانيون/ الزيانيين ,
21, 33, 35, 38,
89, 92, 93, 96,
98, 110, 117
السعديين ,48 ,46 ,
60, 61, 67, 69,
107
السنغاي ,ح, ي, 54,
56, 57, 58, 59,
60, 61, 63, 99,
83, 87, 170
السوننكي55 ,
الطوارق ,53 ,26 ,
61, 100, 101,
102, 95, 143
127, 128, 129,
130, 131, 146,
147, 148, 105,
109, 110, 124,
125, 155

ا

الاحتلال الإسباني ,33 ,
34, 35, 36, 37,
38, 64
الأدارسة32 ,
الأسقيين ,ي, 57, 59,
87, 142
الأسود70 ,52 ,
الأوروبيون63 ,
البربر ,53 ,51 ,25 ,
101, 74, 76,
148
البرتغاليون ,65 ,46 ,
66, 67
البيض ,72 ,54 ,52 ,
83
إباضية81 ,

أ

أشانتي77 ,67 ,
أفارقة ,76 ,78 ,77 ,
97, 101, 104,
169
أقيت ,92 ,91 ,87 ,
93, 95, 119,
137, 138, 147,
148, 149, 157,
168, 169, 174,
179

آ

آل مقري ,87 ,86 ,
89, 90, 108,
88, 92, 93,
109, 110, 112,
113, 114, 126,

78, 80, 84,
128, 132

ز

زناتة29, 21, 20 ,

س

سنونكي55 ,

ص

صنهاجة ,52, 26 ,
101, 102, 104,
81, 73, 76

ف

فلاني53 ,

ك

كعت ,ح, 54, 56,
73, 90, 92,
85, 83, 107,
87, 88, 90, 92,
136, 141, 146,
147, 149, 150,
170
كنتة102, 98 ,

اليهود ,64, 35 ,
101, 124, 139,
141, 126

ب

بامبارا55 ,
بني النصر ,29, 28 ,
79, 80, 176
بني جلاب ,41, 39 ,
42, 43, 44
بني حسان ,83, 70 ,
104, 164
بني عباس ,44, 32 ,
54, 89, 94, 72,
81, 114, 145
بني غابون43 ,
بني غبري ,82, 31 ,
83, 84, 89,
100, 102

ت

تاركة53, 26 ,
تجكانت104 ,
تكرور ,ح, ط, 53,
54, 72, 73,
100, 102, 147,

العثمانيين ,30, 22 ,
37, 38, 39, 40,
44, 124, 135
الفاطميين ,84, 83 ,
86
المالكية ,, 81, 82,
71, 72, 74, 75,
76, 77, 79, 80,
81, 82, 83, 84,
85, 86, 87, 88,
89, 90, 91, 92,
93, 94, 96,
104, 106, 108,
109, 130, 71,
72, 73, 74, 75,
77, 79, 80, 81,
82, 83, 84, 85,
86, 88, 89, 90,
92, 94, 96, 97,
99, 113, 116,
123, 127, 132,
142, 156, 158 ,
169, 172, 173
المانداتج77 ,
المذهب المالكي156 ,

مسوفة ,104 ,50 ,
107, 149
معقل164 ,45 ,30 ,

المُرابطين /مرابطين ,
21, 37, 50, 85,
88, 105, 84,
85, 90, 72, 74,
75, 76, 77, 78,
98, 113

ل

لمتونه74 ,53 ,
لمتونية21 ,

م

ماندينغ55 ,

3-فهرس الأماكن والبلدان:

إ

إفريقية ,أ, ب, د, ط, ي, 21, 23, 33, 36, 37, 45, 48, 49, 51, 55, 57, 58, 59, 62, 63, 64, 65, 75, 76, 77, 78, 81, 82, 83, 88, 91, 94, 96, 97, 102, 110, 188, 191, 192, 193, 195, 198, 203, 220, 239, 242, 243, 247, 250, 255, 256, 271, 282, 290

ا

السودان الغربي ,أ, ب, ج, د, هـ, و, ز, ط, ي, 22, 25, 45, 48, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 58, 59, 60, 62, 65, 66, 69, 71, 72, 73, 74, 77, 79, 80, 81, 82, 83, 86, 87, 89, 90, 91, 92, 93, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 161, 176, 187, 188, 189, 190, 191, 195, 196, 197, 201, 202, 204, 205, 206, 207, 209, 210, 211, 212, 213, 215, 216, 220, 221, 228, 229, 231, 233, 234, 236, 237, 239, 240, 241, 242, 246, 247, 248, 249, 250, 253, 254, 258, 259, 261, 263, 264, 266, 267, 269, 270, 271, 276, 277, 280, 281, 287

الصحراء ,أ, ب, ج, د, ز, 22, 23, 24, 25, 26, 33, 41, 43, 44, 45, 48, 49, 51, 53, 55, 57, 58, 60, 62, 63, 64, 65, 68, 76, 84, 86, 90, 91, 92, 96, 97, 99, 100, 101, 103, 104, 107, 162, 188, 190, 191, 194, 195, 196, 206, 214, 220, 237, 238, 239, 241, 243, 250, 277, 283, , 109, 110, القيروان, 111, 113, 115,

ت

تافلالت107 ,101 ,
تبلبالة102 ,
تكرور ,ح, ط, 52,
53, 71, 72, 98,
101, 183, 195,
197, 200, 242,
246
تلمسان ,أ, د, 20, 28,
29, 30, 33, 36,
37, 40, 63, 71,
83, 86, 87,
104, 106, 117,
126, 127, 128,
129, 130, 131,
132, 136, 137,
143, 144, 153,
158, 160, 163,
164, 175, 201,
285
تمنطيط ,92 ,46 ,
102, 160, 161
تنبكت101 ,
تهرت88 ,
توات ,أ, ب, د, ي, 24,
25, 26, 38, 44,

ب

بجاية ,35 ,31 ,20 ,
37, 120, 121,
122, 124, 127,
132, 142, 143,
175, 190, 285
بسكرة ,89 ,23 ,22 ,
90, 113, 123

118, 120, 121,
123, 125, 126,
127, 132, 134,
135, 136, 138,
139, 140,
141, 144, 146,
147, 148, 150,
152, 154, 155,
156, 163, 182,
187, 188, 190,
211, 215, 229,
234, 235, 236,
237, 238, 245,
253, 266, 281,
284, 285, 286,
288, 289, 290

116, 119, 121,
136, 189, 191,
192, 214
المشرق الاسلامي ,20 ,
52, 110, 120,
134, 150, 164,
198, 199, 206,
263, 269
المغرب الأقصى ,ب,
28, 32, 45, 50,
67, 86, 87,
115, 124, 160,
161, 164, 166,
190, 193, 205,
214, 242, 246
المغرب الأوسط ,أ, ب,
ج, هـ, و, ز, ط,
71, 19, 20, 22,
24, 26, 28, 30,
32, 36, 38, 43,
69, 79, 81, 83,
84, 86, 87, 90,
91, 92, 93, 95,
96, 97, 98,
100, 103, 105,
106, 71, 110,
113, 115, 116,

,68 ,64 ,60 ,45
,95 ,94 ,93 ,87
,99 ,98 ,97
,102 ,101 ,100
,106 ,105 ,104
,158 ,157 ,156
,161 ,160 ,159
,177 ,175 ,162
,182 ,181 ,178
,241 ,184 ,183
256 ,244 ,242

ح

حواضر ,أ, ب, ج, د,
هـ, ز, ط, ي, 38,
,87 ,62 ,55 ,44
,156 ,106 ,90
,188 ,158 ,157
,214 ,206 ,198
,239 ,238 ,228
290 ,263

س

سجلماسة ,47 ,44 ,
62, 63, 81, 82,
85, 86, 87, 90,
92, 93, 94,
102, 105, 115,
183, 188, 195

ش

شنقيط ,103 ,99 ,
194, 201, 215,
218, 226, 232,
257, 265, 267,
271, 277

ع

عنابة31 ,21 ,

غ

غانة ,74 ,72 ,49 ,
78, 81, 85, 89,
92, 105, 189,
196

م

مالي ,ي, 48, 49,
,55 ,54 ,52 ,51
,73 ,63 ,57 ,56
,196 ,104 ,85
,205 ,199 ,197

,228 ,223 ,222
,235 ,230 ,229
254 ,248 ,236
مراكش ,64 ,46 ,
105, 155, 164,
183, 202, 208,
214, 280, 283,
287, 292
مسيلة23 ,
موريتانيا ,ي, 50,
,105 ,104 ,103
,218 ,213 ,202
,230 ,227 ,226
,264 ,257 ,246
277 ,275 ,267

و

واحات ,38 ,24 ,22 ,
82, 85, 92, 95
ورجلان ,أ, 24, 40,
,82 ,81 ,49 ,42
,90 ,89 ,84 ,83
,95 ,94 ,91
238 ,189 ,106
ولاتة ,104 ,102 ,
105

فهرس الموضـــوعات

الإهـــــــــــــــــــــــــــــــداء .....

الشكر والعرفان .....

المـــــــقدمـــة: .....أ.....ط

الفصل الأوّل: المغرب الأوسط والسّودان الغربي (المجال والإنسان) 71

المبحث الأوّل: المغرب الأوسط (الإطار الجغرافي والواقع السّياسي) 19

المطلب الأول: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط 20

1-المجال الجغرافي للمغرب الأوسط 20

2-الفضاء الواحي للمغرب الأوسط 22

المطلب الثّاني: الواقع السّياسي للمغرب الأوسط: 26

1-الحالة السّياسية للمغرب الأوسط (حواضر الشّمال) 26

2-ظهور الإمارات المستقلة في المغرب الأوسط: 29

3-التّواجد العثماني في المغرب الأوسط .....

المطلب الثّالث: الحالة السّياسية للفضاء الواحي للمغرب الأوسط 36

1-الإمارات المستقلة في واحات المغرب الأوسط 36

المبحث الثّاني: السّودان الغربي (المجال الجغرافي والواقع السّياسي) 41

المطلب الأوّل: المجال الجغرافي لبلاد السّودان الغربي 41

1-المجال الجغرافي لبلاد السّودان الغربي: 41

2-التّركيبة السّكانية لبلاد السّودان الغربي: 44

المطلب الثّالث: الواقع السّياسي في بلاد السّودان الغربي 47

1-التّنظيمات السّياسية: 47

المطلب الثّالث: الواقع السّياسي في بلاد السّودان الغربي 52
1-المملكة السّعدية على مملكة سنغاي: 52
2-بدايات الوجود الأوروبي في بلاد السّودان الغربي 55
المطلب الرابع: الأوضاع الدينية والاجتماعية خلال فترة مدار الدّراسة 59
1-الحالة الاجتماعية: 59
2-الحالة الدّينية: 65
المبحث الثّالث: الرّوابط الحضارية التّاريخية بين المنطقتين (المغرب الأوسط والسّودان الغربي) - الجذور - العوامل - المجالات 72
المطلب الأوّل: جذور التّواصل بين المغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربي: 72
1-في العهد الرّستمي: 72
2-في العهد الفاطمي والصّنهاجي الزيري 75
3-في العهد الموحّدي 76
المطلب الثاني: عوامل التّواصل بين المغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربي: 79
1-عامل المسالك والدّروب 79
2-العامل التّجاري 83
3-المجال الواحي للمغرب الأوسط ودوره في التّواصل الحضاري 85
المطلب الثّالث: مجالات التّواصل بين المغرب الأوسط وبلاد السّودان الغربي: 88
1-الهجرات السّكانية: 88
2-ركب الحجيج: 96
3-القوافل التّجارية 98
الفصل الثّاني: ازدهار المدرسة الفقهية المالكية المغرب أوسطية خلال فترة مدار الدّراسة ودورها في تصدير العلوم الشّرعية إلى بلاد السّودان الغربي .....
البحث الأوّل: انتشار المذهب المالكي بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط منذ القرون الأولى الهجرية إلى غاية فترة مدار الدّرس: من البداية والظّهور إلى التّمكين والانتشار: 105
المطلب الأوّل: المذهب المالكي في المغرب الأوسط 105

1-مرحلة البداية والظهور من القيروان إلى المغرب الأوسط 105
2- دخول وانتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط 109
المطلب الثّاني: مرحلة تطور والانتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط 115
1- حماد ونتصار للمذهب المالكي 115
2-دور القلعة في نشر المذهب المالكي 116
3-المذهب المالكي ما بعد المحاديين: 119
المطلب الثّالث: مرحلة التّمكين والرّسوخ 124
1-الدّولة الزّيانية ودورها في تمكين للمذهب المالكي: 124
المبحث الثّاني: الإنتاج العلمي والفكري لعلماء المغرب الأوسط المالكيين ودورة في خدمة المذهب المالكي 128
المطلب الأوّل: العلوم والمعارف في المغرب الأوسط 128
1-العلوم النّقلية في المدرسة المغرب أوسطية 128
2-العلوم اللّسانية بالمغرب الأوسط 140
3-العلوم العقلية 144
المطلب الثاني: الحركة العلمية في حواضر الجنوب المغرب الأوسط 147
1-الجذور التّاريخية للحركة العلميّة 147
1-الوفادة العلميّة إلى منطقة توات من القرن 7ه إلى القرن9ه. 150
المبحث الثّالث: أبرز علماء مالكية المغرب الأوسط خلال فترة الدّراسة: قراءة في سيرهم ومؤلفاتهم. 155
المطلب الأوّل: الإمام أبي العبّاس أحمد المقرّي التّلمساني (ت 1041ه) 155
المطلب الثّاني: الإمام محمد بن يوسف السّنوسي الحسني (ت895ه) 159
المطلب الثّالث: الإمام محمد عبد الكريم المغيلي التّلمساني (ت909ه) 165
المطلب الرابع: الإمام محمد بن عبد الكريم التّواتي التّمنطيطي 172

الفصل الثّالث: مساهمة علماء مالكية المغرب الأوسط في الحركة العلميّة والثّقافية في بلاد السّودان الغربي خلال فترة مدار الدّراسة

المبحث الأوّل: المذهب المالكي في بلاد السّودان الغربي (الدّخول-التّصور-التّثبيت) 182
المطلب الأوّل: دخول المذهب المالكي وتصوّره في بلاد السّودان الغربي 182
1-دور قبائل صنهاجة (المرابطون) في نشر المذهب المالكي في بلاد السّودان الغربي 185
المطلب الثّاني: دور ملوك السّودان الغربي في نشر وتثبيت المذهب المالكي 190
1-سلاطين مَملكة مالي الإسلامية 190
2-دور سلاطين الأسكي في خدمة المذهب المَالكي 193
المطلب الثالث: دور الفقهاء في تثبيت وخدمة المذهب 196
1-الفقهاء السّودانيين 196
2-دور الفقهاء المغاربة 199
المبحث الثّاني: الإسهامات العلميّة لعلماء المغرب الأوسط في بلاد السّودان الغربي 205
المطلب الأوّل: العلوم الشّرعية 205
1-في علم العقائد (التوحيد) 205
2-في الفقه المالكي 220
3-اللّغة العربيّة وآدابها 222
4-علمُ المنطق 225
4-في التّصوف الإسلامي 227
المبحث الثّالث: الحركة العلمية والثّقافية في بلاد السّودان الغربي 244
المطلب الأول: المدارس والتدريس في بلاد السّودان الغربي 244
1-مراحل التّعليم 244
2-أساليب تلقين العلوم الشّرعية 247
3-المكتبات: 250
المطلب الثّاني: حركة التّأليف في بلاد السّودان الغربي 252
1-علم القراءات 253
2-علوم التّفسير: 254
3-علم الحديث: 255

4-علم الفقه والأصول: 257
5-النّوازل والفتاوى: 259
6-اللّغة العربية وآدابها 263
المطلب الثّالث: المثاقفة بين علماء السّودان الغربي وعلماء المغرب الأوسط: (أحمد بابا التّنبكتي نموذجًا) 267
1-أحمد بابا التّنبكتي (مولده ونشأته العلمية ومحنته) 267
2-أوصاف أحمد أبابا التّنبكتي لعلماء المغرب الأوسط: 271
3-تأثّرُ الإمام التّنبكتي بمتصوّفة المغرب الأوسط 272
4-الإجازة العلمية عند علماء المغرب الأوسط من خلال التّنبكتي (النيل والكفاية): 275
5 - نموذج من تأثر التّنبكتي بالإمام السّنوسي من خلال المفاتيح القدسية في المناقب السّنوسية (مخطوط) 277
الخاتمة 281
الملاحق 290
قائمة المصادر والمراجع 290
الفهارس العامة 332

ملخص الأطروحة

تعتبر العلاقات الحضارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول إفريقيا جنوب الصحراء من بين المواضيع المهمة التي تحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب، وهي من التخصصات الثرية وعليه تجلى موضوعنا في عنوانه "**دور علماء مالكية المغرب الأوسط في التمكين الحضاري والثقافي في بلاد السودان الغربي من نهاية القرون الوسطى إلى بداية العصور الحديثة**".

حاول الباحث تسليط الضوء على الدور الرّيادي الذي لعبه فقهاء المالكية المغرب الأوسط في تصدير العلوم الشرعية واللغوية إلى بلاد السودان الغربي، حيث كان له الفضل الكبير في التمكين الحضاري والنهوض بالحركة العلمية السودانية من خلال جعله الركيزة الأساسية في الدراسات الفقهية والعلمية ممثلةً في الشروحات والمختصرات وآراء التي لها صلة بفقهاء المغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: الفقهاء المالكية، المغرب الأوسط، السودان الغربي، تنبكتو، أحمد بابا التنبكتي،

Abstrac:

The civilizational relations between the countries of the Central Maghreb and the countries of sub-Saharan Africa are among the important topics that need more research and exploration, and they are rich disciplines, and therefore our topic was reflected in its title "The role of the scholars of the Malikis of the Middle Maghreb in the civilizational and cultural empowerment in the countries of Western Sudan from the end of the Middle Ages to the beginning of modern times.

The researcher tried to shed light on the pioneering role played by the Maliki jurists of the Middle Maghreb in exporting legal and linguistic sciences to the countries of Western Sudan, where he had great credit for the civilizational empowerment and the advancement of the Sudanese scientific movement by making it the main pillar in jurisprudential and scientific studies represented in explanations, abbreviations and opinions related to the jurists of the Middle Maghreb.

***Keywords**: Maliki jurists, Middle Maghreb, Western Sudan, Tonbuktu, Ahmed Baba al-Tinbakti*

نوقشت يوم 15/ 10/2024